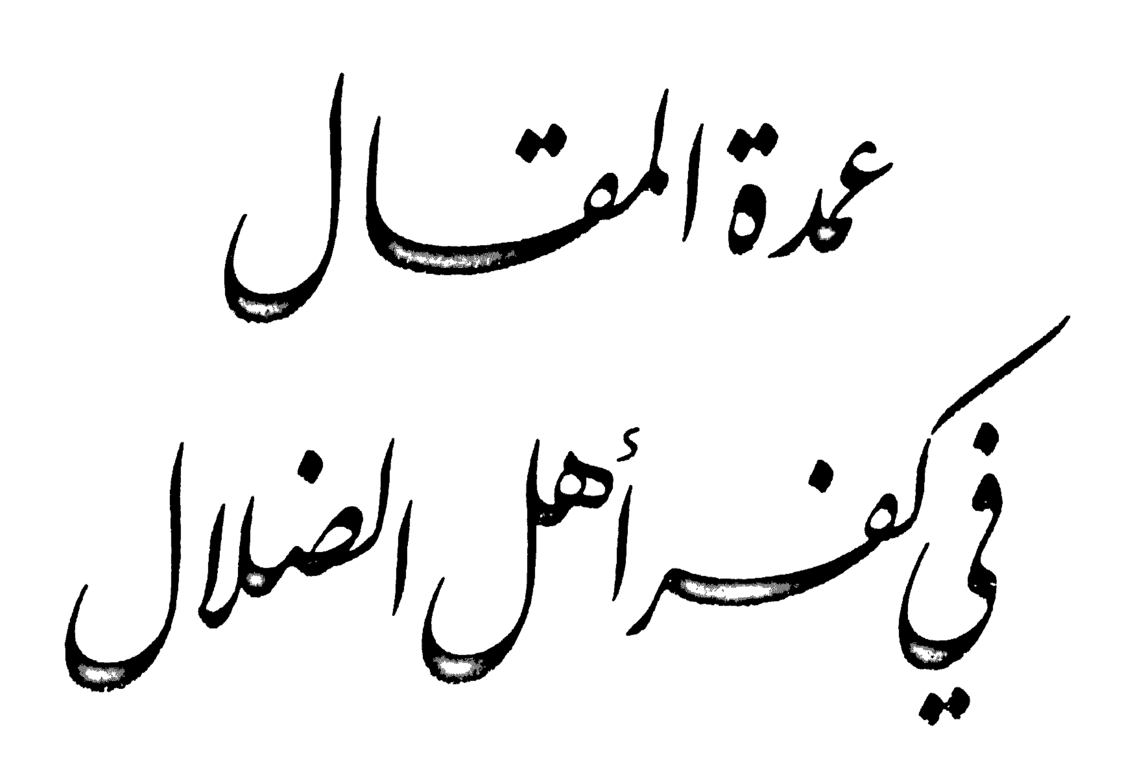


للعلاّمة المحقق

الشيخ حسن بن علي الكركي العاملي

من أعلام القرن العاشر

تحقيق

السيد مهدي الرجائي



عمدة المقال في كفر أهل الضلال

المؤلف: حسن بن علي بن الحسين بن عبد العال الكركي العاملي (من أعلام القرن العاشر)

المحقق: السيد مهدي الرجائي

الناشر: مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى

الخزانة العالمية للمخطوطات الإسلامية - قم - إيران

مطبوعات دار الأندلس - بيروت - لبنان - النجف الأشرف

الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م / ١٣٨٩ هـ . ش

ISBN: 978-964-8179-55-2

AYATOLLAH MAR'ASHI NAJAFI ST., Qom 37157, I.R.IRAN
TEL: + 98 251 7741970-78; FAX +98 251 7743637
http:// www.marashilibrary.com
http:// www.marashilibrary.net
http:// www.marashilibrary.org
E_mail: info@marashilibrary.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنـبياء والمـرسلين، محمّد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم ومبغضيهم ومـنكري فضائلهم إلىٰ قيام يوم الدين .

إنّ من أخطر ما أفرزه الخلاف الذي حدث بين المسلمين عقيب رحلة النبي المصطفىٰ ﷺ الى الرفيق الأعلىٰ، ظاهرة النصب والعداوة لأهل البيت النبوي في المجتمع الاسلامي .

وتكمن خطورتها في أنّها اتّخذت أبعاداً مختلفة جرّت على المسلمين البـلاء والويلات، وانسحبت علىٰ معالم الدين وتعاليمه، حتّىٰ أفقدها روحها ونضارتها وحكمتها، فأصبحت مجرّد طقوس رتيبة فارغة من المحتوىٰ، ولم يعد لها أثر على العقيدة والسلوك إلاّ بصوزة عكسية، الأمر الذي تمخض عنه أن أصبحت الاُمّـة الواحدة فرقاً وأحزاباً، كلّ فرقة ترىٰ أنّ الحقّ معها فيما تـنتهجه مـن تـصوّرات وأساليب، وانّ الباطل في خلاف ذلك .

وأصبح كلّ حزب يتصيّد على الآخر نقاط ضعفه ليدينه بها، ويـرمي خـصمه بالكفر والمروق والالحاد، في الوقت الذي ينضوي الجميع فيه تحت مبدأ واحد، ويستقون معارفهم من منبع واحد، ويسعون نحو هدف واحد .

والذي يبدو من خلال دراسة واقع الظروف النفسية والاجتماعية لتلك الحقبة

من الزمن، أنّ هذا التصدّع في بناء المجتمع المسلم وما آلت اليه الأحوال لم يكن ليحدث بصورة اتّفاقية عفوية، بل كان هناك تخطيط مسبق رسمت خطوطه العريضة في زمان النبي ﷺ، ولعلّ في قوله تعالىٰ ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم﴾[1] ما يؤكّد ذلك.

ويشهد له ما ذكره المؤرّخون من مختلف الحوادث، ومنها المحاولة التي استهدفت شخص النبي ﷺ بعد منصرفه من غزوة تبوك[2].

علىٰ أنّ الآية الشريفة أفادت وبصورة قاطعة أنّ الانقلاب واقع لا محالة، سواء رحل النبي ﷺ عن الدنيا موتاً أو قتلاً، ولقد تحقّق ذلك الانقلاب الذي حمل معه المآسي والآلام، ولا زالت الأُمّة تعاني من ويلاتها، فإنّه أعقبها تمزّقاً وتشتّتاً في شتّى الميادين.

الأساس في الخلاف

وتبدأ الحكاية بعلي عليه السلام، وتنتهي بشيعة علي عليه السلام. وانّما قلنا إنّها تبدأ بعلي عليه السلام، فلأنّ منشأ الخلاف وأساسه هو الخلافة بعد الرسول ﷺ، فهل أنّ الامامة منصب إلٰهي لا يختلف عن النبوّة إلاّ في صورة التعيين وكيفيته بالمباشرة أو بالواسطة؟ بمعنىٰ أنّ تعيين النبي ﷺ عن طريق الوحي، وأمّا تعيين الأمام فعن طريق النبي ﷺ، وكلا الأمرين يرجعان بالمآل إلى الله تعالىٰ، أو أنّ الامامة زعامة مدنية يرجع فيها الاختيار والتعيين إلى الناس أنفسهم؟ وعلى هذا فهل أنّ الأحقّ بهذا

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) راجع تفاصيل هذا الحدث: بحار الأنوار ٢١: ١٨٥ - ٢٥٢ باب غزوة تبوك وقصّة العقبة.

المنصب هو علي بن أبي طالب عليه السلام أو أنّه أبو بكر ؟

ذلك هو أساس القضية ومحورها، وعليه دارت رحى الخلاف بين المسلمين، وهو النواة الأُولىٰ لحدوث الصراع فيما بينهم، وكان من نتيجته هذا الانقسام في الصفّ الاسلامي، الذي لا زالت جراحاته تنزّ إلىٰ يوم الناس هذا .

فقد قال الشيعة استناداً إلى النصوص القرآنية والروايات الصريحة: إنّ خليفة الرسول هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده الأئمّة الأحد عشر من ذرّية الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أخذت الأدلّة بأعناقهم، فأصرّوا علىٰ موقفهم، واحتجّوا علىٰ مدّعاهم، وأقاموا براهينهم، وعرفوا بالشيعة الامامية، أو بالشيعة الاثني عشرية .

وقال غير الشيعة: إنّ الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله هو أبوبكر بن أبي قحافة، وأنكروا النصّ على الامامة، وإنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يعيّن خليفة من بعده، بل أوكل الأمر إلى الأُمّة لتختار لها حاكماً، فوقع اختيارها علىٰ أبي بكر، وحاولوا التشكيك في دلالة كلّ النصوص التي احتجّ بها الشيعة .

واتّسعت دائرة الخلاف شيئاً فشيئاً لتطال المسائل الأصلية والفرعية، حتّىٰ بلغت حدّ التباين بين الطرفين، وأخذت تزداد اتّساعاً بمرور الأيّام، وتتعمّق هوّة الخلاف .

وعلى إثر ذلك افترقت الأُمّة إلىٰ مذاهب وآراء، كلّ منها يرىٰ أنّه أصاب الحقّ والحقيقة، وغيره علىٰ خلاف الحقّ والحقيقة، وكان في ذلك تصديق لما أنبأ به النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المشهور ستفترق أُمّتي ... الخ[1] .

ومن الطبيعي أن يكون لكلّ من هذه المذاهب والآراء أنصار ومؤيّدون، وكانت

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٢٨: ٣ .

المساجلات بين الأطراف المتنازعة، ومحورها الأساس الامامة والامام بعد الرسول ﷺ.

وعلي هو المبتلىٰ والمبتلىٰ به، ودواعي ابتلائه والابتلاء به متكاثرة، وقد اقترنت به حياته وبعد مماته، فهو رجل الدار يوم الانذار، وطالما كرّر النبي ﷺ وأكثر النصّ عليه بذلك ـ صلّى الله عليهما وآلهما ـ ومن ذلك يوم الغدير ذلك اليوم المشهود، إذن فقد اختصّ بخلافة النبي الأعظم والوصاية على الأُمّة من بعده، وفات بذلك على الطامعين ما يأملون، وهو بطل المواقف، أسد الحرب، وحيدرة الوغىٰ، وكاشف الكرب، والجيش كلّه عدّة وعدداً.

إذن فهو العلم الفرد، وهو المخصوص ـ ومن السماء ـ بالاقتران بفاطمة سيّدة النساء أجمعين، أُريد هو ورُغِب فيه هو، وانصرف وجه رسول الله ﷺ عن سواه، وهو المستأثر بأوسمة السموّ وشارات الامتياز من الله في كتابه، ومن رسوله في قوله وعمله، فهو منه بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبي بعده، وهو أخوه، وكلاهما من الآخر «علي منّي وأنا منه» وهو نفسه كما عبّر الله في قرآنه، وهو المفرد في مناجاته، والوحيد في فتح بابه إلىٰ مسجده الأعظم، والموصوف بأنّه مع القرآن والقرآن معه، ومع الحقّ والحقّ معه، إذن هو حائز الملكات، ونائل الامتيازات الإلٰهية والنبوية(١).

وإذا كان علي عليه السلام بهذه المثابة، ولم تكن نظرة الناس إليه، كما رآه بها القرآن والرسول، فمن الطبيعي أن تبرز كوامن النفوس وخفايا بعض القلوب، فتولّد العداء وطفح لعلي وآل علي وشيعتهم، فكانت بذرة النصب والبغضاء لعلي عليه السلام وشيعته.

---

(١) راجع: النصب والنواصب ص ٢١.

وسواء كان النصب مبدأ سياسياً كما قيل، أو أعمّ كما هو الصحيح، فقد اتّخذت المسألة منحى خطيراً، ومؤثراً على العقيدة والسلوك.

الأسباب والدوافع

ولعلّ البعض يتساءل ويقول: إذا كانت مسألة الامامة والامام بعد الرسول ﷺ ممّا وقع فيها الخلاف بين المسلمين، فلا تعدو أن تكون كأيّ مسألة أُخرىٰ تختلف فيه الآراء والأنظار، والاختلاف سنّة كونية من سنن الحياة، ومن الطبيعي جدّاً أن تتعدّد الآراء وتختلف النظرات نقضاً وإبراماً وسعة وضيقاً، ومثلها مثل سائر المسائل الكلامية الأُخرىٰ التي وقعت موقع الجدل، والحوار بين العلماء والمفكّرين، وليس هناك ما يدعو إلى النصب والعداء، وما يترتّب علىٰ ذلك من آثار.

وللإجابة عن هذا التساؤل وما ينبثق عنه من تساؤلات أُخرىٰ يحسن بنا أن نذكر تمهيداً يهيّئنا لذكر الأسباب والدوافع، ونوجز ما نودّ قوله في أمرين:

الأوّل: أنّ موضوع الامامة والخلافة بعد الرسول ﷺ -كما هي في عقيدة الشيعة الامامية - من المواضيع ذات الخطورة؛ لأنّها تشكّل دعامة من دعائم الدين، وركيزة يعتمد عليها أساس الارتباط به، وما يتفرّع عليه من تطبيق عملي لمعطياته وأحكامه وتعاليمه، وليست هي مجرّد زعامة مدنية وحكم إداري، بل هي امتداد للنبوّة بجميع معطياتها، وانّ الامام هو القائم مقام الرسول ﷺ في جميع ما يقوم به الرسول ﷺ من أدوار في التشريع والتنظيم والتطبيق، وعلىٰ مختلف الأصعدة والشؤون الفردية والاجتماعية، دينية كانت أو دنيوية أو أُخروية ولا يستثنىٰ من ذلك إلاّ ما يختصّ به مقام النبوّة.

ثمّ إنّ النصوص الواردة في موضوع الامامة والامام تحدّد الاتّجاه تحديداً

لامجال فيه للاختيار.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ الانتماء الحقيقي للدين لا يتمّ إلاّ بالرضا والتسليم بجميع ما يميله من تعاليم وأحكام، ولابدّ فيها من الاستناد إلىٰ هذا المنبع دون سواه.

ويترتّب علىٰ هذا أثر خطير، وهو أنّ كلّ من جانب هذا الأمر أو خالفه، فهو ليس علىٰ شيء، وتلك نتيجة طبيعية أكّدت عليها النصوص، وخصوصاً في مسألة الامامة.

ولاشكّ أنّ هذه المقولة تركت أثراً بالغاً في النفوس سلباً وايجاباً، واختلفت ردّة الفعل شدّة وضعفاً وقبولاً ورفضاً.

الثاني: أنّ الضرورة الزمنية التي قام فيها الرسول ﷺ بدور التبليغ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور قد بلغت ثلاثاً وعشرين عاماً، وقد تخلّلتها مصادمات وحروب ضارية اضطرّ إليها الرسول ﷺ لحماية دعوته والدفاع عنها، حتّىٰ تمكّن ﷺ من إخضاع معارضيه إلىٰ حدّ ما، ولا أقلّ من تمكّنه من السيطرة على الرقعة التي كانت تحت نفوذه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ولكن كانت قناعات الناس في ارتباطهم بهذا الدين، وانعكاس التديّن علىٰ سلوكهم متفاوتة، وذلك لاختلاف قابلياتهم واستعداداتهم، فمنهم من بلغ حدّاً من القناعة والايمان، بحيث رسخ الدين في قلبه، فلا يرقى إليه شكّ أو شبهة. ومنهم دون ذلك، ومنهم من هو حديث العهد بهذا الدين، ومنهم من أسلم طمعاً، ومنهم من رأىٰ نفسه مضطرّاً للدخول في هذا الدين، ومنهم من أسلم نفاقاً، ومنهم غير ذلك.

وقد تحدّث القرآن الكريم في العديد من الآيات عن هذه النماذج المختلفة، فقال تعالىٰ: ﴿قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم للذين عند ربّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ۞ الذين

يقولون ربّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ❊ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[١].

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أُمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكر إلاّ أُولوا الألباب﴾[٢] ﴿إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾[٣].

﴿ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[٤] ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[٥] ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم﴾[٦] ﴿إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[٧].

﴿الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله والله عليم حكيم ❊ ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً ويتربّص بكم الدوائر

---

(١) سورة آل عمران: ١٥ – ١٧.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) سورة التوبة: ١١١.

(٤) سورة البقرة: ٨.

(٥) سورة آل عمران: ١١٩.

(٦) سورة الحجرات: ١٤.

(٧) سورة الحجرات: ٤.

عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾[١] ﴿وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ... ﴾[٢] ﴿والذين اتّخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنّ إن أردنا إلاّ الحسنىٰ والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾[٣] ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[٤] ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾[٥] ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأُمور﴾[٦].

إلىٰ كثير من الآيات البينات، وتفيدنا بعض هذه الآيات أنّ رواسب الجاهلية ما زالت في نفوس بعضهم من دون أن يكون لانتمائه للدين قدرة على اقتلاع جذور الماضي من نفسه.

وإذا أحطنا خبراً بهذين الأمرين أمكننا ذلك من بيان أسباب النصب والعوامل التي أدّت إلىٰ بغض علي وبنيه وشيعته، وهي عدّة أُمور :

الأوّل: الانحراف الذاتي.

إنّ ممّا ابتلي به الاسلام ورسوله ﷺ في مطلع الدعوة قضية النفاق والمنافقين، وكان المنافقون يشكلون حجر العثرة في مسار الاسلام، وكانوا أشدّ خطراً على

---

(١) سورة التوبة: ٩٧ – ٩٨.

(٢) سورة التوبة: ١٠١.

(٣) سورة التوبة: ١٠٧.

(٤) سورة التوبة: ٥٨.

(٥) سورة التوبة: ٦١.

(٦) سورة التوبة: ٤٨.

الاسلام من اليهود والمشركين، وقد لعب النفاق دوره الخبيث في محاولة تفتيت البنية الداخلية التي شيّدها النبيّ ﷺ للاسلام، وسعوا إلىٰ زعزعة الأُسس التي وضعها النبي ﷺ لبناء المجتمع الاسلامي المتكامل.

ولكن وإن كان النفاق أُسلوباً جباناً في التعامل مع الأحداث ولا يكشف عن هويته إلاّ أنّ الرصد الإلٰهي قد كشف عن الكثير من مؤامرات المنافقين، كما أنّ النبي ﷺ قد أحبط الكثير من تدبيراتهم الكيدية، وكان الوحي الإلٰهي في تتابع مستمرّ لإفشال خططهم وفضح أساليبهم.

وقد اعتمد النبي ﷺ عدّة طرق للكشف عن هوية النفاق والمنافقين، وفي بعض الآيات المتقدّمة ما يلقي الضوء علىٰ بعض تلك الطرق.

ومن أهمّ الأساليب التي اتّخذها النبي ﷺ أن جعل حبّ علي عليه السلام وبغضه مقياسين لمعرفة المؤمن والمنافق، وذلك لأنّ علياً عليه السلام يمثّل الاستقامة بأكمل معانيها، ويجسّد الفطرة السليمة بأظهر صورها، فكان حبّه أمارة على الاستقامة، وكان بغضه أمارة على الانحراف والنفاق، ويوضح لنا هذا المعنىٰ كم غير قليل من النصوص، نكتفي بالاشارة إلىٰ بعضها، وكلّها مروية عن النبي ﷺ وبعبارات مختلفة إلاّ أنّها تحمل مضموناً واحداً، ومنها:

لا يحبّ علياً إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق[1].

لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق[2].

---

(١) كنز العمّال ١١: ٦٢٢ برقم: ٣٣٠٢٩.

(٢) كنز العمّال ١١: ٦٢٢ برقم: ٣٣٠٢٨.

لا يبغض علياً مؤمن، ولا يحبّه منافق[١] .

يا علي طوبىٰ لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك[٢] .

ثلاث من كنّ فيه فليس منّي ولا أنا منه: بغض علي، ونصب أهل بيتي، ومن قال الايمان كلام[٣] .

عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب[٤] .

عن المساور الحميري عن اُمّه، قالت: دخلت علىٰ اُمّ سلمة فسمعتها تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يحبّ علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن[٥] .

إلىٰ غير ذلك من النصوص الصريحة في هذا المعنىٰ .

هذا وهناك علامات اُخرىٰ ذات صلة بما نحن فيه من بيان الانحراف الذاتي، وقد جعل فيها علي وأولاده عليهم السلام مقياساً لمعرفته، ومنها :

ما حدّث به عبادة بن الصامت: كنّا نبور أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام، فاذا رأينا أحدهم لا يحبّ علي بن أبي طالب، علمنا أنّه ليس منّا وأنّه لغير رشده[٦] .

---

(١) كنز العمّال ١١: ٦٢٢ برقم: ٣٢٠٢٧ .

(٢) كنز العمّال ١١: ٦٢٢ – ٦٢٣ برقم: ٣٣٠٣٠ .

(٣) كنز العمّال ١١: ٦٢٣ برقم: ٣٣٠٣١ .

(٤) الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٦٥٣ برقم: ٣٧١٧ .

(٥) نفس المصدر .

(٦) كتاب النصب والنواصب للشيخ المعلّم ص ١٠١ .

قال الحافظ الجزري: وهذا حديث مشهور من قديم وإلى اليوم أنّه ما يبغض علياًعليه‌السلام إلاّ ولد الزنا[١].

ومنها: ما أخرجه الحافظ ابن مردويه بسنده، عن أحمد، قال: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنّا لنعرف الرجل لغير أبيه إلاّ ببغض علي بن أبي طالب[٢].

ومنها: ما رواه أبوبكر بن أبي‌قحافة، قال: رأيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خيّم خيمة وهو متّكىء علىٰ قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: معاشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ رديء المولد[٣].

وممّا يناسب ذكره كقضية خارجية تصديقاً لهذه النصوص، ما أورده صاحب كتاب النصب والنواصب من أحوال دلف بن القاسم بن عيسى العجلي، وأنّه كان ينتقص علي بن أبي طالبعليه‌السلام، ويضع منه ومن شيعته، وينسبهم إلى الجهل، وأنّه قال يوماً - وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضراً -: إنّهم يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلاّ كان لغير رشده، وأنتم تعلمون غيرة الأمير - يعني أباه - وأنّه لا يتهيّأ الطعن علىٰ أحد من حرمه، وأنا أبغض علياً.

فما كان أوشك من أن خرج أبودلف، فلمّا رأيناه قمنا له، فقال: قد سمعت ما

(١) باختصار عن نفس المصدر ص ١٠١.

(٢) النصب والنواصب ص ١٠١.

(٣) باختصار عن نفس المصدر ص ١٠١.

قاله دلف، والحديث لا يكذب، والخبر الوارد في هذا المعنىٰ لا يختلف، هو والله لزنية وحيضة، وذلك أنّي كنت عليلاً، فبعثت إليّ أُختي جارية لها كنت بها معجباً، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً، فعلقت به ، فلمّا ظهر حملها وهبتها لي، فبلغ من عداوة دلف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته له؛ لأنّ الغالب علىٰ أبيه التشيّع والميل إلىٰ علي أن شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدّث به ...[١] .

ويكفينا ذلك شاهداً علىٰ أنّ الانحراف الذاتي أحد أسباب النصب والعداء لعليّ عليه السلام، علىٰ أنّه قد ذكرت عدّة علامات أُخرىٰ تكشف عن الانحراف، والمقياس فيها علي عليه السلام ومن شاء فليراجع[٢] .

الثاني: الحسد .

كان علي عليه السلام ربيب الوحي، ورفيق النبوّة، وكان كما تحدّث عن نفسه حول صلته برسول الله صلى الله عليه وآله: وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلىٰ صدره، ويكنفني إلىٰ فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل ... ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل إثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي، وأشمّ ريح النبوّة[٣] .

---

(١) كتاب النصب والنواصب ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٣١٧ .

(٣) نهج البلاغة ص ٣٠٠ رقم الخطبة: ١٩٢ .

وأضف الى ذلك الكمالات الشخصية الأُخرىٰ -وقد تقدّم بعض خصائصه فيما نقلناه من كتاب النصب والنواصب - والعنايات الإلٰهية الخاصّة، والتي أهلته وهيّأته ليكون الشخص التالي لرسول الله ﷺ في جميع ما يتفاوت فيه أبناء البشر، وكان النبي ﷺ لا يألو جهداً في التنويه والكشف عن مواطن العظمة في شخصية ابن أبي طالب.

وكان عليه السلام يزداد رفعة وسبقاً وشأناً وجلالاً كلّما ازدادت الأيّام مروراً، فإذا علمنا أنّه لم يكن أكبر القوم سنّاً آنذاك بل كان في عمر الشباب، فمن الطبيعي أنّ ذلك يضجر بعض النفوس المريضة، فتضمر له الحسد والنصب والعداء، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: من حسد علياً فقد حسدني، ومن حسدني فقد كفر[١].

الثالث: الحقد الدفين.

وعرف علي عليه السلام بالشجاعة والفروسية، وكانت شجاعته عليه السلام حديث الركبان ومضرب الأمثال، وكانت القبائل تفتخر بأنّ أحد أبنائها بارز علياً في ميدان القتال.

وقد وصفته سيّدة النساء عليها السلام في خطبتها في مسجد أبيها ﷺ، فقالت: كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه وابن عمّه في لهواتها، فلا ينكفىء حتّىٰ يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم[٢].

---

(١) كنز العمّال ١١: ٦٢٦ برقم: ٣٣٠٥٠.

(٢) فاطمة صوت الحقّ الإلٰهي للشيخ المعلّم ص ٦٥ - ٦٦.

ويقول ابن أبي‌الحديد: وأمّا الشجاعة فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلىٰ يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأُولىٰ إلىٰ ثانيه. وفي الحديث «كانت ضرباته وتراً».

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي‌الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي. وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أُخت عمرو بن عبدودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكنّ قاتله من لا نظير له ... وكان يدعىٰ أبوه بيضة البلد

وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه علىٰ سريره، فقعد فقال له عبدالله يداعبه: يا أميرالمؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبابكر، فقال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصفّ إزاء علي بن أبي‌طالب، قال: لا جرم إنّه قتلك وأباك بيسرىٰ يديه وبقيت اليمنىٰ فارغة يطلب من يقتله بها.

وجملة الأمر: أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١: ٢٠ - ٢١.

ولقد تغنّى الشعراء بشجاعة أبي‌الحسن ، ومنهم ابن أبي‌الحديد المعتزلي في علوياته السبع، وقد كتبت بعض الأبيات من قصيدته العينية علىٰ ضريح أميرالمؤمنين عليه السلام، ومنها قوله يخاطب علياً عليه السلام :

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن	خوض الحمام مدجج ومدرّع
يا قالع الباب الذي عن هزّه	عجزت أكفّ أربعون وأربع
أأقول فيك سميدع كلاّ ولا	حاشا لمثلك أن يقال سميدع

ويقول جدّنا المرحوم آية الله السيّد محمّد جمال الهاشمي الكلپايكاني في إحدىٰ قصائده :

ولك المواقف لاذ في أمجادها	بدر وحلق في علاها خيبر
لاسيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ	إلاّك وحي في جلالك يؤثر
يا شعر صه إنّ المقام مقدّس	فاصمت فصمتك من مقالك أشعر[1]

ولكن هذه الشجاعة التي وظّفها أميرالمؤمنين عليه السلام في نصرة النبي صلى الله عليه وآله ودعوته، وجدّل من خلالها أبطال الشرك وعتاة الكفّار، تركت القلوب تغلي عليه، وأضبّت الصدور علىٰ حقده، وحمّلوا علياً عليه السلام المسؤولية، واعتبر الموتورن ذلك ديناً عليه، ولابدّ له أن يؤدّيه من نفسه وبنيه وشيعته، فكان النصب والعداء .

وقد أشارت إلىٰ ذلك سيّدة النساء عليها السلام في خطبتها الثانية في نساء المهاجرين والأنصار، فقالت: وما الذي نقموا من أبي‌الحسن؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله[2] .

---

(١) مع النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، ديوان آية الله السيّد محمّد جمال الهاشمي ص ٤٩ .

(٢) فاطمة صوت الحقّ الألٰهي ص ٢٥٣ .

وذكر شرّاح الخطبة الشقشقية عند قوله عليه السلام «فصغىٰ رجل لضغنه» أنّ المراد به سعد بن أبي وقّاص، وكا ن في نفسه شيء من علي عليه السلام من قبل أخواله؛ لأنّ أُمّه حمقة بنت سفيان بن أُمية بن عبدشمس ، ولعلي عليه السلام في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور(١).

الرابع : الطمع في الحطام .

ومن الناس فئة لا يعنيها إلاّ الكسب الماديّ، وإن جرّهم إلى ارتكاب أكبر الجرائم وأبشعها، فكم من عرض هتك ودم حرام سفك، وكم من حقيقة شوّهت، وفكرة صحيحة دلست، من أجل حفنة من دراهم، وتلك جناية كبرىٰ على الانسانية ذهب ضحيتها كثير من الحقائق والكرامات، وحلّت محلّها الأباطيل والخرافات، وكان ذلك أحد الأسباب التي جعلت للنصب طريقاً إلىٰ بعض النفوس .

يروي ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر، أنّه قال: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتّىٰ يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علىٰ ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولّىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد﴾(٢) وانّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالىٰ ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾(٣) فلم يقبل، فبذل له

---

(١) كتاب النصب والنواصب ص ٣٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٧.

مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروىٰ ذلك(١).

الخامس: الجهل.

يرى المؤلّف أنّ الحقائق الدينيّة قد تعرّضت للتشويه والتغيير والتبديل بعد وفاة الرسول ﷺ من قبل القائمين على الحكم، وهذه النظرة حقيقة تؤكّدها الشواهد التارخية التي تناولت الحديث عن الأحكام وملابساتها، وأصبح الاجتهاد في مقابل النصّ سمة من سمات الخلفاء، حيث كانوا يخالفون النصّ القرآني وما جاء به النبي ﷺ بشكل صريح، وجاء من بعدهم من حاول التبرير والتوجيه، فإذا أعياهم ذلك تمسّكوا بمقولة «اجتهد فأخطأ».

وقد استمرّ العمل علىٰ هذا المنهج إلاّ في الفترة الوجيزة التي تولّىٰ فيها أميرالمؤمنين الامام عليه السلام زمام الأمور، فإنّه حاول جاهداً أن يعيد الأمّة إلىٰ رشدها، فكان يستند في حكمه وقضائه إلىٰ كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وينبّه علىٰ خطأ الأسلوب المتّبع لدى السابقين بما يحمل في طيّاته من مسخ وتشويه لحقائق الدين وأحكامه.

وقد ترتّب علىٰ ذلك - كما يرى المؤلّف - أنّ ما وصل إلىٰ الناس من الدين وتعاليمه لم يكن هو المطلوب، فتربّت الأمّة على الجهالات والحقائق المقلوبة، وتوارثت ذلك الأجيال، ولا سيّما في الأطراف النائية عن مركز الحكم والادارة، فكان ذلك أحد الأسباب الداعية للنصب دون معرفة بحقيقة الأمور.

وقد اشتهر عن بعض بقاع الأرض في تلك الأزمنة النصب والعداء

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٤: ٧٣.

لأميرالمؤمنينعليه السلام وبنيه وشيعته، كالأندلس والبصرة وحمص وغيرها[١].

السادس: الإعلام المضادّ.

وثمّة سبب آخر لا يقلّ أهمّية عن الأسباب المتقدّمة، وهو سبب مستقلّ بالنسبة إلىٰ فئة من الناس، وهو متمّم للسبب السابق بالسنبة إلىٰ فئة أُخرىٰ، وهو التضليل والتجهيل عن طريق نشر الأكاذيب مدحاً وقدحاً، وقد كان للحملات المسعورة التي رأسها معاوية بن أبيسفيان أثر كبير في تشويه صورة التاريخ الاسلامي، ومسخ حقائقه، كما أنّ للمتزلّفين وذوي المطامع والوضّاعين أثراً في إفساد العقول والنفوس علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات، وتربّت أجيال وأجيال علىٰ ذلك.

وقد ساعد عليه ما فرضته سياسة الشيخين من منع تدوين الحديث، والتشدّد في المنع حتّىٰ بلغ الأمر إلىٰ فرض الحصار على الصحابة، وعدم السماح لهم بمغادرة المدينة، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ خنق الحقائق وإماتتها شيئاً فشيئاً، وتوجيه أفكار الناس نحو مسار واحد محدّد أرادته سياسة القائمين على الأمر، وذلك أمر مثير وخطير، ويحمل أكثر من تساؤل.

ونشأ الناس يعتقدون بالأكاذيب علىٰ أنّها حقائق، واكتسبوا العداء والنصب من خلال ما تلقّوه، وتربّوا عليه من ضلالات[٢].

يقول سليم بن قيس في كتابه: وكتب معاوية إلىٰ قضاته وولاته في جميع الأرضين والأمصار: أن لا تجيزوا لأحد من شيعة علي ولا من أهل بيته الذين يرون فضله، ويتحدّثون بمناقبه شهادة.

---

(١) راجع: كتاب النصب والنواصب ص ٢٢٩ - ٢٤٤.

(٢) راجع: كتاب الغدير للشيخ الأميني ٥: ٢٠٨ - ٣٧٨.

وكتب إلىٰ عمّاله: أُنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل بيته وأهل ولايته الذين يرون فضله، ويتحدّثون بمناقبه، فادنوا مجالسهم وأكرموهم وقرّبوهم، واكتبوا إليّ بما يروي كلّ واحد منهم باسمه واسم أبيه وممّن هو، ففعلوا ذلك حتّىٰ أكثروا في عثمان الحديث ....

ثمّ كتب إلىٰ عمّاله: أنّ الحديث قد كثر في عثمان، وفشا في كلّ مصر ومن كلّ ناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوهم إلى الرواية في أبي‌بكر وعمر، فانّ فضلهما وسوابقهما أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أهل هذا البيت ... .

ثمّ كتب نسخة جمع فيها ما روي فيهم من المناقب والفضائل، وأنفذها إلىٰ عمّاله وأمرهم بقراءتها على المنابر، وفي كلّ كورة وفي كلّ مسجد، وأمرهم أن ينفذوا إلىٰ معلّمي الكتاتيب أن يعلّموها صبيانهم حتّىٰ يرووها ويتعلّموها كما يتعلّموا القرآن، حتّىٰ علّموها بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله[1].

هذه هي مجموعة الأسباب والدوافع، ولعلّ هناك أسباباً أُخرىٰ يقف عليها الباحث، وينبغي أن نشير إلىٰ أنّ هذه الأسباب قد تتداخل فيجتمع في شخص واحد أكثر من دافع لبغض عليعليه‌السلام .

ومن الغريب أن يجعل عمر بن الخطّاب ذلك أحد المبرّرات لتنحية عليعليه‌السلام عن الخلافة، مع اعترافه بأهليّته لها وجدارته بها، وقد جاء ذلك في حواره مع ابن عبّاس، وقد واجهه ابن عبّاس بالحقيقة المرّة .

روى الجويني في فرائد السمطين بسنده عن نبيط بن شريط، ، قال: خرجت مع

(١) سليم بن قيس الهلالي ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

علي بن أبي طالبعليه السلام ومعنا عبدالله بن عبّاس، فلمّا صرنا إلىٰ بعض حيطان الأنصار وجدنا عمر جالساً ينكت في الأرض، فقال له علي بن أبي طالب: يا أميرالمؤمنين! ما الذي أجلسك وحدك هاهنا؟ قال: لأمر همّني، قال علي: أفتريد أحدنا؟ قال عمر: إن كان عبدالله.

قال: فتخلّف معه عبدالله بن عبّاس، ومضيت مع علي، وأبطأ علينا ابن عبّاس ثمّ لحق بنا، فقال له عليعليه السلام: ما وراؤك؟ قال: يا أباالحسن أُعجوبة من عجائب أميرالمؤمنين، أخبرك بها واكتم عليّ !!! قال: فهلمّ.

قال : لمّا أن ولّيت قال عمر وهو ينظر إلىٰ أثرك: آه آه آه، فقلت: ممّ تأوّه أميرالمؤمنين؟ قال: من أجل صاحبك يابن عبّاس، وقد أُعطي ما لم يعطه أحد من آل النبيصلى الله عليه وآله !!! ولولا ثلاث هنّ فيه ما كان لهذا الأمر من أحد سواه !!! قلت: وما هنّ يا أميرالمؤمنين؟ قال: كثرة دعابته، وبغض قريش له، وصغر سنّه !!! قال: فما رددت عليه ؟

قال: داخلني ما يدخل ابن العمّ لابن عمّه !!! فقلت: يا أميرالمؤمنين أمّا كثرة دعابته فقد كان النبيصلى الله عليه وآله يداعب فلا يقول إلاّ حقّاً، وأين أنت حيث كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول ونحن حوله صبيان وكهول وشيوخ وشبّان، ويقول للصبي: سناقاً سناقاً، ولكلّ ما يعلمه الله يشتمل علىٰ قلبه.

وأمّا بغض قريش له، فوالله ما يبالي ببغضهم له بعد أن جاهدهم في الله حين أظهر الله دينه، فقصم أقرآنها وكسر آلهتها، وأثكل نساءها، لامه من لامه.

وأمّا صغر سنّه، فقد علمت أنّ الله حيث أنزل عليه ﴿براءة من الله ورسوله﴾[1]

---

(١) سورة التوبة: ١.

فوجّه النبي صلى الله عليه وآله صاحبه ليبلّغ عنه، فأمره الله أن لا يبلّغ عنه إلاّ رجل من أهله، فوجّهه به، فهل استصغر الله سنّه ؟!! فقال عمر لابن عبّاس رضي الله عنه: أمسك عليّ وأكتم، فان سمعتها من غيرك لم أنم بين لابتيها[١] .

وجاء في هامش هذه الحكاية: وروى الزبير بن بكّار في الموفقيات، عن عبدالله بن عبّاس، قال: إنّي لأُماشي عمر بن الخطّاب في سكّة من سكك المدينة، إذ قال لي: يابن عبّاس ما أرى صاحبك إلاّ مظلوماً !!! فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت : يا أميرالمؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضىٰ يهمهم ساعة، ثمّ وقف فلحقته، فقال: يابن عبّاس ما أظنّهم منعهم عنه إلاّ أنّه استصغره قومه !!! فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأُولىٰ، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ براءة من صاحبك، قال: فأعرض عنّي وأسرع، فرجعت عنه[٢] .

وإذا أضفنا إلىٰ هذا أنّ القائمين على الأمر قد دعموا هذا الجانب العدائي لأهل البيت عليهم السلام ولا سيّما لعلي عليه السلام، فكان سبّ علي عليه السلام يعلن على المنابر طيلة الحكم الأموي، والترصّد لشيعته بالقتل أو التشديد، ولم يكن الحكم العبّاسي بأحسن حالاً إلى الشيعة وأئمّتهم من بني أُمية .

وهكذا كان حال الشيعة ابان سلاطين بني عثمان، يتبيّن مدى الفظاعة والمعاناة التي نالها الشيعة عبر تاريخهم المظلوم، ولا ذنب لهم إلاّ أنّهم والوا علياً عليه السلام وأخلصوا في الولاء .

---

(١) فرائد السمطين ١: ٣٣٤ - ٣٣٦ ح ٢٥٨.

(٢) نفس المصدر ص ٣٣٦.

مظلومية الشيعة

وأصبح التشيّع نبزاً لمن ينتمي إلىٰ أهل البيت عليهم السلام في معتقده ومسلكه، وكانت الفتن تحاك وتلحم ضدّ الشيعة والتشيّع عبر التاريخ، واشتدّت المحنة على الشيعة في زمان معاوية بن أبي‌سفيان وما تلاه من العصور، فكانت تشنّ الغارات علىٰ بلاد الشيعة، فتقتل رجالها، وتسبي نساؤها، كما فعل بسر بن أرطاة في اليمن، وغيره في غيرها[١].

وتوالت الأحداث المؤلمة على الشيعة وأئمّتهم، وكان الظالمون يوغلون في سفك دمائهم، وكانت سلسلة المؤامرات والابادة تشتدّ وتضعف بين حين وآخر، حتّى استولىٰ على الأمر سلاطين بني عثمان، فاستصدروا الفتاوىٰ من قضاة الجور في ابادة الشيعة، وأوعزوا إلىٰ ولاتهم على الأطراف بسحقهم، وراح عشرات الآلاف من الشيعة ضحايا النصب والعدوان[٢].

ولا نريد الافاضة في الحديث عن مظلومية الشيعة، فانّه حديث ذو شؤون وشجون يخرجنا عمّا نحن بصدده، وللحديث عنها مجال آخر.

علماء الشيعة

ولكن هذه الحملات المسعورة الغاشمة لم تكن توهن الشيعة في عقيدتها، أو تفتّ في عضدها، بل أثبتوا للتاريخ أنّهم فوق الأحقاد والضغائن، ولم يكن رائدهم إلاّ الحقّ، وكان من ورائهم علماؤهم الذين حملوا الأمانة بيقين لا يعرف الشكّ،

---

(١) لاحظ: الغدير في الكتاب والسنّة ١١: ١٧ – ٢٠، والنصب والنواصب ص ٢٨٧ – ٢٨٩.

(٢) النصب والنواصب ص ٥٧١ – ٥٧٤.

وبصلابة لا تعرف الخنوع، بعيدين عن الدنيا وزخارفها، تاركين أبناء الدنيا، يتصارعون علىٰ حطامها، وكانوا علىٰ منهاج أئمّتهم علي وأبنائه عليهم السلام.

ومن الشواهد علىٰ ما ندّعيه ما ذكره الرجاليون في أحوال محمّد بن أبي‌عمير - الراوي المشهور - أنّه حبس في أيّام الرشيد، فقيل: ليلي القضاء، وقيل: إنّه ولي بعد ذلك، وقيل: بل ليدلّ علىٰ مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليهما السلام، وروي أنّه ضرب أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقرّ لعظيم الألم، فسمع محمّد بن يونس بن عبدالرحمٰن وهو يقول: اتّق الله يا محمّد بن أبي‌عمير، فصبر ففرّج الله. وروي أنّه حبسه المأمون حتّىٰ ولاّه قضاء بعض البلاد[(١)].

وفي رواية الفضل بن شاذان: سعي بمحمّد بن أبي‌عمير - واسم أبي‌عمير زياد - إلى السلطان أنّه يعرف أسامي عامّة الشيعة بالعراق، فأمر السلطان أن يسمّيهم، فامتنع وعلّق بين القفازين - العقارين - وضرب مائة سوط، قال الفضل: فسمعت ابن أبي‌عمير يقول: لمّا ضربت فبلغ الضرب مائة سوط أبلغ الضرب الألم إليّ، فكدت أن أُسمّي، فسمعت نداء محمّد بن يونس بن عبدالرحمٰن يقول: يا محمّد بن أبي‌عمير أُذكر موقفك بين يدي الله، فتقوّيت بقوله، فصبرت ولم أخبر والحمد لله، قال الفضل: فأُضرّ به في هذا الشأن أكثر من مائة ألف درهم[(٢)].

وهكذا كانوا يتوارثون العزّة والكرامة والاباء حتّىٰ حفظوا تعاليم أهل البيت عليهم السلام وصانوها، وقد جعلوا من أنفسهم درعاً حصينة لحمايتها، الأمر الذي جعل للشيعة خطّاً فكرياً مميّزاً في شتّى المعارف الدينية، ومنهلها في ذلك الثقلان

---

(١) معجم رجال الحديث ١٥: ٢٩١ الطبعة الخامسة.

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٤.

كتاب الله وعترة رسوله ﷺ.

وفي طليعة علماء الشيعة ومحقّقيها، وممّن حملوا الأمانة بإخلاص، مؤلّف هذا الكتاب القيّم، الشيخ الفاضل المحقّق الحسن ابن العالم المحقّق الشهير علي بن عبدالعال الكركي العاملي، ويكفي فى التعريف بمقامه ومقام والده، أنّهما خدما الشيعة وأهلها بأعمالهما وآثارهما الباقية، ولوالده المحقّق الكركي قدّس الله أسراره دور واسع في نشر معارف الشيعة وحقائقها، فجزاهما الله عن الاسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

حياة المؤلّف

على الرغم من تتبّع التراجم والمعاجم الرجالية، لم أعثر علىٰ ترجمة مبسوطة لمؤلّف الكتاب الشيخ حسن الكركي العاملي، وأمّا ترجمته المختصرة، فهي:

اسمه ونسبه

هو العلاّمة المحقّق الشيخ حسن ابن المحقّق الشهير الشيخ علي بن الشيخ حسين بن عبدالعال الكركي العاملي.

قال السيد الأميني في الأعيان: والمترجم هو ولد المحقّق الكركي الشهير، وأبوه وإن اشتهر بالشيخ علي بن عبدالعالي إلاّ أنّ ذلك من باب النسبة إلى الجدّ، وإلاّ فهو علي بن حسين بن عبدالعالي.

قال الفاضل الأفندي: والكركي ـ بفتح الكاف والراء المهملة المفتوحة والكاف أخيراً ـ نسبة إلىٰ كرك من بلاد البلقا في ديار الشام من الاقليم الثالث الحقيقي، والاقليم السادس العرفي.

قال في تقويم البلدان: هو بلد مسوّر بالشام، وله حصن عالي المكان، وهو أحد المعاقل بالشام التي ترام، وعلىٰ بعض مرحلة منه مؤتة وبها قبر جعفر الطيّار

وأصحابه، وتحت الكرك وادٍ فيه حمام وبساتين كثيرة وفواكهها مفضّلة من المشمش والرمان والكمثرىٰ وغير ذلك، وهو علىٰ أطراف الشام من جهة الحجاز، وبين الكرك والشوبك نحو ثلاث مراحل، ويعرف الكرك بكرك نوح، ولعلّه ممّا بناه نوح عليه السلام. والشوبك ـ بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وباء موحّدة مفتوحة وفي آخره كاف ـ بلدة صغيرة بالشام كثير البساتين، وغالب أهلها نصارىٰ(١).

وقال السيد الأميني: الكركي نسبة إلىٰ كرك نوح، وصاحب الرياض لبعده عن هذه البلاد ظنّ أنّه نسبة إلىٰ كرك الشوبك(٢).

الاطراء عليه

قال الفاضل الافندي: فاضل، عالم، فقيه، متكلّم، عظيم الشأن، وهو ابن الشيخ علي الكركي المشهور وخال السيّد الداماد، وكان من علماء دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي.

ثمّ قال: ولم أجده في أمل الآمل، وهو غريب؛ لأنّه مع شهرة اسمه قد أورده نفسه في رسالة الاثني‌عشرية في الردّ على الصوفية، ونسب إليه كتاب عمدة المقال في كفر أهل الضلال، وينقل عنه. وتوهّم كونه رحمه الله سبط الشيخ علي المذكور، فيكون بعينه صاحب رسالة اللمعة في الجمعة وغيرها من الرسائل الذي عندنا بعض مؤلّفاته، باطل كما سيظهر(٣).

وذكره السيّد حسن الصدر في تكملته بنحو ما ذكره صاحب الرياض مع

---

(١) رياض العلماء ١: ٢٦١.

(٢) أعيان الشيعة ٥: ١٨٦.

(٣) رياض العلماء ١: ٢٦٠.

اختصار كلامه[١].

آثاره القيّمة

١ ـ البلغة في وجوب صلاة الجمعة مع إذن الامام عليه السلام. قال السيّد حسن الصدر: رتّبها علىٰ مقدّمة ومقالة وخاتمة، فرغ منها سنة ستّ وسبعين وتسعمائة[٢].

وقال المحقّق الطهراني: أوّله الحمد لله الذي أحقّ الحقّ بفضله العميم، وأبطل الباطل بلطفه الجسيم. مشتمل علىٰ مقدّمة ومقالة وخاتمة، فرغ منه في أوّل شعبان سنة (٩٦٦) رأيته ضمن مجموعة من رسائل الجمعة كلّها بخطّ واحد، دوّنها كاتبها الشيخ محمّد بن الحسن بن محمّد الأصفهاني، وفرغ من بعضها سنة (١٠٠٩) ومن بعضها سنة (١٠١٠) وهي عند المحدّث المعاصر الشيخ عبّاس القمّي[٣].

أقول: وفي التكملة: فرغ من كتابتها سنة (٩٧٦)، ولعلّ ما في الذريعة صحيح، والله العالم.

٢ ـ شرح الارشاد. قال الفاضل الأفندي: وقد نسب السيّد الداماد في حواشي شارع النجاة إلىٰ خاله كتاب شرح الارشاد وينقل عنه بعض الفتاوي، ولعلّ مراده به هو هذا الشيخ أو أخوه الشيخ عبدالعالي بن الشيخ علي، فلاحظ.

٣ ـ عمدة المقال في كفر أهل الضلال، سيأتي البحث عنه.

٤ ـ مناقب أهل البيت ومثالب أعدائهم وكفرهم، نسبه إلىٰ نفسه في مقدّمة كتابه عمدة المقال.

---

(١) تكملة أمل الآمل ص ١٥٤.

(٢) تكملة أمل الآمل ص ١٥٥.

(٣) الذريعة ٣: ١٤٦.

٥ ـ المنهاج القويم في التسليم، قال الفاضل الأفندي: عندنا منه نسخة، وهي مختصرة في تحقيق مسألة التسليم في الصلاة، قد ألّفها في مشهد الرضاعليه السلام سنة أربع وستّين وتسعمائة.

حول الكتاب

هو كتاب عمدة المقال في كفر أهل الضلال، قال الفاضل الأفندي: تعرّض فيه لتكفير أهل الضلال وتنجيسهم، ولقدح الصوفية، وعندنا منه نسخة، وقد ألّفه باسم السلطان شاه طهماسب الصفوي، وفرغ من تأليفه في مشهد الرضاعليه السلام سنة اثنين وسبعين وتسعمائة.

ونقل عن هذا الكتاب العلاّمة مطهّر بن محمّد المقدادي في كتابه سلوة الشيعة في الردّ على الصوفية، ألّفها سنة (١٠٦٠) هـ[(١)].

ونقل عنه أيضاً العلاّمة عبدالمطّلب بن يحيى الطالقاني في رسالته خلاصة الفوائد[(٢)].

ونقل عنه أيضاً العلاّمة الشيخ حرّ العاملي في كتابه الاثناعشرية في الردّ على الصوفية[(٣)].

وقال المحقّق الطهراني: عمدة المقال في كفر أهل الضلال، يعنى المتصوّفة من العامّة، للشيخ حسن ابن الشيخ علي المحقّق الكركي، حكىٰ فيه عن كتاب والده

---

(١) راجع: الروضة النضرة، طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر ص ٥٦٨.

(٢) رسالة خلاصة الفوائد ص ٣١٧ المطبوعة في مقدّمة كتاب كفاية المهتدي للعلاّمة الأمير لوحي الموسوي السبزواري.

(٣) الاثناعشرية في الردّ على الصوفية ص ٥٠ ـ ٥١.

الموسوم المطاعن المجرمية، وتعرّض فيه لتكفير أهل الخلاف والبدع المتصوّفة وتنجيسهم الخ[1].

أقول: صاحب الذريعة لم ير الكتاب، وزعم أنّ الكتاب في الردّ على الصوفية، بل هو في إثبات كفر المخالفين والمعاندين لأهل البيت عليهم السلام، واستطرف في بعض أبحاثه لكفر الصوفية، كما لا يخفىٰ على المراجع.

وقابلت الكتاب علىٰ نسختين نفيستين:

إحداهما: نسخة العلاّمة الفاضل الأفندي، وهي النسخة المشار إليها في الرياض في ترجمته.

والأُخرىٰ: نسخة الفاضل أبي الصمصام حسام الدين ذوالفقار بن الحاج علي سلطان القهپائي، وهو المعروف بصاحب المكتبة الثمينة النفيسة، ويذكر صاحب الرياض في رياضه وفوائده عن بعض الكتب الموجودة في مكتبته.

والنسختان محفوظتان في مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي قدّس سرّه برقم: ١٣٠٠٧ و ١٣٠٣٧.

وآليت جهدي في تحقيق الكتاب ومقابلته مع النسختين النفيستين، واستخراج المصادر من الآيات والروايات والأقوال، وأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يتقبّل منّا بلطفه الكريم، ويجعله ذخراً ليوم لا ينفع مال ولا بنون، والحمد لله ربّ العالمين.

١٥ ـ ذي الحجّة الحرام ـ ١٤٢٧ هـ ق   **السيّد مهدي الرجائي**

---

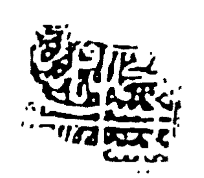
(١) الذريعة ١٥: ٣٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نهج لعباده سبيل الرشاد ففرض عليهم موالاة أوليائه والبراءة من اعدائه وسيلة الى الفوز بالنعيم المقيم في المعاد و الصلوة والسلام على سيد الانام وآله المنزهين عن الآثام صلوة تترادف عليهم ترادف الليالي والايام امّا بعد فيقول العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله الملك المتعال الحسن بن علي بن عبد العال انّي كنت قد الّفت في سالف الزمان كتاباً ضمّنته شيئاً من مناقب اهل بيت النبوة الاتقياء البررة الذين اوجب الله مودّتهم ومثالب اعدائهم الكفرة الفجرة الذين الزم بمحادّتهم والبراءة منهم ومن المنتمين اليهم والمعتقدين امامتهم لدخولهم في زمرة الكافرين بانكارهم كثيراً من ضروريات الدين كما شهدت به الآيات القرآنية والاخبار المتواترة النبوية وقد اوردت جملة منها في ذلك الكتاب ثم انه قد سالني بعض ذوي الالباب ان افردها في رسالة على وجه الالزام لهم فامتثلت مسئوله اللهم والتزمت في كل دليل بايراد

ما يقتضي

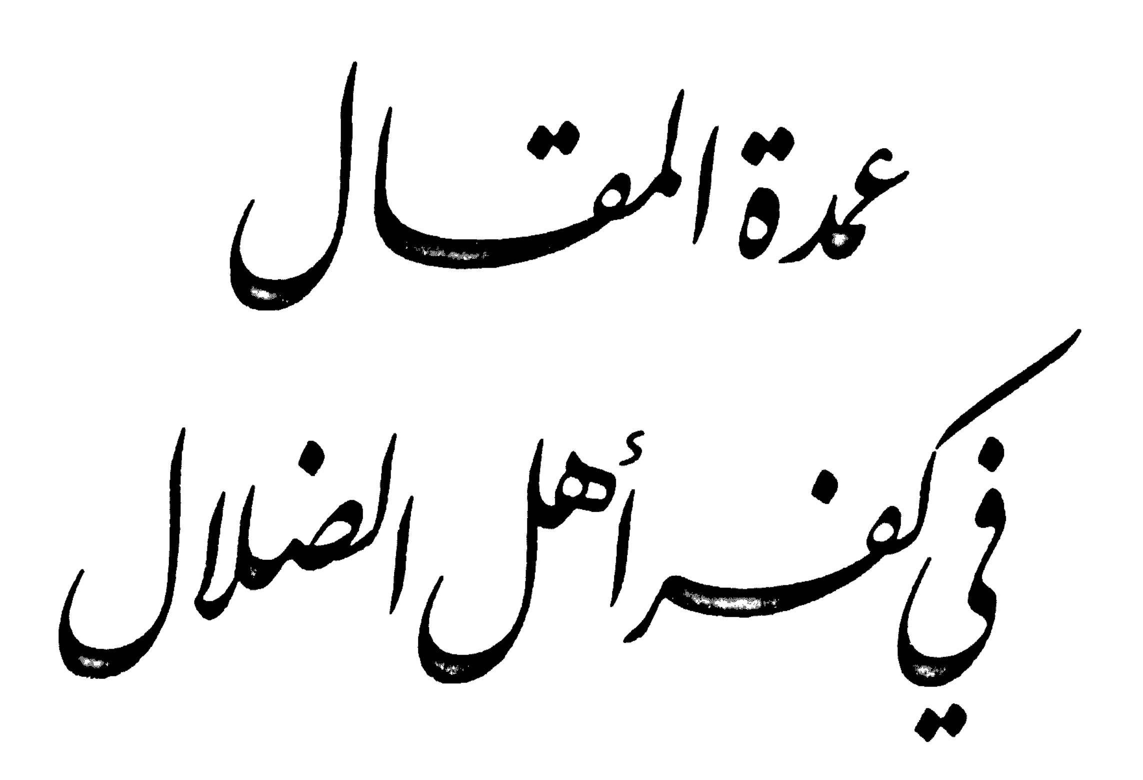
الصفحة الأولىٰ من نسخة العلاّمة الأفندي صاحب الرياض



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نهج لعباده سبيل الرشاد فرض عليهم موالاة أوليائه والبراءة من أعدائه وسيلة إلى الفوز بالنعيم المقيم في المعاد والصلوة والسلام على سيد الأنام وآله المنزهين عن الآثام صلوة تترادف عليهم ترادف الليالي والأيام أما بعد فيقول العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله الملك المتعال الحسن بن علي بن عبد العال الكركي قد ألفت في سالف الزمان كتاباً ضمنته شيئاً من مناقب أهل بيت النبوة الأتقياء البررة الذين أوجب الله مودتهم ومثالب أعدائهم الكفرة الفجرة الذين ألزم مجادتهم والبراءة منهم ومن المنتمين إليهم المعتقدين إمامتهم لدخولهم في زمرة الكافرين بإنكارهم كثيراً من ضروريات الدين كما شهدت به الآيات القرآنية والأخبار المتواترة النبوية وقد أوردت جملة منها في ذلك الكتاب ثم إنه قد سألني بعض ذوي الألباب أن أفردها في رسالة على وجه الإلزام التام فامتثلت مسؤله المهم والتزمت في كل دليل بإيراد

الصفحة الأُولى من نسخة العلاّمة ذي الفقار القهپائي



عمدة المقال في كفر أهل الضلال

للعلاّمة المحقق

الشيخ حسن بن علي الكركي العاملي

من أعلام القرن العاشر

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي نهج لعباده سبيل الرشاد، ففرض عليهم موالاة أوليائه، والبراءة من أعدائه، وسيلة إلى الفوز بالنعيم المقيم في المعاد، والصلاة والسلام علىٰ سيّد الأنام وآله المنزّهين عن الآثام، صلاة تترادف عليهم ترادف الليالي والأيّام.

أمّا بعد: فيقول العبد الضعيف المحتاج إلىٰ رحمة الله الملك المتعال **الحسن بن علي بن عبدالعال**: إنّي كنت قد ألّفت في سالف الزمان كتاباً ضمّنته شيئاً من مناقب أهل بيت النبوّة الأتقياء البررة الذين أوجب الله مودّتهم، ومثالب أعدائهم الكفرة الفجرة الذين ألزم محادّتهم، والبراءة منهم، ومن المنتمين إليهم، والمعتقدين إمامتهم؛ لدخولهم في زمرة الكافرين بإنكارهم كثيراً من ضروريات الدين، كما شهدت به الآيات القرآنية والأخبار المتواترة النبوية، وقد أوردت جملة منها في ذلك الكتاب.

ثمّ إنّه قد سألني بعض ذوي الألباب أفردها في رسالة علىٰ وجه الإلزام لهم، فامتثلت مسؤوله المهمّ، والتزمت في كلّ دليل بإيراد ما يقضي بكفرهم، ممّا نقلوه في كتبهم، وأثبتوه في مصنّفاتهم، إقامة لكمال الحجّة عليهم.

ولمّا كان التوفيق بإنشائها ببركات السلطان الأعظم، مالك ملوك العرب والعجم، خليفة الله في العالم، أعني: المؤيّد من عند الله بالدولة القاهرة العادلة

الباهرة العالية العلية العلوية الشاهية الصفوية الموسوية، أمدّها الله تعالىٰ بألطافه الربّانية، وأيّدها بتأييداته الغيبية، وذلّل لها رقاب الملوك والحكّام، وقرن أيّامها بالخلود والدوام، بالنبي وعترته الرضية المرضية، أحببت أن أجعلها تحفة لحضرته الزكية، وقصدت بها مع ذلك التقرّب إلى الله تعالىٰ وإلىٰ نبيه المصطفىٰ وأهل بيته أئمّة الهدىٰ والعروة الوثقىٰ، عليه وعليهم أفضل الصلاة وأكمل الثناء، وامتثال مسؤول من ذكرت من الأولياء، وسمّيتها بـ«**عمدة المقال في كفر أهل الضلال**» .

أقول وبالله التوفيق والعصمة من الزيغ في المقال: لا ريب في كفرهم لوجوه كثيرة :

أحدها

تكذيبهم ما شهد به العقل والنقل من عصمة الأنبياء عليهم السلام

الذين هم معادن وحي الله وحفظة شرعه، من كبائر الذنوب وصغايرها، عمداً وسهواً، قبل النبوّة وبعدها، وكذا أئمّة الهدىٰ عليهم جميعاً السلام، بل تقبيح ذكرهم وإساءة سمعتهم بأُمور لو عرضت علىٰ أعداء الإسلام من أهل الملل المنسوخة لشهدوا بتنزّههم عنها، وسأُشير إلىٰ بعضها روايةً عن الحميدي وغيره مع الكلام عليه إن شاء الله تعالىٰ .

ولهذا أجمعت الإمامية على القول بعدم تجويز وقوع شيء من الذنوب منهم في حال من الأحوال لعصمتهم، فضلاً عن القول بعدم وقوعها منهم لعدالتهم، وإلّا لزم إخلال الله سبحانه بلطف الطمأنينة والوثوق بأقوالهم، فتنتفي فائدة بعثتهم؛ للعلم الضروري بأنّ تجويز وقوعها عليهم يقتضي عدم الأمن منهم على الإقدام على الذنوب، فلا تسكن النفوس إلىٰ قبول أقوالهم، سكونها إلىٰ من لا تجوز وقوعها عليه، بل تنفر بحكم العادة عن قبولها، وإن وقع منهم قبل النبوّة؛ لقضاء الضرورة

بأنّ من عهد منه كبيرة وإن تاب وخرج عن استحقاق الذمّ والعقاب، أو صغيرة وإن وقعت مكفّرة، لا طمأنينة إلىٰ قوله، كما أشرنا إليه، وإن تفاوت ارتفاعها بتفاوت الذنوب .

وبما قرّرناه اتّضح أنّ التنفير لا يتوقّف علىٰ لحوق الذمّ والعقاب، كما زعمه أهل البدعة، وإلّا لما وجد التنفير في بعض المباحات الخسيسة والخُلق والهيئات البشعة المنظر، والكبائر الواقعة منهم عمداً قبل البعثة، لزوال الأمرين بالتوبة، واللازم باطل قطعاً .

علىٰ أنّ المذنب ظالم، فلا ينال عهد النبوّة، وإن وقع منه الذنب قبلها، كما لا ينال عهد الإمامة وإن وقع منه متقدّماً علىٰ إمامته؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] .

وقد اتّفق محقّقوا الأُصوليين علىٰ أنّه لا يشترط في المشتقّ بقاء أصله، وأيضاً بطلان القول بالإحباط يقتضي أن لا تؤثّر التوبة في سقوط العقاب، بل يسقطه الله تعالىٰ عندها تفضّلاً، وذلك يستلزم وجود التنفير ولو علىٰ القول بتوقّفه علىٰ لحوقه، كما زعمه الخصم، وليس فعل الصغيرة كترك النافلة؛ لأنّها ليست منفرة من حيث قلّ الثواب معها، بل من حيث إنّها معصية، ولأنّها تنقص ثواباً مستحقّاً، بخلاف ترك النافلة .

ومن ذلك تبيّن بطلان ما ذهب إليه أهل الضلالة من تجويز الصغائر عليهم

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤، وقد تعرّض الأصحاب في كتبهم الكلامية وتفاسيرهم لهذه الآية الشريفة، فراجع كتب الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيّد المرتضىٰ قدّس الله أسرارهم .

عمداً، كإمام الحرمين من الأشاعرة[١]، وأبي هاشم[٢] من المعتزلة، ومنهم من قيّدها بغير المنفرة، وأبو علي[٣] وأتباعه قالوا: الذنوب إنّما يقدمون عليها تأويلاً، كما في آدم عليه السلام، فإنّه نهي عن جنس الشجرة، فتناول لظنّه أنّ النهي عن العين، فلم يقدم على المعصية مع العلم بأنّها معصية، أو لصرفه النهي عن ظاهره لدليل عنده.

وفيه تنزيه له عن معصية، وإضافة معصيتين إليه؛ لأنّه بزعمهم مخطئ في التناول من الشجرة، وفي عدم التأمّل لمقتضى النهي.

وأصحاب الحديث والحشوية جوّزوا عليهم الكبائر قبل البعثة، وجوّزها بعضهم بعدها سوى الكذب فيما يتعلّق بأداء الشريعة، وبعضهم جوّزه أيضاً بعدها بشرط الاستسرار، وبعضهم مطلقاً.

وآخرون جوّزوا عليهم الكفر لاعتقادهم وقوع المعصية منهم، وكلّ معصية عندهم كفر. وآخرون مع منعهم هذا الاعتقاد جوّزوا عليهم إظهار الكفر تقية خوفاً من الهلاك، وهو يقتضي تركهم إظهار الدعوة؛ لأنّ الضعف في وقتها أتمّ، فيكون

---

(١) هو أبوالحسن علي بن إسماعيل بن أبي‌بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي‌بردة بن أبي‌موسى الأشعري، ويعرف بأبي‌الحسن الأشعري إمام الأشاعرة، كان مولده بالبصرة، ونشؤوه ببغداد، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، توفّي سنة (٣٣٤) ودفن بين الكرخ وباب البصرة، وله مقالات كثيرة في الكلام، تعرّض لها أرباب الكلام في كتبهم.

(٢) هو أبوهاشم عبدالسلام بن محمّد الجبائي، وله مقالات على مذهب الاعتزال، والكتب الكلامية مشحونة بذكر مقالاته ومذهبه واعتقاده.

(٣) هو أبوعلي محمّد بن عبدالوهّاب بن سلاّم بن خالد بن حمران بن أبان الجبّائي، كان من رؤساء المعتزلة، وممّن يذكر مقالاته في كتب الكلام، توفّي سنة (٣٠٣).

أولىٰ بالتقية، وذلك يؤدّي إلىٰ إخفاء الدين بالكلّية.

أمّا الأئمّة، فنقل السيّد المرتضىٰ في تنزيه الأنبياء إتّفاقهم علىٰ جواز تعمّدهم الكبيرة، وقولهم بأنّ وقوعها من الإمام يفسد إمامته ويوجب عزله والاستبدال به[١].

وقال العلّامة في التذكرة: الأظهر عند الشافعية عدم انعزاله بالفسق لتجويزهم إمامة الفاسق[٢].

فإذا كان الفسق لا يمنع من الابتداء، فأولىٰ أن لا يمنع من الاستدامة، ولهم الويل ممّا يصفون.

فإن قالوا: إذا كانوا منزّهين عن الخطأ والعصيان، فما تأويل قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[٣] وكذا الآيات الواردة في خصوص[٤] كلّ نبي المقتضية بظاهرها وقوع المعاصي منهم.

قلنا: أمّا الآية المذكورة، فروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، أنّه قال في تفسيرها ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾ من قومهم، فظنّوا أنّ الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا[٥].

وأمّا الآيات التي ظاهرها وقوع المعاصي منهم، فيجب تأويلها بما لا يخالف ما

---

(١) تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضىٰ ص ٣.

(٢) تذكرة الفقهاء ٤: ٢٧٩.

(٣) سورة يوسف: ١١٠.

(٤) في «ف»: حضور.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠٢.

نطقت به الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة من عصمتهم، وإن أصرّوا على العدم.

وقد رووا أنّ النبي ﷺ نسب آدم وموسىٰ عليهما السلام إلىٰ ما يقوله المجبّرة من أنّه لا فعل إلّا الله، حيث روىٰ منهم الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّه ﷺ قال: إنّ موسىٰ قال له: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنّة: قال: فوجدته قدّره لي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، فألزمه الحجّة[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبي‌هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: احتجّ آدم وموسىٰ، فقال: يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنّة، فقال له آدم: أنت موسىٰ اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده، أتلومني علىٰ أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي ﷺ: فحجّ آدم موسىٰ، فحجّ آدم موسىٰ.

وروىٰ أيضاً باسناده عن أبي‌هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: تحاجّ آدم وموسىٰ، فحجّ آدم موسىٰ، فقال له موسىٰ: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنّة، فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كلّ شيء، واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم، قال: فتلومني علىٰ أمر قدّر عليّ قبل أن أُخلق.

وروىٰ أيضاً باسناده، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: احتجّ آدم وموسىٰ عليهما السلام عند ربّهما، فحجّ آدم موسىٰ، قال موسىٰ: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنّته، ثمّ أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كلّ شيء، وقرّبك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟ قال موسىٰ: بأربعين عاماً، قال آدم، فهل وجدت فيها ﴿وعصىٰ آدم ربّه فغوىٰ﴾ قال: نعم، قال: أفتلومني علىٰ أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ فحجّ آدم موسىٰ. صحيح مسلم ٤: ٢٠٤٢-

وهو من عظيم الافتراء عليه؛ لأنّ أهل بيته الذين أمر الله تعالىٰ بالتمسّك بهم أنكروا مدلوله، ونصّوا علىٰ أنّ جدّهم المصطفىٰ ﷺ يكفّر من يقول بمقتضاه، مع أنّه لا يخلو من تدافع؛ لأنّه إذا كان هو الفاعل وحده، فكيف يتمّ هذا الانكار والجواب؟ وإخبار النبي ﷺ بأنّه حجّة بذلك، وإنّما يكون علىٰ قولهم قد حجّ الله نفسه.

وكذا روىٰ في كتابه المذكور أنّه ﷺ قال: إنّ نبياً من الأنبياء قرصته نملة، فأمر بقرية النمل فأُحرقت[1].

وإنّه أقرّ عائشة على اللعب، وجاريتين علىٰ غنائهما عندها ناهياً أبابكر حين زجرهما، فانصرفتا لمّا نهاهما عمر[2].

⇐ ٢٠٤٤ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسىٰ ﷺ، الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٢٥ عن الجمع بين الصحيحين للحميدي.

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبي‌هريرة، عن رسول الله ﷺ أنّ نملة قرصت نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أنّ قرصتك نملة أهلكت أُمّة من الأُمم تسبّح.

وروىٰ أيضاً باسناده، عن أبي‌هريرة، أنّ النبي ﷺ قال: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأُخرج من تحتها، ثمّ أمر بها فأُحرقت، فأوحى الله إليه: فهلاّ نملة واحدة. صحيح مسلم ٤: ١٧٥٩، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، الطرائف ص ٣٦٣.

(٢) روىٰ مسلم في صحيحه باسناده، عن عائشة، قالت: دخل عليّ أبوبكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنّيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا

⇐

وإنّه أقرّ بعض الحبشة على اللعب عنده حتّىٰ نهىٰ عمر لمّا رماهم بالحصا طلباً لكفّهم (١).

وإنّه صلّى بالناس جنباً، ثمّ أعادها بعد الذكر (٢).

⇐ بمغنّيتين، فقال أبوبكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبابكر إنّ لكلّ قوم عيداً وهذا عيدنا.

وروىٰ أيضاً باسناده عن عائشة، قالت: إنّ أبابكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيّام منىٰ تغنّيان وتضربان، ورسول الله ﷺ مسجّىٰ بثوبه، فانتهرهما أبوبكر، فكشف رسول الله ﷺ عنه وقال: دعهما يا أبابكر فإنّها أيّام عيد، وقالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السنّ. إلىٰ غيرهما، فراجع: صحيح مسلم ٢: ٦٠٧ـ ٦١٠، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب، الطرائف ص ٣٦٤.

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبيهريرة، قال: بينهما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطّاب، فأهوىٰ إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله ﷺ: دعهم يا عمر. صحيح مسلم ٢: ٦١٠ برقم: ٨٩٣، كتاب صلاة العيدين.

(٢) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبيهريرة، قال: اُقيمت الصلاة، فقمنا فعدّلنا الصفوف قبل أن يخرج إلينا رسول الله ﷺ، فأتىٰ رسول الله ﷺ حتّىٰ إذا قام في مصلاّه قبل أن يكبّر ذكر فانصرف، وقال لنا: مكانكم، فلم نزل قياماً ننتظره حتّىٰ خرج إلينا وقد اغتسل ينطف رأسه ماءً، فكبّر فصلّىٰ بنا.

وروىٰ أيضاً عن أبيهريرة، قال: اُقيمت الصلاة وصفّ الناس صفوفهم، وخرج رسول الله ﷺ فقام مقامه، فأومأ إليهم بيده أن مكانكم، فخرج وقد اغتسل ورأسه ⇐

وإنّه صلّى العصر ركعتين، ودخل حجرته، ثمّ خرج لبعض حوائجه، فأذكره بعض أصحابه، فأتمّها[١].

وإنّه فاتته صلاة المغرب يوم الخندق، فقضاها بعد أن أيقظه عمر لمّا استيقظ قبله[٢].

⇐ ينطف الماء، فصلّىٰ بهم. صحيح مسلم ١: ٤٢٢ ـ ٤٢٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب متىٰ يقوم الناس للصلاة.

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبي هريرة، قال: صلّىٰ بنا رسول الله ﷺ إحدىٰ صلاتي العشي إمّا الظهر وإمّا العصر، فسلّم في ركعتين، ثمّ أتىٰ جذعاً في قبلة المسجد، فاستند إليها مغضباً، وفي القوم أبوبكر وعمر، فهابا أن يتكلّما، وخرج سرعان الناس قصرت الصلاة، فقام ذواليدين فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً، فقال: ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق لم تصلّ إلاّ ركعتين، فصلّىٰ ركعتين وسلّم، ثمّ كبّر ثمّ سجد، ثمّ كبّر فرفع، ثمّ كبّر وسجد، ثمّ كبّر ورفع.

ورویٰ أيضاً باسناده، عن عمران بن حصين، أنّ رسول الله ﷺ صلّى العصر فسلّم في ثلاث ركعات، ثمّ دخل منزله، فقام إليه رجل يقال له: الخرباق، وكان في يديه طول، فقال: يا رسول الله فذكر له صنيعه، وخرج غضبان يجرّ رداءه حتّى انتهىٰ إلى الناس، فقال: أصدق هذا؟ قالوا: نعم، فصلّىٰ ركعة، ثمّ سلّم، ثمّ سجد سجدتين، ثمّ سلّم. صحيح مسلم ١: ٤٠٣ ـ ٤٠٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، الطرائف ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن عمران بن حصين، قال: كنت مع نبي الله ﷺ في مسير له، فأدلجنا ليلتنا، حتّىٰ إذا كان في وجه الصبح عرّسنا، فغلبتنا

⇐

وإنّ الخلق يوم القيامة يأتون آدم للشفاعة، فيعتذر إليهم، فيأتون إبراهيم، فيعتذر إليهم بأنّ ربّي غضب عليّ غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله، وإنّي كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي إذهبوا إلىٰ غيري[1].

⇐ أعيننا حتّىٰ بزغت الشمس، قال: فكان أوّل من استيقظ منّا أبوبكر، وكنّا لا نوقظ نبي الله ﷺ من منامه إذا نام حتّىٰ يستيقظ، ثمّ استيقظ عمر، فقام عند نبي الله ﷺ، فجعل يكبّر ويرفع صوته بالتكبير، حتّى استيقظ رسول الله ﷺ، فلمّا رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا فسار بنا. الحديث.

وروىٰ أيضاً باسناده عن عمران بن حصين، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسرينا ليلة حتّىٰ إذا كان من آخر الليل قبيل الصبح، وقعنا تلك الوقعة التي لا وقعة عند المسافر أحلىٰ منها، فما أيقظنا إلاّ حرّ الشمس. إلىٰ أن قال: فلمّا استيقظ عمر بن الخطّاب ورأىٰ ما أصاب الناس، وكان أجوف جليداً، فكبّر ورفع صوته بالتكبير، حتّى استيقظ رسول الله ﷺ لشدّة صوته بالتكبير، فلمّا استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم، فقال رسول الله ﷺ: لا ضير ارتحلوا. صحيح مسلم ١: ٤٧٤ ـ ٤٧٦، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة. الطرائف ص ٣٦٧.

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبي‌هريرة، قال: أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: أنا سيّد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبوالبشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه،

وإنّ موسىٰ لطم ملك الموت حتّىٰ قلع عينه لمّا جاء لقبض روحه[(١)].

وإنّ زيد بن عمرو بن نفيل لقي النبي ﷺ قبل أن يوحي إليه، فقدّم إليه سفرة فيها لحم، فأبىٰ زيد أن يأكل منها، معتذراً بأنّي لا آكل ممّا تذبحون علىٰ أنصابكم، ولا ممّا لا يذكر اسم الله عليه[(٢)].

⇐ وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربّك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنّ ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيري. إلىٰ آخر الحديث. صحيح مسلم ١: ١٨٠ ـ ١٨٧، كتاب الأيمان، باب أدنىٰ أهل الجنّة منزلة فيها، الطرائف ص ٣٦١.

(١) رواه مسلم في صحيحه باسناده، عن أبي‌هريرة، قال: أُرسل ملك الموت إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فلمّا جاءه صكّه ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربّه، فقال: أرسلتني إلىٰ عبد لا يريد الموت، قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه. الحديث.

ورویٰ أيضاً باسناده، عن أبي‌هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: جاء ملك الموت إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فقال له: أجب ربّك، قال: فلطم موسىٰ عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالىٰ فقال: إنّك أرسلتني إلىٰ عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلىٰ عبدي. الحديث. صحيح مسلم ٤: ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣، كتاب الفضائل، باب فضائل موسىٰ عليه السلام، الطرائف ص ٣٦٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باسناده، عن سالم، أنّه سمع عبدالله يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل علىٰ رسول الله ﷺ الوحي، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم، فأبىٰ أن يأكل منها، ثمّ قال: إنّي لا آكل ممّا تذبحون علىٰ أنصابكم، ولا آكل إلاّ ممّا ذكر اسم الله عليه.

صحيح البخاري ٦: ٢٢٥، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والأصنام.

فلينظر العاقل المنصف إلىٰ هؤلاء الكفرة الفجرة كيف صحّحوا هذه الأحاديث الباطلة التي نصبوا[١] فيها رسول الله ﷺ إلىٰ عبادة الأصنام، والأكل ممّا ذبح على الأنصاب، والتهاون بالصلاة، والتقرير على اللعب والغناء، والنهي عن الزجر عنه، وذمّ الأنبياء عليهم السلام والطعن فيهم، ونحو ذلك من المعاصي، وضمّنوها عدم أهـليتهم للشفاعة لما هم عليه من الذنوب، مع ما ورد أنّ المؤمن يشفع فـي مـثل ربـيعة ومضر[٢].

فكيف هم وروىٰ أيضاً الغزالي في إحياء العـلوم[٣]: إنّـهم لم يـتخلّصوا مـن الوساوس الشيطانية، وإنّ النبي ﷺ أقرّ الجواز على الغناء واللعب، وأمرهم بالكفّ عن ذلك لمّا جاء عمر، ثمّ بالعود إليه لمّا انصرف معلّلاً بأنّه رجل لا يحبّ سماع الباطل.

وإنّه كان يسابق عائشة، فسبقته يوماً، وسبقها في بعض الأيّـام، فـقال: هـذا بذاك[٤].

إلىٰ غير ذلك من أخبارهم التي لم يقصدوا باختلاقها إلّا مـجرّد مـدح أئـمّة كفرهم، ورؤساء نحلتهم، وعدم قدح وقوع المعاصي منهم في إمامتهم، وأعرضوا عن استلزامها انتفاء الوثوق بأقوالهم وعدم وجوب طـاعتهم، المـقتضي لانـتفاء فائدة بعثتهم، وسقوط منزلتهم، المـانع مـن حـصول الانـقياد إليـهم، وانـحطاط

---

(١) كذا في النسختين، ولعلّ الصحيح: نسبوا.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١١، بحار الأنوار ٧: ٣٠٠.

(٣) الطرائف ص ٣٦٤ عنه.

درجاتهم عن أقلّ العوام؛ لأنّ صدور الذنب عنهم أفحش، وردّ شهادتهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] فينتفي عموم شهادتهم على الوحي، ووجوب الانكار عليهم، والتبرّي منهم؛ لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عموماً، وبطلان القول بالإحباط.

ومن هذا التعليل يستفاد بطلان اعتذارهم عن ذلك، بأنّ لزومه إنّما يتأتّىٰ أن لو صدر عنهم الذنب بعد الوحي، ونحن لا نقول به، وإن التزمنا بصدوره عنهم بعده قيّدناه بالصغائر، وذلك لما تقدّم أنّ منهم من قال بصدوره عنهم بعده على الاطلاق، وأيضاً إذا لم تحبط الحسنة السيّئة بقيت المؤاخذة عليها وإن صدرت قبله، وكذا انتفاء الوثوق لازم علىٰ كلّ تقدير حتّىٰ لو كانت صغيرة.

وبعد فما تقدّم آنفاً من مثل رواية الغزالي والحميدي تقتضي إصرار النبي ﷺ على الغناء واللعب، وقد ورد النصّ المستفيض عنه ﷺ بأنّ الإصرار على الصغيرة كبيرة[2]. وفي رواية أُخرىٰ للحميدي زيادة جواز الكفر عليه قبل البعثة.

فقد صحّحوا القول بتعمّده الكبيرة بتصحيح مثل هذه الرواية المنكرة، ويلزمهم أن يقولوا بجواز سبّه؛ لأنّ الكبيرة يلزمها ذلك ببديهة العقل وضرورته، وعدم عموم رئاسته في أُمور الدين والدنيا بأسرها، فيحتاج في البعض إلىٰ مرشد، بل ذهبت المعتزلة إلى انتفاء إيمان فاعلها وكفره.

وقد تضمّنت رواية الحميدي المتقدّمة إخبار النبي ﷺ بالتزام آدم وموسىٰ عليهما السلام بما يقوله المجبّرة من أنّ العبد لا اختيار له، مع أنّهم رووا في كتبهم أنّه حكم بكفر

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) أُصول الكافي ٢: ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

من هذا معتقده، فيلزمهم القول بأنّه نسب إليهما الكفر، والالتزام بجواز سبّ أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وهو من أقبح الكفر وأشنعه، بدليل إجماع المسلمين علىٰ أنّه يجب علىٰ سامعه قتل من صدر منه في الحال من غير افتقارٍ إلىٰ إذن الإمام، وإن افتقر القتل للكفر بالارتداد ونحوه إلىٰ إذنه .

أمّا أئمّة الهدىٰ عليهم السلام، فيلزمهم أيضاً القول بجواز سبّهم؛ لاتّفاق كلمتهم علىٰ أنّ الإمام يجوز عليه تعمّد الكبائر فضلاً عن الصغائر، كما تقدّم نقله عن السيّد المرتضىٰ؛ لأنّه لا يشترط عندهم عصمته، بل يكفي عدالته التي يجوز معها وقوع الذنب، وليست منزلته أعلىٰ من منزلة النبي ليلتزموا بامتناع وقوع الذنب منه لا من النبي .

فقد تقدّم أيضاً أنّ الأظهر عند الشافعية عدم انعزاله بالفسق، وحجّتهم أنّ الغرض منه حفظ نظام الوجود، ولهذا جوّزوا إمامين في إقليمين، وقالوا: بأنّه لو بايع جمع من الأعيان شخصاً، بل واحد نافذ الحكم، بل لو تغلّب على الإمام العدل متغلّب وقهره، إنعقدت إمامته عندهم، وصار خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بزعمهم، وإن كان من شرار الخلق، وانعزل الأوّل وصارت مقاصد الشرع بيد الثاني .

وهو مردود، بل الغرض منها حفظ الشرع الشريف من الخطأ، وعلّة الحاجة إليها عدم عصمة الخلق، فلو لم يكن معصوماً لم يحصل غرض الحكيم جلّ اسمه، لكن اللازم باطل، فالملزوم مثله .

الوجه الثاني

عدم إقرارهم بعموم إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

لزعمهم أنّ خليفتهم الأوّل والثاني والثالث ليسوا من جملة رعيته، ولا من المأمورين بطاعته، بل هو أمير علىٰ من سواهم .

مع أنّهم رووا في صحاحهم بعدّة طرق أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر سائر الصحابة بأن يسلّموا عليه بامرة المؤمنين[١]. وأنّه كان من جملتهم صنمي قريش.

وروىٰ أحمد بن حنبل في مسنده، وابن مردويه في مناقبه، وكانا من رؤساء علمائهم أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا نصّ علىٰ علي عليه السلام يوم الغدير بقوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» لقيه عمر بن الخطّاب، فقال له: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة[٢].

وفي بعض روايات ابن المغازلي الشافعي أنّه قال بعد هذه التهنئة: أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة[٣].

وممّن روىٰ هذه التهنئة من متأخّري علمائهم البغوي في المصابيح، وأورده في المشكاة.

ولا ريب أنّ هذه التهنئة من رئيسهم المسورة بكلّ تقتضي الجزم بأن يراد بالمولىٰ الأولىٰ بالتصرّف، لمن نظر بعين الإنصاف إلىٰ أوّل الحديث وآخره، وكيفية ما جرىٰ من نزول النبي صلى الله عليه وآله بالحاج العظيم الذي يقرب من ستّين ألف نفس في غدير خمّ لمّا رجع من حجّة الوداع، وندائه باجتماعهم في وقت الظهيرة الشديد الحرّ، ليبلّغ إليهم ما أُنزل إليه من ربّه، ممّا بشّره بعصمته من القتل علىٰ

---

(١) راجع إلىٰ مصادر الحديث: إحقاق الحق ٤: ١٨ ـ ٢٤ و ٢٧ و ١٠١ و ٢٤٥ و ٢٧٥ ـ ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٤ و ٢٨٨ و ٣٤٤، و ١٥: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ وغيرها.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٨، مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٢٠ ـ ١٢٢، الطرائف ص ١٤٦ عنهما.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ١٩.

تبليغه.

إذ لا يمكن والحال هذه أن يكون غرضه من ذلك التبليغ الذي صدّره بالاستفهام التقريري بقوله «ألست أولىٰ منكم بأنفسكم» ليكون حجّة على الكلّ إلىٰ يوم القيامة، وتعقّبه نزول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ إرادة إعلامهم أنّ علياً عليه السلام ناصرهم أو جارهم ونحوه، ممّا لا ينكره الولي والعدوّ، بل ما تقدّم ذكره.

ويؤيّده أيضاً إنشاد الشعراء ذلك بأبلغ وجه بحضرة النبي صلى الله عليه وآله.

فمن ذلك: قول حسّان بن ثابت في قصيدته بعد أن استأذنه، فأذن له بقوله: قل علىٰ بركة الله تعالىٰ:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخمّ واسمع بالنبي مناديا

بأنّي مولاكم نعم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلٰهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدنّ منّا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا[١]

ونحوه أنشد غيره بحضرته من غير أن ينكر عليهم، ولو كان لنقل؛ لتوفّر الدواعي علىٰ نقله، لكن جمع من المخالفين عاندوا في صرف هذه اللفظة إلىٰ غير ذلك من المعاني التسعة[٢] لمّا تعذّر عليهم الطعن في سند الحديث المذكور؛ لبلوغه

---

(١) الطرائف ص ١٤٦، مقتل الخوارزمي ص ٤٧، المناقب لابن المغازلي ص ٨٠، المناقب لابن مردويه ص ١٢١، الغدير للعلاّمة الأميني ٢: ٣٥، إحقاق الحقّ ٦: ٢٧٥.

(٢) قال ابن الأثير في نهايته: قد تكرّر ذكر المولىٰ في الحديث، وهو اسم يقع علىٰ جماعة كثيرة، فهو الربّ، والمالك، والسيّد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحبّ،

حدّ التواتر.

فقد نقله من علمائنا: السيّد المرتضىٰ[1]، والشيخ أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي[2].

⇐ والتابع، والجار، وابن العمّ، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه، ثمّ قال: ومنه الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» يحمل علىٰ أكثر الأسماء المذكورة. النهاية لابن الأثير ٥: ٢٢٥.

(١) قال الشريف الأجلّ المرتضىٰ علم الهدىٰ في الشافي ٢: ٢٦٠: الوجه المعتمد في الاستدلال بخبر الغدير على النصّ هو ما نرتّبه، فنقول: إنّ النبي صلى الله عليه وآله استخرج من اُمّته بذلك المقام الاقرار بفرض طاعته، ووجوب التصرّف بين أمره ونهيه، بقوله صلى الله عليه وآله «ألست أولىٰ بكم منكم بأنفسكم؟» وهذا القول وإن كان مخرجه مخرج الاستفهام، فالمراد به التقرير، وهو جارٍ مجرىٰ قوله تعالىٰ ﴿ألست بربّكم﴾ فلمّا أجابوه بالاعتراف والاقرار، رفع بيد أميرالمؤمنين عليه السلام وقال عاطفاً علىٰ ما تقدّم: فمن كنت مولاه فهذا مولاه. وفي روايات اُخرىٰ: فعلي مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فأتىٰ عليه السلام بجملة يحتمل لفظها معنى الجملة الاُولىٰ التي قدّمها، وإن كان محتملاً لغيره، فوجب أن يريد بها المعنى المتقدّم الذي قرّرهم به علىٰ مقتضى استعمال أهل اللغة، وعرّفهم في خطابهم، وإذا ثبت أنّه صلى الله عليه وآله أراد ما ذكرناه من ايجابه كون أميرالمؤمنين عليه السلام أولىٰ بالامامة من أنفسهم، فقد أوجب له الامامة؛ لأنّه لا يكون أولىٰ بهم من أنفسهم إلاّ فيما يقتضي فرض طاعته عليهم، ونفوذ أمره ونهيه فيهم، ولن يكون كذلك إلاّ من كان إماماً.

(٢) رواه في عدّة مواضع من أماليه، روىٰ باسناده عن سهم بن الحصين الأسدي، قال: قدمت إلىٰ مكّة أنا وعبدالله بن علقمة، وكان عبدالله بن علقمة سبّابة لعلي عليه السلام

⇐

ومحمّد بن جرير الطبري(١)، ومحمّد بن سعيد بن عقدة(٢)، ونحوهم بعدّة

⇐ دهراً، قال: فقلت له: هل لك في هذا ـ يعني أباسعيد الخدري ـ نحدث به عهداً؟ قال: نعم، فأتيناه، فقال: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: نعم إذا حدّثتك فسل عنها المهاجرين وقريشاً، إنّ رسول الله ﷺ قام يوم غدير خمّ فأبلغ، ثمّ قال: يا أيّها الناس ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قالها ثلاث مرّات، ثمّ قال: اُدن يا علي، فرفع رسول الله ﷺ يديه حتّىٰ نظرت إلىٰ بياض آباطهما، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثلاث مرّات. قال: فقال عبدالله بن علقمة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أبوسعيد: نعم وأشار إلىٰ اُذنيه وصدره، قال: سمعته اُذناي ووعاه قلبي. الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٤٧ برقم: ٤٣٣.

وروىٰ أيضاً باسناده عن أنس بن مالك، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٣٢ برقم: ٦٦٤. وراجع: الأمالي ص ٣٣٤ برقم: ٦٧٢ و ص ٣٤٣ برقم: ٧٠٤ و ص ٢٥٤ برقم: ٤٥٦ و ص ٢٥٥ برقم: ٤٥٩. ورواه الشيخ الطوسي أيضاً في سائر كتبه الكلامية.

(١) قال السيّد ابن طاووس في الطرائف ص ١٤٢: وقد روىٰ الحديث في ذلك محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه حديث الولاية.

(٢) قال السيّد ابن طاووس في الطرائف ص ١٣٩: وممّن صنّف في حديث الغدير أبوالعبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة، وهو ثقة عند أرباب المذاهب، وجعل ذلك كتاباً محرّراً سمّاه حديث الولاية، وذكر الأخبار عن النبي ﷺ بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، ثمّ ذكر تسمية من روىٰ حديث

أسانيد.

ومن رؤساء العامّة: أحمد بن حنبل في مسنده[١]، وابنه عبدالله أيضاً في مسنده[٢]، وابن المغازلي في مناقبه[٣]، والثعلبي في تفسيره[٤]، والحميدي في

⇐ الغدير من الصحابة يتجاوز عددهم عن المائة، فراجع.

وروى الشيخ الطوسي في أماليه، عن ابن الصلت، عن الحافظ ابن عقدة، عن علي بن محمّد، عن داود بن سليمان، عن علي بن موسىٰ، عن أبيه، عن جعفر، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي‌طالب عليهم السلام، قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره. الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٤٣ برقم: ٧٠٤.

(١) راجع: مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٤ و ١٥٢ و ٤: ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٥: ٣٤٧ و ٣٦٦ و ٤١٩.

(٢) راجع: فضائل الصحابة لعبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ٢: ٥٨٦ برقم: ٩٩٢ و ٢: ٥٩٦ برقم: ١٠١٦ و ٢: ٥٩٧ برقم: ١٠١٧ و ٢: ٥٩٩ برقم: ١٠٢٢ و٢: ٦١٠ برقم: ١٠٤٢ و ٢: ٦٨٢ برقم: ١١٦٧.

(٣) راجع: مناقب علي بن أبي‌طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٦ ـ ٢٧، قال: قال أبوالقاسم الفضل بن محمّد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روىٰ حديث غدير خمّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرّد علي عليه السلام بهذه الفضيلة، ليس يشركه فيها أحد.

(٤) الكشف والبيان في تفسير القران للثعلبي، ذكره ذيل آية ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك﴾ وراجع: الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ١٥١ ـ ١٥٢، والعمدة لابن البطريق الحلّي ص ٩٩ ـ ١٠١.

الجمع بين الصحيحين[١].

ورزين العبدري في الجمع بين الصحاح الستّة[٢]، وغيرهم بطرق متعدّدة وأسانيد متبدّدة.

وقد صنّف الفريقان في صحّة اسناده إليهعليه السلام كتباً[٣].

وقال الفقيه أبوجعفر محمّد بن شهرآشوبرحمه الله: سمعت أباعلي العطّار الهمداني يقول: أروي هذا الحديث علىٰ مأتي وخمسين طريقاً، قال: وقال جدّي شهرآشوب: سمعت أباعلي الجويني يتعجّب ويقول: شاهدت مجلّداً ببغداد في يد صحّاف فيه روايات هذا الحديث مكتوباً عليه المجلّدة الثامنة والعشرون من طرق قولهعليه السلام «من كنت مولاه فعلي مولاه» ويتلوها المجلّدة التاسعة والعشرون[٤].

ولا يخفىٰ أنّه من أسرار آية الولاية التي قرن فيها ولايته بولاية الله ورسوله، ومن أسرار آية المباهلة أيضاً، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٥] الآية، وذلك لأنّه جلّ اسمه لمّا قرن فيها بين نفس النبيصلى الله عليه وآله ونفس عليعليه السلام، وجمعها بضمير مضاف إلىٰ رسوله، أثبت

---

(١) رواه عنه في العمدة ص ١٠٢.

(٢) رواه عنه في العمدة ص ١٠٣، والطرائف ص ١٥٣.

(٣) راجع: الطرائف للسيّد ابن طاووس ١٣٩ ـ ١٤٢، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥ ـ ٢٦. ويكفيك ما صنّفه العلاّمة الأميني من كتابه القيّم الغدير، فراجع.

(٤) الصراط المستقيم للعلاّمة البياضي ١: ٣٠١ عنه.

الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الحديث لنفس علي عليه السلام ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين من عموم أولوية التصرّف.

وهذا ممّا أشار إليه بعض رؤسائهم، وإن جادلوا في الحقّ بعد ما تبيّن لهم، حتّىٰ بدّلوا ما سمعوه، وجحدوا ما علموه، وأنكروا ما ثبت في أعناقهم من حقّ أميرالمؤمنين وأبنائه المعصومين ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ واختاروا مخالفته، وطرح وصايا النبي صلى الله عليه وآله بإيثار غيره ممّن قصد محاربته، كعمر الذي تهدّده لمّا تخلّف عن بيعة أبي‌بكر بالمحاربة، وتحريق البيت، بل جمع الحطب عنده وأتىٰ بالقبس لذلك، كما رواه نقلة الأخبار ورواة السير والآثار، كالواقدي[١]، وابن عبدربّه[٢] وغيرهما.

وفي بعضها: أنّ أبابكر قال لعمر عند تخلّفه وتخلّف العبّاس: إن أبيا فقاتلهما، فجاء عمر وبيده قبس يريد تحريق البيت عليهم، فلقيته فاطمة عليها السلام، فقالت له: يابن الخطّاب أجئت لتحرق ديارنا؟ قال: نعم[٣].

ونحوه روىٰ مصنّف كتاب المحاسن وأنفاس الجواهر[٤].

وفي التجريد: إنّه أضرم فيه النار وفيه فاطمة وجماعة من بني هاشم[٥].

وهذا لا يقصر عن المحاربة، مع أنّ محاربته كما أنّها علىٰ حدّ محاربة النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الامامة والسياسة للواقدي ١: ١٩.

(٢) العقد الفريد ٣: ٦٣ طبع مصر.

(٣) الطرائف ص ٢٣٩.

(٤) الطرائف ص ٢٣٩ عنه.

(٥) تجريد الاعتقاد للعلاّمة خواجه نصيرالدين الطوسي ص ٢٥٠.

في إيجابها الكفر؛ لحديث «حربك حربي، وأنا حرب لمن حاربك، سِلم لمن سالمك»[١] فكذا مخالفته؛ لأنّ حقيقة إمامته ضرورية، وخلافته بغير فصل جلية، وحقوق النبوّة والإمامة مشتركة، إلّا أنّها للنبي بالأصالة وللإمام بالنيابة، كما هو مبيّن في الكتب الكلامية.

وعلومه لدنّية لا اجتهادية كعلوم الرسل والأنبياء، بدليل قوله عليه السلام: ما عدا الأُمور الخمسة التي تفرّد الله بعلمها، وقد تضمّنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[٢] الآية قد أعلم الله به نبيّه، والنبي أعلمني به[٣].

فلو لم يلزم من مخالفتها الكفر لتساوىٰ ما استفيد من الاجتهاد والوحي في عدم لزوم الكفر بمخالفته، وهو باطل كما بيّن في موضعه.

وبذلوا جهدهم في التنقّص[٤] لقدره، حتّىٰ أنّهم قالوا لفرط حسن خلقه: إنّ له دعابة[٥]، وإنّه أوّل صبي آمن بالله.

وليس فيه من التنقّص ما توهّموه، فإنّ الله تعالىٰ قال عن يحيىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ٦: ٤٤٠ ـ ٤٤١ و ٩: ١٦١ ـ ١٧٤ و ١٨: ٤١١ ـ ٤١٣.

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

(٣) لم أعثر علىٰ نصّ هذا المنقول في الأحاديث، نعم مضمونه متواتر جدّاً في كتب الفريقين.

(٤) في «ف»: التنقيص.

(٥) قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ في دعابة وأنّي امرؤ تلعابة. نهج البلاغة ص ١١٥ برقم: ٨٤. وفي ارشاد القلوب: فالتفت إليه عمر، فقال: فيه دعابة لا تدعه حتّىٰ تورده فلا تصدره. راجع: بحار الأنوار ٢٩: ١٦٤.

الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾(١) وأيضاً حكى القرآن عن عيسىٰ عليه السلام أنّه قال وهو في المهد: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾(٢).

فإذا كان إيتاهما الحكم والكتاب في الطفولية معتبراً لزم بالضرورة الحكم باعتبار إيمانه في الطفولية لمساواته الأنبياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبي بعدي(٣).

ولأنّ المهدي عليه السلام من ولده يصلّي عيسىٰ عليه السلام خلفه، كما رواه أبو داود وغيره ممّن ستقف علىٰ أسمائهم(٤)، فيكون أفضل من عيسىٰ عليه السلام؛ لأنّه أفضل من المهدي عليه السلام.

وكيف لا؟ وقد اختاره النبي صلى الله عليه وآله في صغر سنّه عندما دعا قريشاً في أوّل أمره إلى الإسلام، وطلب المؤازرة، فلم يؤازره منهم إلّا هو، فقال له: أنت أخي ووليي في الدنيا والآخرة(٥).

وكيف لم يستحقروا إيمان أبي‌بكر الذي عبد الأصنام أربعين سنة، ولم يُسلم إسلاماً حقيقياً، بدليل أنّه لم يتّبعه أبوه وابنه، مع أنّ علاقة الأُبوّة شعبة من السلطنة، بل مدحوه بأنّه إيمان كهل، واستحقروا إيمان علي عليه السلام مع إحاطتهم علماً بأنّه هو

---

(١) سورة مريم: ١٢.

(٢) سورة مريم: ٣٠ ـ ٣١.

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٢٩، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٢ و ٥٦ و ٧٤ و ٨٨ و ٩٤ و ٣٣٨، ذخائر العقبىٰ للطبري ص ٧٩، المناقب لابن المغازلي ص ٣٣ ـ ٣٤، الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٥١ ـ ٥٤.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ ١٣: ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٣٧، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ص ٣٨، الطرائف ص ٦٤.

المراد في الآية بنفس النبي صلى الله عليه وآله، والمكنّىٰ عنه بباب مدينة العلم والحكمة، ولم يشرك بالله طرفة عين، ولم يسجد لصنم أصلاً، بل هو الذي تولّىٰ تكسير الأصنام لمّا صعد علىٰ كتف النبي صلى الله عليه وآله، كما تواترت به روايات الخاصّ والعامّ.

وحرّفوا الآيات النازلة في حقّه، حتّىٰ أنّه لا يكاد يوجد آية نازلة فيه أو رواية عن النبي صلى الله عليه وآله كذلك إلّا عمّموها له ولغيره، أو صرفوها عنه بالكلّية، وأنكروا الوصية إليه من النبي صلى الله عليه وآله، بل زعموا أنّه مات بغير وصية، كما زعموا أنّ علياً عليه السلام قال ـ لمّا قيل له: ما توصي؟ ـ ما أوصىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حتّىٰ أوصي.

مع أنّهم رووا في صحاحهم أنّه قال: من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية[١]. وما ذلك بأدون من سبّ الكفّار له.

وفي صحيح البخاري بإسناده إلى ابن شهاب عنه صلى الله عليه وآله، قال: ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ثلاث ليالي إلّا ووصية عنده مكتوبة[٢]. وروىٰ أيضاً نحو ذلك بعدّة أسانيد[٣].

والوصية في الدين أعظم؛ لأنّه بعث للإرشاد إليه، بل حصر الله أحواله في الإنذار بقوله ﴿إن أنت إلّا نذير﴾[٤] فكيف لا ينصّ علىٰ من ينوبه في حفظه بعده.

---

(١) الطرائف ص ٣٨٢ عنهم.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٤٩.

(٣) روى البخاري باسناده عن عبدالله بن عمر، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما حقّ امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلاّ ووصيته مكتوبة عنده. صحيح البخاري ٣: ١٨٥ ـ ١٨٦، كتاب الوصايا.

(٤) سورة فاطر: ٢٣.

بل كيف تقبل العقول أن يقول من البرّ ما لا يفعل، ولا يساوي سائر الأنبياء عليهم السلام في امتثال هذا البرّ، فإنّا ما سمعنا أنّ أحداً منهم مات بغير وصية، بل كلّ واحد منهم عيّن من يقوم بعده مقامه.

فكيف وصفوا سيّد الأنبياء وخاتمهم بتركها؟ وقد شهد بوجوبها كافّة الأنبياء وعقول العقلاء، مع أنّ الله تعالىٰ قد أمره بالاقتداء بهداهم، بقوله عزّوجلّ ﴿فبهداهم اقتده﴾[1] واعترافهم بأنّ موته ما وقع فجأة، بل عن مرض تقدّمه، وعلمهم بأنّه أحوج إليها منهم؛ لأنّه خاتمهم، والمؤتمن علىٰ كتبهم، والناسخ لشرائعهم.

فقد كان الواجب عليهم أن يتلقّوا الأحاديث المتضمّنة أنّه أوصىٰ بهم، وعيّن لهم من يقوم بعده مقامه، بالقبول، ويفرحوا بها؛ لموافقتها للعقول السليمة والأديان المستقيمة.

وقد روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الخامس والخمسين من إفراد مسلم، عن عبدالله بن عمر، قال أمر النبي صلى الله عليه وآله في غزاة مؤتة زيد بن حارثة، وقال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة[2].

وذلك لئلّا يقع الاختلاف بينهم، وينتشر أمرهم في غزاة واحدة، فكيف يجوز

---

(١) سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باسناده عن عبدالله بن عمر، قال: أمّر رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة موتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة، قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلىٰ، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية. صحيح البخاري ٥: ٨٧، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، الطرائف ص ٣٨٢.

في عصمته ومزيد شفقته علىٰ أُمّته، كما ورد في التنزيل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[(١)].

وفي الأثر: أنا لكم مثل الوالد لولده. أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة[(٢)]. أن يتركهم بغير وصية، مع أنّ الله تعالىٰ قد عرّفه ما يحدث فيهم من الاختلاف العظيم بعده، لقد أساؤوا الظنّ به، ولقد تجرّأوا علىٰ خالقهم جلّ جلاله بأن نسبوا إلىٰ نبيه ﷺ الموت ميتة جاهلية، بزعمهم أنّه لم يوص إلىٰ أحد بالخلافة بعده.

علىٰ أنّ ذلك يناقض ما رووه في صحاحهم متواتراً أنّه أوصى بالثقلين بعده كتاب الله والعترة[(٣)]، فإنّه نصّ في ثبوت الوصية لعلي عليه السلام بالخلافة بعده، وكذا آية الولاية[(٤)]، وحديث الغدير المتواتر[(٥)]، وحديث المنزلة المتواتر[(٦)].

ومثله قوله عليه السلام: أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي دِيني بكسر

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٩٥ و ٣٦٤، الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢٤٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨١، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، الطرائف ص ١١٣ ـ ١١٦، وهو حديث متواتر جداً رواه جمع من الفريقين في كتبهم.

(٤) وهي قوله تعالىٰ ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ سورة المائدة: ٥٥، راجع: الطرائف ص ٤٧ ـ ٤٩.

(٥) راجع: الطرائف ص ١٣٩ ـ ١٥٣، وتقدّم بعض الكلام حوله.

(٦) وهو قول الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ. راجع: صحيح البخاري ٥: ١٢٩، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٢ و ٥٦ و ٧٤ و ٨٨ و ٩٤ و ٣٣٨، ذخائر العقبىٰ للطبري ص ٧٩، المناقب لابن المغازلي ص ٣٣ ـ ٣٤، الطرائف ص ٥١ ـ ٥٤.

الدال[١].

وقوله صلى الله عليه وآله: علي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي. رواه ابن مردويه في مناقبه[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: لا يبلّغ عنّي إلّا أنا أو رجل منّي[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله للصحابة: سلّموا عليه بامرة المؤمنين، واسمعوا له وأطيعوا[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله: علي منّي وأنا منه[٥].

وقوله صلى الله عليه وآله: علي منّي مثل رأسي من بدني[٦].

وقوله صلى الله عليه وآله: الناس من أشجار شتّىٰ، وأنا وعلي من شجرة واحدة[٧].

وقوله صلى الله عليه وآله: إنّه يقاتل علىٰ تأويل القرآن، كما قاتلت علىٰ تنزيله[٨].

وقوله صلى الله عليه وآله: من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه[٩].

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ١٩٢ و ٣٣٩ و ٣٨٥ و ٦: ٥٨١ ـ ٥٩١.

(٢) المناقب لابن مردويه ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٤٢٧ و ٥: ٧٦ و ٢٢: ٤١١ ـ ٤٣٥.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٦١ ـ ٦٢ و ٣٨٤ و ١٥: ١٤٤ و ٢٠٨.

(٥) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٣٧ و ٢١٠ و ٥: ٢٧٤ ـ ٣١٧ و ٦: ٤١٦ و ٤٤٧ و ٥٨٦ و ٤٤٨ و ١٦: ١٣٦ ـ ١٦٧ و ١٥: ٩٤ ـ ٩٨.

(٦) المناقب لابن مردويه ص ١٠٧، المناقب للخوارزمي ص ١٤٤.

(٧) راجع: إحقاق الحقّ ٥: ٢٥٥ ـ ٢٦٥ و ٧: ١٨٠ ـ ١٨٣ و ٩: ١٥٠ ـ ١٥٨ و ١٦: ١٢٠ ـ ١٣٢ و ١٧: ١٨٤ ـ ١٨٧، المناقب للخوارزمي ص ١٤٣.

(٨) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٣٢٢ و ٥: ٥٣ و ٦: ٢٤ ـ ٣٨.

(٩) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٤٣٧ و ٦: ٣٦٩ ـ ٣٨٠ و ١٧: ٣٢٥.

وقوله عليه السلام: هو ولي كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي[١].

وقوله عليه السلام: هو مع الحقّ والحقّ معه، لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض[٢].

وقوله عليه السلام: هو مع القرآن والقرآن معه[٣].

وقوله عليه السلام: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه، فإذا مكتوب علىٰ أحدهما: لا إلٰه إلّا الله، محمّد النبي. وعلى الآخر: لا إلٰه إلّا الله، علي الوصي. رواه الخطيب الخوارزمي[٤].

وقوله عليه السلام: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالىٰ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزأين: فجزء أنا، وجزء علي. رواه أحمد بن حنبل في مسنده[٥].

ورواه أيضاً ابن شيرويه[٦]، وابن المغازلي، وقالا فيه: فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقا في صلب عبدالمطّلب، ففيّ النبوّة، وفي علي الخلافة[٧].

ورواه أيضاً ابن المغازلي بسند آخر، وقال في آخره: حتّى قسّمها جزأين،

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٧٩ و ٩٩ و ١٢١ و ١٣٥ ـ ١٣٩ و ٢٧٧ و ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٥: ٢٨ و ٤٣ و ٧٧ و ٦٢٣ ـ ٦٣٨ و ١٦: ٣٨٤ ـ ٣٩٧.

(٣) راجع: إحقاق الحقّ ٥: ٦٣٩ ـ ٦٤٥ و ٩: ٣٥٤ و ١٥: ٢٨ و ١٦: ٣٩٨ ـ ٤٠١.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ١٤٨ ح ١٧٢.

(٥) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٢.

(٦) فردوس الأخبار لابن شيرويه الديلمي ٣: ٣٣٣.

(٧) المناقب لابن المغازلي ص ٨٨ برقم: ١٣٠.

فجعل جزءً في صلب عبدالله، وجزءً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً[١]. إلىٰ غير ذلك من النصوص القاطعة.

مثل ما رواه أحمد بن حنبل، عن أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: سل النبي صلى الله عليه وآله من وصيه؟ فقال له سلمان: من وصيك يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز عداتي علي بن أبي طالب[٢].

وورد بأسانيد متعدّدة تبلغ التواتر استخلافه على المدينة في غزاة تبوك[٣] التي أثبت له فيها المنزلة، وعدم عزله إلىٰ زمان وفاته، فيعمّ الأزمان والاُمور؛ إذ لا قائل بالفرق، بل الحاجة إلى الخليفة بعد الوفاة أشدّ منه حال الغيبة.

وقد روى الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي في تفسيره المستخرج من التفاسير الاثني عشر أنّ الخلافة من الله تعالىٰ وقعت في القرآن لثلاثة: لآدم عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤] ولداود عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[٥] ولعلي عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٨٩ برقم: ١٣٢.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦١٥ برقم: ١٠٥٢، الطرائف ص ٢٢ عنه، والعمدة لابن البطريق ص ٧٦ عنه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٤ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣: ٣٢، الطرائف ص ٥١ ـ ٥٣، العمدة لابن البطريق ص ١٢٦ ـ ١٣٦.

(٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٥) سورة ص: ٢٦.

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[١] قال: يعني آدم وداود عليهما السلام[٢].

وروىٰ أيضاً في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٣] بإسناده إلىٰ أنس بن مالك، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الآية، فقال: إنّ الله تعالىٰ خلق آدم من طين، ثمّ قال: ﴿ويختار﴾ إنّ الله تعالىٰ اختارني وأهل بيتي علىٰ جميع الخلق، فانتجبنا، فجعلني الرسول، وجعل علياً الوصي، ثمّ قال: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: ما جعلت للعباد أن يختاروا، ولكن أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه[٤].

ونقل صاحب كشف الغمّة من كتاب المناقب للخطيب الخوارزمي بإسناده، عن عبدالله بن مسعود، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أصحر، أي: خرج إلى الصحراء، فتنفّس الصعداء، فقلت: يا رسول الله ما لَك تنفّس؟ قال: نعيت إليّ نفسي، قلت: استخلف، قال: من؟ قلت: أبابكر، فسكت، ثمّ تنفّس، فقلت: ما لي أراك تنفّس يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، فقلت: استخلف، قال: من؟ قلت: عمر بن الخطّاب، فسكت، ثمّ تنفّس، فقلت: مالي أراك تنفّس يا رسول الله؟ فقال: نعيت إليّ نفسي، قلت: استخلف، قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: أوّه ولن تفعلوا أبداً، لئن فعلتموه ليدخلنّكم الجنّة[٥].

---

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٩٥ ـ ٩٦ عنه.

(٣) سورة القصص: ٦٧.

(٤) الطرائف ص ٩٧ عنه.

(٥) المناقب للخطيب الخوارزمي ص ١١٤ ح ١٢٤.

وفيه مزيد تحريض على تسليم الأمر بعده إليه، وعلى كراهية ولاية المتقدّمين عليه.

وروى الصدوق محمّد بن بابويه في الأمالي، عن يحيى بن سعيد، عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[1] قال: يستنبؤك يا محمّد أهل مكّة عن علي بن أبي طالب إمام هو؟ قل إي وربّي إنّه لحقّ[2].

والأخبار في هذا الباب من الفريقين أكثر من أن تحصى، حتّى أنّه صنّف علماؤنا كتباً كثيرة في النصوص، كالسيّد المرتضى[3]، والشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان[4]، وأبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي[5]، وأمثالهم[6].

وأورد السيّد الجليل علي بن طاووس في الطرائف: أنّه رأى مجلّداً فيه مناقب

---

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٧١ برقم: ١٠٤٧.

(٣) له كتب قيّمة في اثبات الامامة، ومن أجلّها كتاب الشافي في اثبات الامامة والخلافة لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) له كتب كثيرة، بل جلّ آثاره في نصرة مذهب الشيعة، وإثبات خلافة مولانا ومولى الكونين أسد الله الغالب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ككتاب الافصاح وغيره.

(٥) له آثار قيّمة في تأييد المذهب، ومن أجلّ كتبه القيّمة، كتاب تلخيص الشافي، والأمالي، وغيرهما.

(٦) كالعلاّمة الجليل ناصر المذهب وحامي الشيعة ومروّج آثار الأئمّة الطاهرين، الشيخ محمّدباقر المجلسي قدّس سرّه، صاحب كتاب بحار الأنوار.

أهل البيت عليهم السلام، تأليف أحمد بن حنبل، قد صرّح فيها النبي صلى الله عليه وآله بالنص على علي عليه السلام بالخلافة على الناس، قال: وليس فيها شبهة عند ذوي الإنصاف(١).

وأورد بعض المؤرّخين أنّ المأمون العبّاسي جمع أربعين رجلاً من علماء المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، وناظرهم ووثّقهم في الإنصاف، وأثبت عليهم الحجّة بأنّ علياً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته، والمستحقّ للقيام مقامه في أُمّته، وأورد نصوصاً كثيرة على ذلك قد نقلها المسلمون، وتفصيلها في مناظراته، فاعترف له الأربعون بذلك(٢)، وله في ذلك أبيات كثيرة منها:

أُلام على شكر الوصي أبي الحسن	وذلك عندي من عجائب ذي المنن
خليفة خير الخلق والأوّل الذي	أعان رسول الله في السرّ والعلن(٣)

وأمّا مناظرات آل أبي طالب وعلماء شيعتهم في مجالس الملوك والوزراء ومقالاتهم في ذلك، فأمر لا يقدر الإنسان أن يحصر تفصيله(٤).

وقد اقتصرنا نحن هنا على إيراد شيء ممّا اشترك في نقله الفريقان، تحصيلاً لكمال الحجّة عليهم، وإبطالاً لما زعموه من أنّه مات بغير وصية، وتحقيقاً لكون ارتكابهم هذه المناقضات ليس إلّا لإثبات خلافة أئمّتهم؛ لأنّه لمّا لم يمكنهم دعوى الوصية بها لهم أنكروا الوصية بها أصلاً ورأساً، وجعلوا مدارها على

---

(١) الطرائف ص ١٣٧ المطبوع بتحقيقي سنة (١٣٩٩) هـ.

(٢) أورد المناظرة برمّتها الشيخ الصدوق الثقة الثبت محمّد ابن بابويه القمّي في كتابه القيّم عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٥ ـ ٢٠٠.

(٣) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٢٧٥، تذكرة الخواص ص ٣٥٧.

(٤) الطرائف ص ٣٠.

الإجماع على البيعة ليتمّ لهم ما قصدوه، ولن يتمّ لهم ذلك أبداً؛ لأنّ الإجماع ممنوع؛ لتخلّف علي عليه السلام وسائر بني هاشم عن بيعة أبي‌بكر، وإظهاره عدم الرضا بها، كما تضمّنته الخطبة الشقشقية[١]، وغيرها.

ومن ذلك قوله عليه السلام: وا عجباه أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة[٢]. ويروىٰ له في هذا المعنىٰ شعر:

فإن كنت بالشورىٰ ملكت أُمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب
وإن كنت بالقربىٰ حججت خصيمهم فغيرك أولىٰ بالنبي وأقرب[٣]

وهذا الذي نظمه مدلول كلامه الذي رواه المفيد في حديثه لمعاوية في جواب كتاب قال فيه: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبضه الله تعالىٰ ونحن أهل بيته أحقّ الناس به، فقلنا: لا يعدل الناس عنّا، ولا يبخسونا حقّنا، فما أوعينا إلّا والأنصار قد جاءت إلىٰ سقيفة بني ساعدة يطلبون هذا الأمر، فصار إليهم أبوبكر وعمر في‌من تبعهما، فاحتجّ أبوبكر عليهم بأنّ قريشاً أولىٰ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منهم؛ لأنّه من قريش، وتوصّل بذلك الأمر دون الأنصار، فإن كان الحجّة لأبي‌بكر بقريش، فنحن أحقّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ممّن تقدّمنا؛ لأنّا أقرب قريش كلّها إليه، وإن لم يكن لنا حقّ مع القرابة، فالأنصار علىٰ دعواهم[٤].

وهو صريح في أنّه كان كارهاً لولاية التيمي، مكرهاً على البيعة التي ألجأه إليها

---

(١) نهج البلاغة ص ٤٨ رقم الخطبة: ٣.

(٢) في النهج: واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة؟

(٣) نهج البلاغة ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ رقم الحديث: ١٩٠.

(٤) الفصول المختارة ص ٢٨٧.

وتهدّده بالمحاربة وتحريق البيت إن امتنع منها .

ويزيده بياناً قوله عليه السلام لمّا بايع: بارك الله فيما ساءني وسرّكم[١] .

وما ذكره ابن عبد ربّه في المجلّد الرابع من كتاب العقد من حديث كتاب معاوية إلىٰ علي عليه السلام وجوابه له، وفي جملة الجواب ما هذا لفظه: وذكرت أبطائي عن الخلفاء، وحسدي إيّاهم، والبغي عليهم، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الكراهية لهم فوالله ما أعتذر إلى الناس من ذلك[٢] .

ومن كلامه في نهج البلاغة، لمّا كتب إليه معاوية ثانية علىٰ أنّه لم يبايع طوعاً: وقلت: إنّي أُقاد كما يقادِ الجمل المخشوش حتّى أُبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه[٣] .

وهو صريح في أنّهم أكرهوه علىٰ هذه البيعة، وجملة ما أوردناه يدلّ علىٰ تواتر هذا القدر المشترك، وكذا أكرهوا عليها سائر بني هاشم، كما يدلّ عليه ما ذكره البخاري ومسلم في صحيحيهما من أنّ بني هاشم كافّة كانوا في الخلافة تبعاً لعلي عليه السلام، ومجمعين على استحقاق تقدّمه عليهم، وأنّه ما بايع أحد منهم أبابكر حتّى اضطرّ إلى البيعة كرهاً، أو لعدم الناصر له، وكذا غيرهم بايعوا كرهاً[٤] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٢: ٢٢٥، بحار الأنوار ٢٨: ٣٦٤ .

(٢) العقد الفريد ٢: ٢١٤، الطرائف ص ٤٢٣ عنه .

(٣) نهج البلاغة ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم الرسالة: ٢٨ .

(٤) روىٰ مسلم في صحيحه، باسناده عن عائشة، أنّها أخبرته، أنّ فاطمة بنت

⇐

فقد روىٰ ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة: أنّ عمر خرج شاهراً سيفه،

⇐ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلىٰ أبي‌بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال، وإنّي والله لا اُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبىٰ أبوبكر أن يدفع إلىٰ فاطمة شيئاً.

فوجدت فاطمة علىٰ أبي‌بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلّمه حتّىٰ توفّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي بن أبي‌طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر، وصلّىٰ عليها علي، وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة، فلمّا توفّيت استنكرت علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي‌بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلىٰ أبي‌بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد، كراهية محضر عمر بن الخطّاب، فقال عمر لأبي‌بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبوبكر: وما عساهم أن يفعلوا بي، إنّي والله لآتينّهم، فدخل عليهم أبوبكر الحديث. صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ برقم: ١٧٥٩ كتاب الجهاد والسير.

أقول: وفي هذا الحديث ما لا يغني الباحث عنه في إثبات الخلافة والامامة لأميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام، وبطلان خلافة من تقدّمه، وصريح في عدم مبايعة أميرالمؤمنين عليه السلام وأصحابه في تلك المدّة، وأنّ فاطمة الصدّيقة الشهيدة سلام الله عليها ماتت وكانت واجدة أي: غاضبة عليهما، وما بايعت حتّىٰ ماتت، ومن راجع الروايات الكثيرة المتواترة من الفريقين، من قول الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال لفاطمة عليها السلام: إنّ الله يرضىٰ لرضاها ويغضب لغضبها، والروايات الكثيرة الواردة في فضل فاطمة الزهراء عليها السلام، لو تأمّلها المنصف، لا يشكّ في كفر من آذاها، ويكفي في تحقّق أذاها أنّها أوصت أن تدفن ليلاً، ولا تحضر جنازتها من آذاها.

يطلبها من كلّ أحد شاء أو لم يشأ، وأنّه قصد قتل سعد بن عبادة لمّا امتنع منها، ووقع في صدر المقداد، وكسر سيف الزبير بالحجر[١].

وذلك آية الاكراه، فأين الإجماع؟ علىٰ أنّه ليس أصلاً في الدلالة، فلابدّ من استناده إلىٰ دليل، وإلّا كان خطأً.

وذلك الدليل: إمّا عقلي، وهو منتف؛ ضرورة إذ ليس في العقل ما يدلّ علىٰ إمامة أبي‌بكر قطعاً.

أو نقلي، وهو منتف أيضاً علىٰ آرائهم؛ لزعمهم موت النبي ﷺ بغير وصية، واعترافهم بأنّه لم يسمع منه لفظ يقتضي تفويض أمرها إلى اختيار الاُمّة، بل القرآن يناويهم ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون﴾[٢] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[٣] فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّوا لا يعلمون.

وأيضاً فقد بيّنا ثبوت النصّ المتواتر علىٰ إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، فلو أجمعوا علىٰ خلافه كان خطأً؛ لأنّه إجماع علىٰ خلاف النصّ.

---

(١) قال ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ١٧٤: وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي‌بكر، ورقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لمّا جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكّك، وعذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ إلىٰ دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي‌بكر أمر، ولا قامت له قائمة.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

وأيضاً فإنّ هؤلاء الذين نشأ منهم الإجماع كانوا متّفقين على أنّ الخلافة ليستحقّها غير أبي‌بكر، وأنّه لم يكن عندهم في منزلة من يصلح لها ولا يشاور فيها، بدليل أنّهم شرعوا فيها، وجرىٰ حديث عقدها لبعض من حضر منهم، ولا بعثوا إليه يحضرونه، ولا استشاروه، بل حضر هو بنفسه مع عمر.

وأيضاً فقد قالت الأنصار عند اجتماعهم في السقيفة مع المهاجرين: منّا أمير ومنكم أمير[١]. والضرورة قاضية بأنّه لا يجوز أن يكون لهم في وقت واحد إلّا إمام واحد، وسيأتي ما ينبّه عليه، فيجب أن يكون المجتمعون في السقيفة الذين قالوا ذلك ضالّين.

ولهذا لمّا رأىٰ بعضهم ذلك مع ما رأوا من الدلائل التي لا يمكن معها إنكار الوصية بها، إدّعوا حصولها له، واحتجّوا بذلك بما افتروه من حديث الخلّة ونحوه، ولم يتفطّنوا إلىٰ أنّ ذلك مردود بأُمور:

الأوّل: طلبه الإقالة منها بقوله «أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم»[٢] فلو كانت بنصّ الرسول صلى الله عليه وآله لكان ذلك منه لغواً؛ إذ لا مقيل منها حينئذ.

الثاني: قوله عند موته «ليتني سألت رسول الله هل للأنصار في هذا الأمر حقّ»[٣] و«ليتني في ظلّة بني ساعدة كنت ضربت علىٰ يد أحد الرجلين، فكان هو

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٢: ٢٤ و ٦: ٣.

(٢) بحار الأنوار ٢٩: ٥١٨ و ٣٠: ٤٩٥ و ٥٠٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١: ١٦٩، الطرائف ص ٤٠٢ و ٤٩٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٨: ٣٨٠ و ٣٠: ١٢٢ و ١٣٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٢: ٤٥ و ١٢: ٢٦٢ و ١٧: ١٦٤.

الأمير وأنا الوزير»[١].

الثالث: قول عمر «إن لم أستخلف فإنّ رسول الله لم يستخلف» رواه الحميدي[٢].

الرابع: قوله أيضاً «كانت بيعة أبي‌بكر فلتة»[٣] أي: فجأة، بمعنىٰ أنّها لم تكن عن تدبّر ولا تروٍّ.

الخامس: إتّفاقهم جميعاً علىٰ أنّ النبي صلى الله عليه وآله مات بغير وصية.

السادس: إختلافهم في أمر الخلافة عند حلولهم سقيفة بني ساعدة لعقد الرأي، وظفرهم بالفرصة لاشتغال علي عليه السلام وسائر بني هاشم بمصيبة النبي صلى الله عليه وآله، فعمر استخلف أبابكر، والمهاجرون قالوا: نحن أحقّ بالأمر لأنّ الرسول منّا، والأنصار قالوا: نحن آويناه ونصرناه، فمنّا أمير ومنكم أمير، إلىٰ أن خصمهم أبوبكر بحديث «الأئمّة من قريش» فلو نُصّ عليه لخصمهم بالنصّ.

السابع: ما تقدّم من النصوص علىٰ إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام التي بلغت حدّ التواتر، وربما نزّلها بعضهم علىٰ ثبوت خلافته بعد خلافة أبي‌بكر وأخويه، وهو مردود بأنّ الجماعة غير علي عليه السلام لا يصلحون لها؛ لظلمهم بتقدّم خلافهم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٤] والمشتقّ لا يشترط في صدقه بقاء أصله،

---

(١) بحار الأنوار ٣٠: ١٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٧: ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٣١: ٣٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٢: ١٨٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٧: ٣١٨ ٣٠: ٤٤٣ و ٣٢: ٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٩: ٣١ و ١٣: ٢٢٤ و ١٧: ١٦٤ و ٢٠: ٢١، الطرائف ص ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة: ١٢٤.

كما تقرّر في موضعه.

وروى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه، عن ابن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: انتهت الدعوة إليّ وإلىٰ علي، ولم يسجد أحدنا لصنم قطّ، فاتّخذني نبياً، واتّخذ علياً وصياً[١].

ومثله روى الخطيب الخوارزمي في مناقبه[٢].

ومقتضىٰ ذلك أنّ الدعوة لم تنته إلىٰ غيرهما ممّن ليس من ذرّيتهما.

وأيضاً العصمة التي هي شرط في الإمام لا توجد في غيره من هؤلاء باتّفاق الكلّ، ولهذا اشترطوا التنصيص عليه؛ لأنّها أمر خفي لا يمكن الاطّلاع عليه إلّا بالنصّ.

وبعض حشويتهم يحتجّ على الواسطة بأنّ علياً قد قتل من المحاربين لله ولرسوله عدداً كثيراً، فتقديمه يوجب ارتداد كثير من الناس؛ لما في قلوبهم عليه من الغوايل، فوجب تقديم غيره ليؤمن وقوع هذه الحالة.

وهو احتجاج مردود؛ لأنّ الله تبارك وتعالىٰ أرسل الرسل عليهم السلام إلىٰ من يعلم أنّهم يكفرون، وكلّف قوماً وعلم أنّهم يضلّون إذا كلّفهم، ومعلوم أنّ ضلالهم من أنفسهم، فوجب أن يفرض تقديم صاحب الحقّ بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فمن لم يرض كان ضلاله من نفسه.

علىٰ أنّ قولهم ثبوت الخلافة لأبي‌بكر يناقض ما رووه من قوله «ولّيتكم

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي الشافعي ص ٢٧٧.

(٢) إحقاق الحقّ ٤: ٨٩ عنه.

ولست بخيركم»[١].

وقوله «إنّ لي شيطاناً يعتريني»[٢].

وقول عمر «كانت بيعة أبي‌بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عـاد إلىٰ مثلها فاقتلوه»[٣].

فإنّ رؤساءهم إن كذبوا في ذلك، فلا إمامة لكذّاب.

وإن صدقوا، فمن لم يكن بخير الناس وكان له شيطان يعتريه وكانت بيعته فلتة يجب القتل علىٰ فعلها مثلها كيف تصحّ خلافته.

وإذا بطلت خلافته، كيف تصحّ خلافة العدوي المبتنية علىٰ خلافته؟ كـابتناء خلافة الأموي علىٰ خلافة العدوي.

وقد أشار إلىٰ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله في الخطبة الشقشقية: فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته[٤].

وروى الثقة أبو عبدالله الحسين فـي كـتابه المـوسوم بـالاعتبار فـي إبـطال الاختيار، بإسناده إلىٰ أبان بن عثمان، قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ اثني‌عشر رجلاً

---

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٢٠١ و ٣٠: ٢٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١: ١٦٩ و ٢: ٥٥ و ١٧: ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٣٠: ٢٩١ و ٤٩٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٦: ١٨ و ١٧: ١٥٥ و ١٥٧ و ١٥٩.

(٣) بحار الأنوار ٣٠: ٤٤٣ و ٣٢: ٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٩: ٣١ و ١٣: ٢٢٤ و ١٧: ١٦٤ و ٢٠: ٢١، الطرائف ص ٢٣٧.

(٤) نهج البلاغة ص ٤٨: رقم الخطبة: ٣.

من المهاجرين والأنصار كأبي ذرّ وسلمان والمقداد وعمّار وخالد بن سعيد وبريدة وقيس بن سعد وأبي الهيثم وسهل بن حنيف وذي الشهادتين وأُبي بن كعب وأبي أيّوب الأنصاري، أنكروا علىٰ أبي بكر قيامه بالأمر، وشهدوا بأنّ الخلافة حقّ علي عليه السلام، وأنّه ظالم له باستيلائه عليها وهو علىٰ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فأُفحم على المنبر لا يستطيع جواباً.

فقام إليه عمر، فقال: أنزل عنها يالكّع إذا كنت لا تقوم بحجّة فلِمَ أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعها عنك وأجعلها في سالم مولىٰ أبي حذيفة، ثمّ أخذه بيده وانطلق إلىٰ منزله، وبقوا ثلاثة أيّام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا كان اليوم الثالث جاءهم خالد بن الوليد، فقال: ما جلوسكم؟ فقد طمعت والله فيه بنو هاشم.

ثمّ جاءهم سالم ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ ومعه أيضاً ألف رجل، فخرجوا شاهري سيوفهم يقدمهم عمر حتّىٰ وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأميرالمؤمنين عليه السلام جالس في نفر من أصحابه، فقال عمر: يا أصحاب علي لأن ذهب رجل منكم يتكلّم بالذي تكلّم به بالأمس لآخذنّ الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه، فقال يابن صهّاك الحبشية أبأسيافكم تهدّدونا أم بجمعكم تفزعونا؟ والله إنّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم، وإنّا لأكثر منكم وإن كنّا قليلين؛ فإنّ حجّة الله فينا، والله لولا أنّي أعلم أنّ طاعة إمامي أولىٰ بي لشهرتُ سيفي وجاهدتكم إلىٰ أن أُبلي عذري، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: اجلس ياخالد، فقد عرف الله مقامك، وشكر لك فعلك، فجلس.

وقام سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: الله أكبر الله أكبر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وإلّا فصمّتا، وهو يقول: بينا أخي وابن عمّي جالس في مسجدي في نفر من أصحابه إذ

يثب إليه جماعة من كلاب النار يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشكّ إلّا أنّكم هم، فهمّ به عمر، فوثب إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وأخذ بجامع ثوبه، وقال: يابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدّم لأريتك أيّنا أقلّ جنداً وأضعف ناصراً، ثمّ التفت إلىٰ أصحابه، فقال لهم: انصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت هذا المسجد إلّا كما دخله أخواي موسىٰ وهارون عليهما السلام، إذ قال له أصحابه: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون. قال أبان: قال الصادق عليه السلام: والله ما دخله عليه السلام إلّا كما قال[1].

ورووا في كتبهم: أنّ أبابكر لمّا جلس للبيعة قال له بريدة: أنسيت التسليم علىٰ علي بامرة المؤمنين؟ فقال: أذكره، فقال بريدة: فهل ينبغي لأحد أن يتأمّر علىٰ أميرالمؤمنين؟ فقال عمر: إنّ الخلافة والنبوّة لا يجتمعان في بيت واحد، فقال له بريدة: قد قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[2] وهي الخلافة، فسكت[3].

والذي يكذب ما زعمه، وأنّه كان منه عصبية وعداوة لأهل البيت عليهم السلام استصلاحه علياً عليه السلام للإمامة يوم الشورىٰ، لنصّه في ذلك علىٰ ستّة هو منهم.

وكذا ما ذكره ابن الأثير الجزري في حديث طويل أنّه قال لابن عبّاس: إنّ قريشاً كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة، فتنجّحوا علىٰ قومكم نجحاً،

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٨٦ ـ ٢٠١، بحار الأنوار ٢٨: ١٨٩ ـ ٢٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥٤.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٥٣ ـ ٥٤.

فاختارت قريش لأنفسها، فأصابت ووفّقت[١].

وذلك لدلالة هذا القول منه على أنّ ما فعلته قريش في العدول بالأمر عنهم لم يكن إلّا حسداً وبغياً وتنافساً في الدنيا، مع ما في قوله «فأصابتِ ووفّقت» من الدلالة على الرضا التامّ بما فعلوه، وأنّه هو الحقّ والصواب بزعمه.

ولا غرو فإنّه هو الذي أسّس عليهم أساس الظلم والجور، وهو الذي منع النبي صلى الله عليه وآله في مرض موته من الكتاب الذي أراد أن يجدّد فيه النصّ على أميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة، بأقبح ظلم وأفحشه.

حتّى أنّه روى الحميدي وغيره أنّه لمّا أراد أن يكتب الكتاب، قال: إنّ الرجل ليهجر[٢].

ومثله ما رواه صاحب المشكاة والمصباح أنّه قال: قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله[٣].

وروي أيضاً عن سليمان بن أبي‌مسلم الأحول قال ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصى، قلت: يابن عبّاس وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه، فقال: إيتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا، فقال: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر استفهموه[٤].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ١٠ ـ ١٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٤٦.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩، صحيح البخاري ٥: ١٢٧.

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩، صحيح البخاري ١: ٣٧، الطرائف ص ٤٣٣.

والهجر من المريض لا يكون إلّا بمعنى الهذيان، ويكفي في كفر عمر منعه الرسول ﷺ من الكتاب بهذا القول الفضيع، وزعمه أنّه أعرف منه في تدبير الأُمّة وحفظ الشريعة، حيث قال: حسبنا كتاب ربّنا، وإيقاعه حسرة في قلبه بالمنع.

والعجب من أوليائه كيف حملوا لفظة «يهجر» الواقعة في كلامه على المهاجرة؟! مع مخالفته للقياس ومقتضى الحال جزماً، خوفاً من الطعن عليه، ولم يحملوا الآيات الواردة بوقوع ما نهى الله عنه من الأنبياء علىٰ خلاف ظواهرها، وهو ما نهى الله عنه تنزيهاً، مع قيام الأدلّة القاطعة علىٰ عصمتهم دونه.

وكيف استدلّوا علىٰ إمامة أبي بكر بتقديم النبي ﷺ إيّاه في مرض موته؟! فجعلوا ذلك نصّاً منه في وجوب اتّباعه، وجعلوا أمره بالكتاب الذي نصّ علىٰ أن فيه هدى الأُمّة هذياناً، إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

وكيف استدلّوا علىٰ خلافة عمر أنّ أبابكر نصّ عليه بها؟! مع أنّ ذلك إنّما وقع في مرض موته، فهل كان أبوبكر أكمل من النبي ﷺ حتّىٰ لا يحمل كلامه على الهذيان دون كلام النبي المعصوم من الزلل والنقصان، ولكنّهم ـ لعنهم الله ـ يقولون على الله الكذب، ويكتمون الحقّ وهم يعلمون، وما أحسن ما قيل في هذا المعنىٰ شعراً:

أوصى النبي فقال قائلهم ... قد ضلّ يهجر سيّد البشر
وأرىٰ أبابكر أصاب فلم يهجر ... وقد أوصىٰ إلىٰ عمر[1]

لكنّه احتال في تلبيس الأمر على الأنام؛ لأنّه عرف منه إرادة تجديد النصّ علىٰ علي عليه السلام، فقال ذلك ليحول بينه وبين ما أراده من ذلك، ولهذا تخلّف هو

---

(١) كشف الغمّة للأربلي ١: ١٥٦.

وأخواه عن جيش أُسامة الذي جهّزه النبي صلى الله عليه وآله في ذلك المرض، وكرّر أمر الصحابة بتنفيذه، وأكّد عدم تخلّفهم عنه، حتّىٰ أنّه لعن من تخلّف عنه أوّلاً، ونصّ عليه وعلىٰ قرينيه ثانياً؛ لئلّا يتواثبوا على الخلافة بعده، وذلك لغلبة ظنّهم بموته، وخوف فوت ما أضمروه من المخالفة لعلي عليه السلام، وادّعاء الأمر من دونه[1].

---

(١) روى ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٥٢: باسناده عن عبدالله بن عبدالرحمن، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته أمّر أُسامة بن زيد بن حارثة علىٰ جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار، منهم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجرّاح، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وأمره أن يغير علىٰ مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتثاقل أُسامة وتثاقل الجيش بتثاقله.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه يثقل ويخفّ، ويؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتّىٰ قال له أُسامة: بأبي أنت وأُمّي أتأذن لي أن أمكث أيّاماً حتّىٰ يشفيك الله تعالىٰ، فقال: اخرج وسر علىٰ بركة الله، فقال: يا رسول الله إنّ أنا خرجت وأنت علىٰ هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك، فقال: سر علىٰ النصر والعافية، فقال: يا رسول‌الله إنّي أكره أن أسأل عنك الركبان، فقال: أنفذ لما أمرتك به.

ثمّ أُغمي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقام أُسامة فتجهّز للخروج، فلمّا أفاق رسول‌الله صلى الله عليه وآله سأل عن أُسامة والبعث، فأُخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه، وكرّر ذلك، فخرج أُسامة واللواء علىٰ رأسه والصحابة بين يديه، حتّىٰ إذا كان بالجرف نزل ومعه أبوبكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار أُسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أُمّ أيمن يقول له: ادخل فإنّ رسول الله يموت، فقام من فوره، فدخل المدينة واللواء معه، فجاء به حتّىٰ ركزه بباب رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد مات في تلك الساعة. وراجع: بحار الأنوار ٣٠: ٤٢٧.

وربما اعتذر بعض رؤسائهم ـ كأبي هاشم في الجامع الصغير ـ عن تخلّفهم عن ذلك الجيش، بأنّ تجهيزه إيّاه لم يكن بوحي من الله بل باجتهاده، فجاز مخالفته فيه بعد موته، بدليل إمساك أُسامة عن المسير، وقوله «لم أكن لأسأل عنك الركب» وتخلّف صنمي قريش عنه[١].

وهو مردود بصريح قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْـهَوَىٰ * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُوحَىٰ﴾[٢] علىٰ أنّ مخالفة هؤلاء له كيف يكون دليلاً علىٰ جواز مخالفته ؟

وأيضاً مخالفتهم له كانت في حياته، فلو كانت دليلاً علىٰ ذلك لجواز مخالفته في حياته وبعد موته، فأيّ وقت يجب القبول منه؟ وفيه من تجويز الخطأ عليه ما هو قذف بالنسبة إليه، وما هو بأدون من سبّ الكفّار له .

ولا يبعد ذلك من قوم يجعلون لخطأ فقهائهم أجـراً، ويـقولون: إذا وقـع مـن الرسول ما ظاهره الخطأ عفى الله عنه، فيجعلون رتبته أدنىٰ من رتبتهم، ويلتزمون بالطعن عليه، ولا يلتزمون بالطعن علىٰ عمر لمخالفته النبيﷺ في تـخلّفه عـن جيش أُسامة لغدر أضمره .

والذي يؤكّد ما قلناه من أنّه هو الذي منعه من الكتاب، ما رواه الحميدي عن جابر، قال: دعا رسول اللهﷺ بصحيفة عند موته، فأراد أن يكتب لهم كـتاباً لا يضلّون بعده، فكثر اللغط، وتكلّم عمر، فرفضها رسول اللهﷺ[٣] .

---

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس ص ٤٤٩ عن الجامع الصغير لأبي هاشم المعتزلي .

(٢) سورة النجم: ٣ ـ ٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٤٦، صحيح مسـلم ٣: ١٢٥٩، صـحيح البـخاري ١: ٣٧، الطرائف ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

ومن أنّ منعه من الكتاب ليحول بينه وبين ما أراده من ذلك، ما نقله عبدالحميد بن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبي‌طاهر، أنّ ابن عبّاس قال: دخلت علىٰ عمر في أوّل خلافته، وقد اُلقي له صاع من تمر علىٰ خصفة، فدعاني للأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتّىٰ أتىٰ عليه، ثمّ شرب من جرّة كان عنده، واستلقىٰ علىٰ مرفقه، وطفق يحمد الله، يكرّر ذلك.

ثمّ قال: من أين جئت يا عبدالله؟ فقلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت إبن عمّك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر، فقلت: خلّفته يلعب مع أترابه، فقال: لم أعن ذاك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت، فقلت: خلّفته يمتح بالقرب[1] علىٰ نخيلات له وهو يتلو القرآن، فقال: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتنيها أبقي في نفسه شيء من الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها له؟ قلت: نعم وأزيدك أنّي سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله ذرء من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، وقد كان يزيغ[2] في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقاً وحفيظةً على الإسلام، وربّ هذه البنية لا يجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه، فأمسك، فأبى الله إلّا إمضاء ما حتّم[3].

وفيه زيادات أقلّها تقتضي كفره، مثل ردّه على الرسول صلى الله عليه وآله زاعماً بأنّه علم من

---

(١) في الشرح: الغرب. بمعنى الدلو.

(٢) في الشرح: يربع.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد المعتزلي ١٢: ٢٠ ـ ٢١.

الإسلام وصلاحه ما لا يعلمه، واستحقاره قدر علي عليه السلام باستصغاره، ونسبة الزعم إليه الذي هو مظنّة الكذب، وصدور ما لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً من النبي صلى الله عليه وآله في حقّه.

وروى ابن عبد ربّه في المجلّد الرابع من كتاب العقد، عن ابن عبّاس، قال: إنّي ماشيت عمر بن الخطّاب يوماً، فقال لي: ما منع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصّة؟ قلت: لا أدري، قال: لكنّي أدري، إنّكم فضّلتموه بالنبوّة، فقالوا: إن فضّلونا بالخلافة مع النبوّة لم يبقوا لنا شيئاً، وإنّ أفضل النصيبين بأيديكم، بل ما أخالها إلّا مجتمعة فيكم، وإن تركت على رغم أنف قريش[١].

وهو صريح في أنّ الخلافة حقّ علي عليه السلام، وأنّه ظالم له بتقدّمه عليه.

وأورد علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة، من الموفقيات للزبير بن بكّار الزبيري، وهو من المشهورين بالتسنّن، قال: حدّث الزبير، عن رجاله، عن ابن عبّاس، قال: إنّي لأُماشي عمر بن الخطّاب في سكّة من سكك المدينة، إذ قال لي: يابن عبّاس ما أظنّ صاحبك إلّا مظلوماً، قلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين فاردد ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى وهو يهمهم ساعة، فلحقته، فقال: يابن عبّاس ما أظنّهم منعهم منه إلّا استصغروه، فقلت في نفسي: هذه والله شرّ من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من صاحبك، قال: فأعرض عنّي[٢].

وكيف يحلّ لمن يخاف المعاد أن يقول عن علي عليه السلام إنّهم استصغروه؟ ومن

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢١٤، الطرائف ص ٤٢٣.

(٢) كشف الغمّة ١: ٤١٩.

هؤلاء المستصغرون الذين عناهم عمر ليس إلّا هو وأتباعه، فإنّه أوّل من بايع أبابكر، وعدل بالأمر عن علي عليه السلام، وألقح الفتنة، مع اعترافه بأنّه مظلوم في العدول بالأمر عنه، وهو إقرار علىٰ نفسه بالظلم.

ونقل السيّد الجليل علي بن طاووس في الطرائف أنّه وجد في خزانة الكتب بالرباط المعروف بتربة الأخلاطية بالجانب الغربي من بغداد، في ورقة ملحقة بآخر كتاب أعلام رسول الله صلى الله عليه وآله، تأليف المأمون العبّاسي، وتاريخ الكتاب المذكور شوّال سنة إحدىٰ وخمسين ومائتين: إنّه نزلت بعمر نازلة عظيمة عجز عنها المهاجرون لمّا سألهم عنها، فسأل عنها أميرالمؤمنين عليه السلام، فأصدر إليه جوابها، فلوىٰ عمر يده وقال: أما والله لقد أرادك الحقّ ولكن أبىٰ قومك، فقال له: يا أباحفص حفظ عليك من هنا ومن هنا، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً، فانصرف وقد أظلم وجهه، فكأنّما ينظر من ليل[1].

وفيه تهدّد له بيوم القيامة، وإقرار منه بأنّه مظلوم، وأنّه يعلم ذلك، ولا يسهل عليه تسليم الخلافة إليه ميلاً إلى الرئاسة.

وأورد ابن عبد ربّه في كتاب العقد وبعض أرباب التواريخ، أنّ طلحة قال له: ولّيته ـ يعني: أبابكر ـ أمس وولّاك اليوم[2]. ولم ينكر ذلك عليه، فكأنّه إجماع منهم علىٰ أنّه السبب في هذه الولاية.

وأيضاً روىٰ في الكتاب المقدّم ذكره، وكذا المبرّد في الكامل عن عبدالرحمٰن بن عوف، أنّه قال: دخلت علىٰ أبي‌بكر في علّته التي مات فيها، فقلت: أراك متأذّياً

---

(١) الطرائف ص ٤٢٤.

(٢) العقد الفريد ٢: ٢٠٨ طبع الأزهرية بمصر، الطرائف ص ٤٠٢.

يا خليفة رسول الله؟ فقال: إنّي علىٰ ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدّ عليَّ من وجعي، إنّي ولّيت أُموركم خيركم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه. أي: امتلأ من ذلك غيضاً[١].

وهو بصريحه يقتضي اعترافه بأنّ سائر الصحابة كانوا كارهين لهذه الولاية، مع أنّها تقتضي الطعن عليه بأنّه خالف الرسول صلى الله عليه وآله في الاستخلاف؛ لأنّه بزعمهم لم يستخلف، وفي تولية من عزله؛ لأنّه هذا اللعين الذي ولّاه لم يولّه عملاً سوىٰ أنّه بعثه في خيبر، فرجع منهزماً، وولّاه أمر الصدقات، فشكاه العبّاس إليه فعزله.

وقد أورد فخرالدين الرازي في المحصول في باب إنّ إجماع الصحابة حجّة: أنّه قد ورد النصّ المستفيض بأنّ الحقّ يدور مع علي عليه السلام كيف ما دار.

وإذا دار الحقّ معه، فقد ثبت بالإجماع أنّه امتنع عن بيعة الأوّل بلا خلاف: فإمّا أن لا يكون الحقّ معه في تلك الحالة، وذلك باطل للخبر الصادق بأنّ الحقّ دائر معه. وإمّا أن يكون الحقّ معه في تلك الحالة، وهو المطلوب، وهو صريح في أنّه الإمام بلا فصل لمن خلا قلبه من داء العناد والجهل.

وقد بيّنا أنّ الحديث الغدير كذلك، بل كثير ممّا تقدّم من النصوص يحذو حذوهما، وربما أنكر بعضهم دلالة بعضها على المطلوب، وذلك غير قادح، فإنّه لا يشترط في البديهي أن يتطابق الناس على الاعتراف به، فقد أنكر قوم البديهيات، ولا في المتواتر إتّفاق المخبرين علىٰ صحّته، فإنّ اليهود يطعنون علىٰ أشياء من متواترات شرعنا، علىٰ أنّ منكريها لا يخرجون عن أمرين: العناد، أو الشبهة المانعة من اعتقاد موجبها.

---

(١) الكامل للمبرّد ص ١٥ ـ ١٧، الطرائف ص ٤٠١.

ولهذا شرط السيّد المرتضىٰ عدم سبق نقيض الخبر إلى اعتقاد السامع بشبهة أو تقليد .

ومن عمدة شبههم علىٰ هذه النصوص أنّها لو صدرت من النبي صلى الله عليه وآله لما توقّف الصحابة في العمل لموجبها، ولما اختلفوا عند حلولهم سقيفة بني ساعدة في تعيين الإمام؛ لأنّهم بذلوا مهجهم وذخائرهم، وقتلوا أقاربهم وعشائرهم في نصرته، وإقامة شريعته، وانقياد أمره، واتّباع طريقته، فكيف يخالفوه قبل أن يدفنوه، ولا يتّبعوا من نصّ عليه فيها .

ولا ريب أنّ هذه الشبهة عند المنصف من أوهن الشبه، فإنّ أكثرهم خالفوه في حياته، وفارقوه في عدّة من غزواته، وكان يسيؤون المصاحبة له بمحضره، ويتركون الموافقة له في حالتي رضاه وغضبه، ويفارقونه وهو في الصلاة إذا رأوا تجارة أو لهواً[١]، ويخالفونه في فرائض كانت مشهورة في زمانه، وكان يكرّرها عليهم، كالأذان والوضوء، وتفصيل الصلاة وغيرها من الفرائض، ومنهم من كان يعيبه بأنّه لم يعدل في قسمة الصدقات .

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّ عمر قال: قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله قسماً، فقلت: والله لغير هؤلاء كان أحقّ به منهم[٢] .

وروى الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي في تفسيره: إنّ أبابكر وعمر لم يمتثلا أمره على التعيين بقتل من أخبر بأنّ وجوده سبب لافتراق الأُمّة، وبلوغ

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة الجمعة ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ .

(٢) صحيح مسلم ٣: ٧٣٠، الطرائف ص ٤٦٥ .

فرقها إلىٰ ثلاث وسبعين، معتذراً أحدهما بأنّه رآه راكعاً، والآخر بأنّه رآه ساجداً، وقد نهى النبيﷺ عن قتل المصلّين[١].

---

(١) روى الحافظ الشيرازي من تفاسير أهل العامّة، باسناده عن أنس بن مالك، قال: كنّا جلوساً عند النبيﷺ، فتذاكرنا رجلاً يصلّي ويصوم ويتصدّق ويزكّي، فقال لنا رسول اللهﷺ: لا أعرفه، فقلنا: يا رسول الله إنّه يعبد الله ويسبّحه ويقدّسه ويوحّده، فقال: لا أعرفه، فبينما نحن في ذكر الرجل إذا طلع علينا، فقلنا: هو هذا، فنظر إليه رسول اللهﷺ وقال لأبي‌بكر: خذ سيفي هذا واذهب إلىٰ هذا الرجل واضرب عنقه، فإنّه أوّل من رأيته من حزب الشيطان، فدخل أبوبكر المسجد، فرآه راكعاً، فقال: والله لا أقتله، فإنّ رسول الله نهانا عن قتل المصلّين، فرجع أبوبكر، فقال: يا رسول الله إنّي رأيت الرجل راكعاً وإنّك نهيتنا عن قتل المصلّين.

فقال رسول اللهﷺ: اجلس يا أبابكر فلست بصاحبه، قم يا عمر وخذ سيفي من أبي‌بكر وادخل المسجد فاضرب عنقه، قال: فأخذت السيف من يد أبي‌بكر ودخلت المسجد، فرأيت الرجل ساجداً، فقلت: والله لا أقتله فقد استأذنه من هو خير منّي، فرجعت إلىٰ رسول اللهﷺ، فقلت: يا رسول الله إنّي رأيت الرجل ساجداً.

فقال: يا عمر اجلس فلست بصاحبه، قم يا علي فإنّك قاتله إن وجدته فاقتله، فإنّك إن قتلته لم يقع الضلال والاختلاف بين اُمّتي أبداً.

قال عليعليه‌السلام: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أره، فرجعت إلىٰ رسول اللهﷺ وقلت: ما رأيته، فقال: يا أباالحسن إنّ اُمّة موسىٰ افترقت علىٰ أحد وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ اُمّة عيسىٰ افترقت على اثنين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ اُمّتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار.

⇐

فإذا كان هذا حالهم في مخالفته في حياته في مثل ذلك، فكيف يستبعد مخالفتهم له بعد مماته في طلب الملك والخلافة والجاه والمال، وقد انقطعت مشاهدتهم له وحياؤهم منه .

وقد أشار إلىٰ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: حتّىٰ إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السُبل، واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أُمروا بمودّته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضارب [في غمرة][1] قد ماروا في الحيرة، وذهلوا عن[2] السكرة، علىٰ سنّةٍ من آل فرعون: من منقطع إلىٰ دار الدنيا راكنٍ، أو مفارق للدين مباينٍ[3] .

فما هم والله إلّا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً[4]، وقد كانوا يتساهلون عن معرفة شريعته، ويشتغلون عن ذلك بالبيع

⇐ فقال: يا رسول الله من الناجي؟ قال: المتمسّك بما أنت عليه وأصحابك، فأنزل الله في ذلك الرجل ﴿ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريث﴾ يقول: هو أوّل من كان ظهر من أصحاب البدع والضلالات. قال ابن عبّاس: والله ما قتل ذلك الرجل إلاّ أميرالمؤمنين عليه السلام يوم صفّين. الطرائف ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ عنه .

(١) الزيادة من النهج .

(٢) في النهج: في .

(٣) نهج البلاغة ص ٢٠٩ رقم الخطبة: ١٥٠ .

(٤) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً ۞ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾ سور الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤ .

والشراء.

يدلّ علىٰ ذلك ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّ عمر قال عن أمر الاستئذان: إنّه خفي عليَّ هذا، ألهاني عنه الصفق في الأسواق [١].

وروىٰ أيضاً أنّه سأل أباواقد الليثي عمّا قرأ به الرسول ﷺ في يوم العيد [٢].

وامتداد [٣] جهله لمثل ذلك في هذه الأعصر المتطاولة ينبىء عن كمال غفلته عمّا هو الدين.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باسناده عن عبيد بن عمير، أنّ أباموسىٰ استأذن علىٰ عمر ثلاثاً، فكأنّه وجده مشغولاً، فرجع، فقال عمر: ألم تسمع صوت عبدالله بن قيس ائذنوا له، فدعي له، فقال: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال: إنّا كنّا نؤمر بهذا، قال: لتقيمنّ علىٰ هذا بيّنة أو لأفعلنّ، فخرج فانطلق إلىٰ مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد لك علىٰ هذا إلاّ أصغرنا، فقام أبوسعيد فقال: كنّا نؤمر بهذا، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ، ألهاني عنه الصفق بالأسواق. صحيح مسلم ٣: ١٦٩٦، صحيح البخاري ٧: ١٣٠، الطرائف ص ٤٧٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، باسناده عن عبيدالله بن عبدالله، أنّ عمر بن الخطّاب سأل أباواقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول‌الله ﷺ في الأضحىٰ والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ«ق * والقرآن المجيد» واقتربت الساعة وانشقّ القمر.

وروىٰ أيضاً باسناده عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن أبي‌واقد الليثي، قال: سألني عمر بن الخطّاب: عمّا قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد؟ فقلت، باقتربت الساعة، وق والقرآن المجيد. صحيح مسلم ٢: ٦٠٧، الطرائف ص ٤٧٥.

(٣) في «ف»: والامتداد.

ومن جملة شبههم علىٰ حديث يوم الغدير التي أوردها صاحب المواقف أنّ بعض أصحاب الحديث كالبخاري ومسلم لم ينقلوه، وأنّ علياً عليه السلام لم يكن في ذلك اليوم مع النبي صلى الله عليه وآله، بل كان باليمن.

وهي مردودة بأنّ عدم نقل البعض له لا يدلّ على العدم، والتواتر مداره علىٰ حصول العلم لا علىٰ إيراد الجميع متعلّقه.

وروىٰ معاوية بن عمّار، عن الصادق عليه السلام، أنّ علياً عليه السلام قدم من اليمن والنبي صلى الله عليه وآله بمكّة[1]. وحديث يوم الغدير كان بعد الرجوع من مكّة، وروايات الحديث ناطقة بأنّ النبي صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم أخذ بيد علي عليه السلام، وفي بعضها بضبعيه قائلاً الحديث. وذلك ناطق بحضوره ذلك اليوم عنده.

وممّن أورد ذلك من رؤسائهم أحمد بن حنبل في مسنده[2]، وابن مردويه في مناقبه[3]، وأبونعيم الأصفهاني في كتابه[4]، والثعلبي في تفسيره[5]، وعلي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة[6]، وغيرهم، بعدّة أسانيد، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد.

وقد شابهوا اليهود والنصارىٰ بإنكارهم ما تواتر بين الفريقين من النصّ علىٰ

---

(١) بحار الأنوار ٣٠: ٦٠٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٤ و ٤: ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٢٨١

(٣) المناقب لابن مردويه ص ١٢١.

(٤) حلية الأولياء ١: ٦٤.

(٥) الطرائف ص ١٥٢ عنه.

(٦) كشف الغمّة ١: ٢٩٠.

أميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة يوم الغدير، وأهملوا الموظّف ذلك اليوم، كما أنكر اليهود والنصارىٰ ما تواتر من النصّ من موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام علىٰ نبوّة خاتم النبيين، وأهملوا الموظّف في يوم مبعثه عناداً للمسلمين.

وكما أنّ أُولئك آذوا رسول ربّ العالمين، فكذا هؤلاء آذوا أميرالمؤمنين عليه السلام بالاستصغار لقدره، والانكار لحقّه.

فما أقربهم ممّا رواه أحمد بن حنبل في مسنده، من قول النبي صلى الله عليه وآله من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً[١].

وقد روّينا بالأسانيد المعتبرة أنّه قال له: من آذىٰ شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[٢]. وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٣].

وأوردنا فيما تقدّم أنّهم زعموا عدم عموم إمامته، فما أشبههم بالعيسوية[٤]،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٨٣، الطرائف ص ٧٥.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٦: ٣٩١ ـ ٣٩٢ و ١٦: ٥٩٦ و ٢١: ٥٤١.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٤) قال الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢١٥: العيسوية نسبوا إلىٰ أبي عيسىٰ إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: اسمه عوفيد ألوهيم، أي: عابد الله، كان في زمن المنصور، وابتداء دعوته في زمن آخر ملوك بني أُمية مروان بن محمّد الحمار، فأتبعه كثير من اليهود، وادّعوا له آيات ومعجزات، وزعموا أنّه لمّا حورب خطّ علىٰ أصحابه خطّاً بعود آس، وقال: أقيموا في هذا الخطّ، فليس ينالكم عدوّ بسلاح، فكان العدوّ يحملون عليهم حتّىٰ إذا بلغوا الخطّ رجعوا عنهم خوفاً من طلسم أو

⇐

وهم فرقة من اليهود ينسبون إلىٰ رأس لهم اسمه أبوعيسى الأصفهاني، فإنّهم زعموا أيضاً عدم عموم رسالة نبيناﷺ، بل زعموا أنّه مرسل إلى العرب خاصّة، فكانت مرتبتهما سيّان، وعاقبتهما أسوأ العاقبة .

الوجه الثالث

عدم إقرارهم بإمامة الأئمّة الأحدعشر المعصومين من أبنائه عليهم السلام

التي تواترت بها النصوص النبوية، ونطقت بها الكتب السماوية، وذلك لصرفهم لها عنهم، زاعمين أنّ الحسن بن علي عليهما السلام صالح معاوية اللعين على الخلافة، فانتقلت إليه بالصلح، ثمّ من بعده إلىٰ علوج بني أُميّة الأرجاس، وطواغيت بني العبّاس .

⇐ عزيمة ربما وضعها .

ثمّ إنّ أباعيسىٰ خرج من الخطّ وحده علىٰ فرسه، فقاتل وقتل من المسلمين كثيراً، وذهب إلىٰ أصحاب موسى بن عمران الذين هم وراء النهر المرمل ليسمعهم كلام الله، وقيل: إنّه لمّا حارب أصحاب المنصور بالري قتل وقتل أصحابه .

زعم أبوعيسىٰ أنّه نبي، وأنّه رسول المسيح المنتظر، وزعم أنّ للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد، وزعم أنّ الله تعالىٰ كلّمه، وكلّفه أن يخلص بني إسرائل من أيدي الأُمم العاصين، والملوك الظالمين، وزعم أنّ المسيح أفضل ولد آدم، وأنّه أعلىٰ منزلة من الأنبياء الماضين، وإذ هو رسوله فهو أفضل الكلّ أيضاً، وكان يوجب تصديق المسيح، ويعظم دعوة الداعي، ويزعم أنّ الداعي هو المسيح .

وحرّم في كتابه الذبائح كلّها، ونهىٰ عن أكل كلّ ذي روح على الاطلاق طيراً كان أو بهيمة، وأوجب عشر صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة .

وهو خطأ، فإنّ كلام سبط المصطفىٰ عليه السلام في هذا الباب الذي اشترك في نقله الفريقان، صريح في أنّه اضطرّ إلى المسالمة، وإظهار البيعة، دفعاً لسورة النزاع، وحقناً لدماء الأُمّة.

ومن ذلك: قوله ـ لمّا طالبه معاوية بأن يتكلّم على الناس، ويعلمهم ما عنده في هذا الباب، بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ نبيه صلى الله عليه وآله ـ: إنّ أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور، أيّها الناس إنّكم لو طلبتم من جابلق إلىٰ جابرس رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وإنّ الله قد هداكم بأوّلنا محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فتركته لصلاح الأُمّة، وحقن دمائها، وقد بايعتموني علىٰ أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أُسالمه، ورأيت أنّ ما حقن الدماء خير من سفكها، وأردت صلاحكم، وأن يكون ما صنعت حجّة علىٰ من كان يتمنّىٰ هذا الأمر، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلىٰ حين[1].

وهو صريح في ما ذكرنا من اضطراره إلى المسالمة، ولا حجّة في ذلك عليه، كما لا حجّة في مثله علىٰ أبيه لمّا أُكره علىٰ بيعة المتقدّمين عليه.

علىٰ أنّ أكثرهم وافقونا في أنّ خلع الإمام نفسه من الإمامة لا يؤثّر في خروجه منها وإن وقع اختياراً، كما حكاه السيّد المرتضىٰ، بدليل أنّ أبابكر طلب الإقالة، ولو تمكّن من خلع نفسه لما افتقر إلىٰ طلبها، فكيف يؤثّر في ذلك إذا وقع إلجاءً كما هنا.

وكذا وافقونا في أنّ النبي صلى الله عليه وآله صالح سهيل بن عمرو وكفّار قريش، وكتب كتاب الصلح، فلم يمضوه حتّىٰ محىٰ إسمه من ذكر الرسالة، وهو أبلغ من ذكر سبطه

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٠.

لمعاوية .

وكذا وافقونا في أنّ علياً عليه السلام لمّا دعاه معاوية إلىٰ عدوله عن التسمية بامرة المؤمنين، أجابه علىٰ مضض، واقتصر على الاسم المضاف إلى الأب .

وأيضاً فقد صحّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال مشيراً إلى الحسنين عليهما السلام: هذان إبناي إمامان قاما أم قعدا[١] .

ومن ثَمّ وافقنا شرذمة منهم في القول بأنّ الإمام الحقّ بعد علي ابنه الحسن عليهما السلام، وإن خالفونا في الإقرار بثبوت الإمامة للاثني عشر بأسرهم والتصديق بذلك، المتوقّف على العلم بأنّ كلّ من ادّعى الإمامة غيرهم ظالم متعدّ مفترٍ، والإقرار بأنّه من جملة رعية الإمام الحقّ تحقيقاً لعموم إمامته .

ومن ثَمّ لم يلقّبوا بالاثني عشرية، بل اختصّت الفرقة المحقّة بهذا الاسم؛ لحصرهم لها في هذا العدد الذي انحصر فيه نقباء بني إسرائيل وأسباطهم، وساعات الليل والنهار، وأحرف الإقرار بالوحدانية والرسالة، ومنازل القمر، ودرجات الشرف المتصاعد من نبينا صلى الله عليه وآله إلى النضر بن كنانة الذي هو مردّ كلّ قرشي، وفي هؤلاء الأطهار لوجوه :

أحدها: أنّ العصمة شرط في الإمام، بدليل العقل والنقل، وهي منتفية عن غيرهم باتّفاق الخصم، فتنحصر الإمامة فيهم قضيةً للشرط .

الثاني: أنّ اشتراطها فيه يقتضي اعتبار النصّ عليه من النبي صلى الله عليه وآله، أو من إمام تقدّمه؛ لأنّها أمر خفي لا يمكن الاطّلاع عليه إلّا من الوحي، فلو لم يكن منصوصاً عليه لزم تكليف ما لا يطاق، ولا ريب أنّ النصّ علىٰ غيرهم مفقود وفاقاً، فلو لم

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ١٩: ٢١٦ و ٢٦: ٤٨ .

تنحصر الإمامة فيهم لزم أن لا تكون العصمة شرطاً فيه، هذا خلف .

الثالث: أنّ الكمالات النفسانية، كالعلم والشجاعة والسخاوة وحسن الخُلق، والبدنية كمزيد القوّة وشدّه البأس، موجودة في كلّ واحد منهم باتّفاق المخالف والمؤالف، فكلّ واحد منهم كما هو كامل في نفسه كذا هو مكمّل لغيره، وذلك يدلّ على استحقاقه للرئاسة العامّة؛ لأنّه أفضل أهل زمانه، ويقبح عقلاً وسمعاً تقديم المفضول على الفاضل فضلاً عن إثبات الحقّ له، كما يقبح تقديم المساوي علىٰ نظيره لانتفاء المرجّح، فيجب أن يكون كلّ واحد منهم إماماً، وهذا برهان لمّي .

الرابع: أنّهم من جنس الرسولﷺ، والإمام لا يجوز أن يكون من غير جنسه؛ لعلل رواها الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام[1]، بإسناده عنهعليه السلام، منها: أنّه لمّا كان الإمام مفترض الطاعة، لم يكن بدّ من دلالة تدلّ عليه ويتميّز بها من غيره، وهي القرابة المشهورة، والوصية الظاهرة، ليعرف من غيره، ويهتدي إليه بعينه .

ومنها: أنّه لو جاز في غير جنس الرسول، لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل؛ إذ جعل أولاد الرسل أتباعاً لأعدائه، كأبي جهل وابن أبي معيط؛ لأنّه قد يجوز بزعمه أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين، فيصير أولاد الرسول تابعين، وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين، فكان الرسول أولىٰ بهذه الفضيلة من غيره وأحقّ .

ومنها: أنّ الخلق إذا أقرّوا للرسول بالرسالة، وأذعنوا له بالطاعة، لم ينكر أحد منهم عن أن يتبع ولده، ويطيع ذرّيته، ولم يتعاظم ذلك في أعين[2] الناس، وإذا

---

(١) كذا، والصحيح علل الشرائع للشيخ الصدوق أيضاً .

(٢) في العلل: أنفس .

كان ذلك في غير جنس الرسول لكان كلّ واحد منهم في نفسه أنّه أولىٰ بـه مـن غيره، ودخلهم من ذلك الكبر، ولم تسمح أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم، فكان يكون في ذلك داعية لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف[1].

الخامس: النقل المتواتر من الشيعة خلفاً عن سلف بالنصّ من النبي صلى الله عليه وآله عليهم بأسمائهم، ومن كلّ واحد منهم على الآخر بصريح القول، ولا فرق بين من ادّعىٰ عليهم الكذب فيما تواتروا به من ذلك، ومن معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، ومن نصّه علىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد صنّفوا في ذلك كتباً متعدّدة، ونقل المخالفون ذلك من طرق كثيرة تـزيد علىٰ ألف حديث، كما ذكره العلّامة في كتاب مـقصد الواصـلين[2] تـارةً عـلى الإجمال، وتارةً على التفصيل.

فالذي على الإجمال مثل ما رواه البخاري في صحيحه بعدّة أسانيد، أنّـه عليه السلام قال: يكون بعدي إثناعشر خليفة كلّهم من قريش[3].

ومثله روىٰ مسلم في صحيحه[4] بعدّة أسانيد أيضاً، وكذا العبدري في الجمع بين الصحاح الستّة في باب ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[5] بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله،

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) لم أعثر علىٰ هذا الكتاب.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٢٧.

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢ ـ ١٤٥٤.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

قال: هذا الأمر لا ينقضي حتّىٰ يمضي فيهم اثني عشر خليفة كلّهم من قريش[١].

وقريب منه روى الثعلبي في تفسيره[٢]، وأبو داود في صحيحه[٣].

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين لهذه الأحاديث من طريق عبدالملك بن عمير، وطريق شعبة، وطريق سماك بن حرب، وطريق عدي بن حاتم، وطريق عامر الشعبي، وطريق حصين بن عبدالرحمٰن، وجميعها تتضمّن أنّ عدّتهم اثني عشر خليفة، واثني عشر أميراً، كلّهم من قريش[٤].

وروىٰ صاحب الكشّاف بإسناد طويل تركته اختصاراً، أنّ النبي ﷺ قال: فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي، حبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعصتم به نجا، ومن تخلّف عنه هوي[٥].

والذي على التفصيل مثل ما رواه أخطب خوارزم موفّق بن أحمد في مناقبه من الأخبار التي تتضمّن الشهادة للشيعة بتعيينهم علىٰ ما يقولونه من عددهم ونسبتهم وأسمائهم.

فمن ذلك: ما رواه بإسناده، عن أبي سليمان راعي رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول: إنّ الله عزّوجلّ قال لي ليلة المعراج: يا محمّد إنّي اطّلعت إلى الأرض

---

(١) الطرائف ص ١٧١ عنه.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٤١٩ عنه.

(٣) صحيح أبي داود السجستاني ٤: ١٠٦.

(٤) العمدة لابن البطريق ص ٤١٩ ـ ٤٢١، والطرائف ص ١٧١ عنه.

(٥) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٢٨٨ و ٩: ١٩٩ و ٢٠٩.

اطّلاعة فاخترتك منها، فشققت لك إسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موضع إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطّلعت ثانية فاخترت علياً، وشققت له إسماً من أسمائي، فأنا الأعلىٰ وهو علي.

يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من نوري[1]، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمّد لو أنّ عبداً من عبادي عبدني حتّىٰ ينقطع، أو يصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم، ما غفرت له حتّىٰ يقرّ بولايتكم.

يا محمّد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، فقال لي: إلتفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسىٰ، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي، والمهدي في ضحضاح من نور، قياماً يصلّون وهو في وسطهم ـ يعني: المهدي ـ كأنّه كوكب درّي.

فقال: يا محمّد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي[2].

وبإسناده، عن سلمان المحمّدي، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وإذاً الحسين عليه السلام علىٰ فخذه، وهو يقبّل عينيه، ويلثم فاه، ويقول: أنت سيّد ابن سيّد أبو السادة، أنت

---

(١) في المقتل: من ولده من سنخ نور من نوري.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخطيب الخوارزمي ص ٩٥ ـ ٩٦، الطرائف ص ١٧٣ عن المناقب. والحديث غير موجود في مناقب الخوارزمي بل في مقتله.

إمام ابن إمام أبو الأئمّة، أنت حجّة ابن حجّة أبو الحجج، تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم[١]. إلىٰ غير ذلك.

ومثله روى الترمذي في صحيحه: إنّ النبي ﷺ قال له: هذا ولدي إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمّة تسعة تاسعهم قائمهم[٢].

بل رویٰ نحوه جمع كثير من علمائهم، بل أورد السيّد الجليل علي بن طاووس في الطرائف أنّه رأىٰ لعلمائهم عدّة مصنّفات في هذا المعنىٰ، كالكتاب الموسوم بمقتضب الأثر في إمامة الاثني عشر[٣]، والكتاب الموسوم بتاريخ آل رسول الله ﷺ لنصر بن علي الجهضمي[٤]. وإن لم يتركوا عادات كفرهم في إنكار إمامتهم

ورویٰ خلق كثير منهم ما لا يحصىٰ من الأخبار في ظهور المهدي وإمامته، والنداء باسمه في السماء عند ظهوره، وأنّه من ولد فاطمة عليها السلام، ومن أبناء الحسين بن علي عليهما السلام، وذكر كنيته، واسم نوّاب غيبته، وسيرته، وحال دولته، ومدّة حكومته، ونزول عيسى بن مريم من السماء لنصرته وائتمامه به[٥].

---

(١) مقتل الخوارزمي ص ١٤٦، الطرائف ص ١٧٤.

(٢) راجع: صحيح الترمذي ٥: ٦١٤ ـ ٦٢٠.

(٣) للمحدّث الجليل الشيخ أحمد بن محمّد بن عبيدالله بن عياش الجوهري، المتوفّىٰ سنة (٤٠١) هـ وكتابه هذا مطبوع، وهو من الكتب القيمة.

(٤) الطرائف ص ١٧٢ و ١٧٥.

(٥) وقد جمع الأخبار الواردة من طريق المخالفين في الامام المهدي عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، وما يتعلّق به، العلاّمة السيّد المرعشي النجفي في ملحقات إحقاق الحقّ، المجلّد ثالث عشر.

ومن الراوين لذلك العبدري في الجمع بين الصحاح الستّة، وابن شيرويه الديلمي في الفردوس[١]، وأبي داود في صحيحه[٢]، وابن المغازلي في مناقبه، وغيرهم ممّن لا نطوّل الكتاب بذكره[٣].

بل أورد السيّد المشار إليه في الطرائف: أنّهم صنّفوا في هذا الباب كتباً، مثل

---

(١) روىٰ في كتاب الفردوس، عن حذيفة بن اليمان: المهدي رجل من ولدي، وجهه كالقمر الدرّي، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضىٰ بخلافته أهل السماء والأرض، والطير في الجوّ، يملك عشرين سنة.

وروىٰ أيضاً عن ابن عبّاس: المهدي طاووس أهل الجنّة.

وروىٰ أيضاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام: المهدي منّا أهل البيت، يصلحه الله عزّوجلّ في ليلة.

وروىٰ أيضاً عن أُمّ سلمة: المهدي من ولد فاطمة. فردوس الأخبار ٤: ٤٩٦ ـ ٤٩٧ برقم: ٦٩٤٠ ـ ٦٩٤٣

(٢) روىٰ أبوداود في سننه باسناده، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لولم لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

وروىٰ أيضاً باسناده، عن أُمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة.

وروىٰ أيضاً باسناده، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين. سنن أبي داود السجستاني ٤: ١٠٧ برقم: ٤٢٨٣ ـ ٤٢٨٥.

(٣) راجع: الطرائف ص ١٧٥ ـ ١٧٨.

كتاب المخفي في مناقب المهدي، يشتمل علىٰ مائة وعشرة أحاديث، وكتاب ذكر المهدي ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته لأبي‌نعيم الحافظ، يشتمل علىٰ أحاديث كثيرة كلّها من طرقهم[١]. وفيه يقول الشاعر:

الخضر يحجبه وعيسىٰ خلفه وقت الصلاة وفضله لا يسبق

الله أكبر كم دماء تهرق فهناك يؤخذ ثار آل محمّد

لكن في رواية الترمذي بإسناده عن رسول الله ﷺ زيادة هي موافقة اسم أبيه لاسم أبيه أيضاً[٢]. ومن هنا حصل لهم شبهة في أنّ المراد به ما أجمع عليه علماؤنا، وجوّزوا تجدّد من هو بهذه الأوصاف في المستقبل من الزمان، وخلوّ بعض الأزمنة من الإمام.

والذي يقال في دفع شبهتهم[٣] أنّ صاحب الزمان جدّه الأعلىٰ الحسين بن علي عليه السلام، وقد كانت كنيته أبا عبدالله، فأطلق عليه السلام على الكنية لفظة الاسم وعلى الجدّ لفظة الأب، فكأنّه قال: يوافق كنية جدّه اسم أبي.

علىٰ أنّه يمكن أن تكون هذه الزيادة من جملة مفترياتهم كي يتوصّلوا بذلك إلىٰ إثبات مطلوبهم من إنكار وجوده الآن، وكيف يستبعد ذلك منهم؟ وهم منكرون لثبوت الإمامة لهذا العدد ولهؤلاء الأطهار الذين تواترت النصوص بإمامتهم.

---

(١) الطرائف ص ١٧٩.

(٢) صحيح الترمذي ٤: ٥٠٥.

(٣) هذه بعد تمهيد مقدّمتين: إحداهما جواز إطلاق الأب على الجدّ. الثانية إطلاق لفظة الاسم على الكنية؛ لوقوعهما في لغة العرب كثيراً. ويزيده بياناً ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من أنّ النبي ﷺ سمّىٰ علياً أبا تراب.

بل ربما إذا سئلوا هل وردت رواية في ثبوت إمامتهم؟ أصرّوا بأجمعهم على العدم، ولو سلّموا ورودها حكموا بأنّها شاذّة، مع أنّها واردة فيما أشرنا إليه من كتبهم التي عليها يعوّلون فضلاً عن كتب أحاديث الخاصّة، فبأيّ حديث بعده يؤمنون.

وقد روى الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام، بإسناده عنه عليه السلام، قال: لا يكون القائم إلّا إمام ابن إمام، ووصي ابن وصي[1].

وروىٰ في كتاب الغيبة بإسناده، عن أبي‌بصير، وأبان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام قال: إنّهم لاستبعاد غيبة الثاني عشر اختلفوا في المذاهب، فمن قائل يهذي بأنّه لم يلد، وقائل يقول: إنّه ولد ومات، وقائل يكفر بأنّ حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يمرق إنّه يتعدّىٰ إلىٰ ثالث عشر وصاعداً، وقائل يعصي الله بقوله إنّ روح المهدي تنطق في هيكل غيره[2].

وبإسناده، عن صفوان بن مهران، عنه عليه السلام، قال: من أقرّ بجميع الأئمّة وجحد المهدي، كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمّداً صلى الله عليه وآله نبوّته، فقيل: يابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته[3].

ومثله روىٰ عن عبدالله بن أبي‌يعفور، عنه عليه السلام[4].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣١ ح ١٣.

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٣) كمال الدين ص ٣٣٣ ح ١ و ص ٤١١ ح ٥.

(٤) كمال الدين ص ٤١١ ح ٤.

وعن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني[١].

وعن ابن مسكان عنه عليه السلام: من أنكر واحداً من الأحياء، فقد أنكر الأموات[٢].

وعن غياث بن إبرهيم عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية[٣].

وعن محمّد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام: إنّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: أنت والأئمّة من ولدك بعدي حجج الله علىٰ خلقه، وأعلامه في بريته، من أنكر واحداً منكم فقد أنكرني، ومن عصىٰ واحداً منكم فقد عصاني، ومن جفا واحداً منكم فقد جفاني[٤].

وعن الأعمش، عن الصادق عليه السلام، قال: من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية[٥].

إلىٰ غير ذلك ممّا يشهد بكفر من مات علىٰ هذه الحالة.

وقد روىٰ أيضاً في غير هذا الكتاب ما ينطق بذلك.

فمن ذلك: ما رواه في عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن يحيى بن أبي القاسم، عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمّة بعدي اثناعشر، أوّلهم علي بن

---

(١) كمال الدين ص ٤١٢ ح ٨.

(٢) كمال الدين ص ٤١٠ ح ١ و ح ٢.

(٣) كمال الدين ص ٤١٢ ـ ٤١٣ ح ١٢.

(٤) كمال الدين ص ٤١٣ ح ١٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٢، كمال الدين ص ٤١٣.

أبي طالب، وآخرهم المهدي[١]، هم خلفائي وأوليائي وأوصيائي، وحجج الله علىٰ أُمّتي بعدي، المقرّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر[٢].

ورویٰ أيضاً أنّ في حديث اللوح: ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي[٣].

وإنّ الصحيفة التي هي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ علي عليه السلام ناطقة بإمامتهم[٤].

وإنّ اليهودي أخبر بأنّ كون عدّة خلفائه اثني‌عشر بخطّ هارون وإملاء موسىٰ عليه السلام[٥].

وفي التوراة: وأمّا إسماعيل فقد أجبت دعاءك فيه، وعظّمته جدّاً جدّاً، وسيلد اثناعشر عظيماً[٦].

وفي تفسير السدّي: كان فيما أوحى الله إلىٰ إبراهيم عن إسماعيل: إنّي ناشر ذرّيته، وجاعلهم ثقلاً علىٰ من كفر بي، وجاعل منهم نبياً عظيماً، ومظهره على الأديان، وجاعل من ذرّيته اثناعشر عظيماً[٧].

وذلك كاشف للمراد من تلك العدّة، ومنبّه علىٰ أنّهم هم المعنيون بها، وأنّهم أحقّ

---

(١) في العيون: القائم.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٩ ح ٢٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٣.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ٤٥ ح ٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٣ ـ ٥٤.

(٦) الغيبة للمحدّث الجليل النعماني ص ١٠٨.

(٧) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ١٧٢ عنه.

بالإمامة وأهلها .

وروى الصدوق في الأمالي وفي كتاب الغيبة والنبوّة: أنّهم هم المعنيون بالكلمات في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّـهُ بِكَـلِمَاتٍ فَأَتَـمَّهُنَّ﴾[١] وقد اشتملت روايته علىٰ أنّه أراد أتمّهنّ إلى القائم اثناعشر إماماً[٢] .

ومثله روىٰ من العامّة ابن المغازلي الشافعي في مناقبه[٣] .

وروى مجاهد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نحن المعنيون بالناس في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[٤] وفي بعض الروايات: آل إبراهيم هم آل محمّد[٥] .

ويؤيّده ما رواه السدّي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[٦] إلىٰ يوم يبعثون، إنّ عقبه آل محمّد عليه وعليهم السلام[٧] .

وروىٰ غيره أنّ الكلمة الباقية هي الإمامة إلىٰ يوم القيامة، ولا يرد أنّ إنكار إمامتهم لو اقتضى الكفر، فما الوجه في كون مثل الواقفية من فرق الشيعة، مع

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤ .

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ١٢٦ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٧٦ .

(٤) سورة النساء: ٥٤ .

(٥) راجع: إحقاق الحق ١٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٨ .

(٦) سورة الزخرف: ٢٨ .

(٧) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٥٧٣ و ١٣: ٣٠٦ و ٢٨: ٤٠١ .

إنكارهم إمامة الثامن ومن بعده من الأئمّة لزعمهم أنّ الكاظم عليه السلام حيّ، وذلك لإقرارهم بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بغير فصل، واعتقادهم ظلم المتقدّمين عليه، وغصبهم حقّه .

الوجه الرابع
عدم التزامهم بما القرآن المجيد والسنّة المطهّرة مشحونان بوجوبه

بل بكونه علامة الإيمان، وعدمه علامة الكفر والنفاق والخسران، وهو ولاية أئمّة الهدىٰ الذين هم أهل بيت النبوّة الأصفياء البررة، والبراءة من أعدائهم الكفرة الفجرة، قاصدين بذلك إطفاء أنوارهم، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره .

ألا ترىٰ أنّهم مالوا إلىٰ أعدائهم، حتّى اعتقدوا أنّهم أحقّ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ، وافتروا على الرسول الناطق بالصدق أنّه قال: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبابكر خليلاً. وأنّه قال: لولم أُبعث لبعثت يا عمر. وأنّه قال: ما أبطىء عنّي الوحي إلّا ظننته سينزل علىٰ عمر. وأنّه أتاه جبرئيل ليسأله هل هو راض عن الله كرضى الله عنه. ونحو ذلك[١] .

وهو من عظيم الافتراء عليه، فإنّه ليس في أبي‌بكر باتّفاق المسلمين صفة كمال يقتضي ذلك من علم، أو دين، أو فقه، أو زهادة، أو عبادة، أو حسن بلاء في الدين.

نعم ربما ادّعىٰ بعض المتوقّحين منهم أنّه أنفق علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ماله، وردّه بعض محدّثيهم، وادّعىٰ أنّه مكذوب[٢] .

---

(١) ذكر هذه الافتراءات والجواب عنها، العلّامة الأميني في الغدير، فراجع .

(٢) راجع: الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٤٠٥ .

وروي أنّه لمّا أراد الهجرة اشترىٰ منه بعيراً ودفع إليه الثمن فأخذه، قال: فمن لم ينفعه في مثل هذا اليوم متىٰ يكون نفعه له بعد انتشار الأمر، وكثرة الغنائم، وظهور المسلمين.

وعلىٰ تقدير الصحّة والتسليم، فهل يكون ذلك صالحاً لأن يتّخذه الله خليلاً ورافعاً لعيب عبادته الأصنام، وتعفير وجهه لها من دون الله تعالىٰ قبل البعثة إلىٰ أمد شابّ فيه قرنه، وابيضّ فرده.

وقد روي أنّ أباه سئل عن استخلاف الناس له، فقال: لأنّه أكبر سنّاً، فقال: أنا أكبر منه.

وكيف يجوز في عصمته النبي ﷺ أن يقول في عمر ما تقدّم ذكره، والله عزّوجلّ يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[1] فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه مبعوثاً؟ ومن أخذ ميثاقه مؤخّراً، وهو طعن المأمون العبّاسي في هذه الرواية.

ويكذب رواية الخلّة المذكورة ما تواتر بين الفريقين من أنّه آخىٰ بين صنمي قريش وبين سائر الأشكال والأمثال من الصحابة، وأخّر علياً عليه السلام فقال له: آخيت بينهم وتركتني، فقال: ما أخّرتك إلّا لنفسي، ثمّ إنّه آخاه.

روىٰ ذلك أحمد بن حنبل في مسنده[2]، والبلاذري في تاريخه، والثعلبي في

---

(١) سورة الأحزاب: ٧.

(٢) روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده، باسناده عن سعيد بن المسيّب، أنّ رسول الله ﷺ آخا بين الصحابة، فبقي رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر وعلي عليه السلام، ⇐

تفسيريه، وغيرهم بعدّة أسانيد[١].

وهو يستلزم أن يكون هو خليله لا من زعموه.

وكذا افتروا عليه أنّه قال: ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علىٰ رجل أفضل من أبي‌بكر. وأنّه قال عنه وعن عمر: هما سيّدا كهول أهل الجنّة. مع أنّه ليس في الجنّة كهل، فإن زعموا عود شبابهما، فقد ثبت بالتواتر أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، وأبوهما خير منهما[٢].

وقال: علي خير البشر من أبىٰ فقد كفر. وهو مروي في مناقب ابن مردويه بعدّة أسانيد[٣].

⇐ فآخىٰ بين أبي‌بكر وعمر، وقال لعلي عليه السلام: أنت أخي وأنا أخوك. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٥٩٧ برقم: ١٠١٩.

وروىٰ أيضاً باسناده عن عمر بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله آخا بين الناس وترك علياً عليه السلام حتّىٰ بقي آخرهم لا يرىٰ له أخاً، فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني؟ قال: ولِمَ تراني تركتك؟ وإنّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله، لا يدّعيها بعدك إلاّ كذّاب. فضائل الصحابة ٢: ٦١٦ برقم: ١٠٥٥.

(١) الطرائف ص ٦٣ ـ ٦٥، العمدة لابن البطريق ص ١٦٦ ـ ١٧١ عنهم.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٦١٤، المناقب لابن شاذان ص ١٩، الطرائف ص ٢٠١.

(٣) المناقب لابن مردويه ص ١٠٩ ـ ١١٠.

وفي مناقب الخوارزمي[١]: عن أبي ذرّ الغفاري: من ناصب علياً الخلافة بعدي، فهو كافر وقد حارب الله ورسوله، ومن شكّ في علي فهو كافر[٢].

و«مَن» من أدوات العموم، ولفظة «بعدي» تقتضي عموم البعدية في كلّ وقت، ومن ثَمّ كان نصّاً في وجوب البراءة منهم؛ لصرفهم الخلافة عنه، ومن رؤسائهم الذين غصبوا حقّه، وتآمّروا عليه بعده، وكذّبوا بولايته، التي هم عنها في القبور والبعث والنشور من المسؤولين، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، فصدّهم عن سبيل وكانوا مستبصرين.

ويزيده بياناً ما رواه الثقة ابن شاذان في مناقبه من قوله عليه السلام: ولاية علي لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائه وأعداء الأئمّة من ولده[٣].

وفي مناقب أخطب خوارزم قال عليه السلام: لا يقبل الله إيمان عبد إلّا بولايته والبراءة

---

(١) كذا، والصحيح: ابن المغازلي.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٤٦ برقم: ٦٨.

(٣) المناقب لابن شاذان ص ٢٨ المنقبة التاسعة، روىٰ باسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أميرالمؤمنين وإمام المتّقين، يا علي أنت سيّد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصدّيقين وأفضل السابقين، يا علي أنت زوج سيّدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا علي أنت مولى المؤمنين، يا علي أنت الحجّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنّة من تولّاك، واستحقّ النار من عاداك، يا علي والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني علىٰ جميع البرية لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل الله ذلك منه إلاّ بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك، وإنّ ولايتك لا تقبل إلاّ بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمّة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

من أعدائه[١].

وروى الثقة محمّد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبي‌بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[٢] قال: يعني من أشرك بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام غيره ولم يؤمن بآيات ربّه وترك الأئمّة معاندة، فلم يتّبع آثارهم ولم يتولّهم[٣].

وبإسناده عن عبدالرحمٰن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٤] قال: بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان، فهو الملبّس بالظلم[٥].

قلت: أراد بمن كنّىٰ عنهم أبابكر وعمر وعثمان، ولم يصرّح بأسمائهم للتقية.

وقد روى السيّد المرتضىٰ في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

---

(١) روى الخوارزمي في مناقبه ص ٦٧ باسناده عن علي بن أبي‌طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي عليه السلام: يا علي لو أنّ عبداً عبد الله عزّوجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل اُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتّىٰ حجّ ألف عام علىٰ قدميه، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها.

وراجع: بحار الأنوار ٣٨: ١٩٦ و ١٩٨، جامع الأخبار ص ١٤.

(٢) سورة طه: ١٢٧.

(٣) اُصول الكافي ١: ٤٣٦.

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

(٥) اُصول الكافي ١: ٤١٣ ح ٣.

عَمَلُكَ﴾[١] أنّ النبي ﷺ لمّا نصّ علىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام بالإمامة، جاءه قوم من قريش، فقالوا له: يا رسول الله الناس قريبوا عهد بجاهلية وشرك، ولا يرضون أن تكون النبوّة فيك والإمامة في ابن عمّك، فلو عدلت بها إلىٰ غيره لكان أولىٰ.

فقال لهم: ما فعلت ذلك برأيي فأتخيّر فيه، لكن الله تعالىٰ أمرني به وفرضه عليّ.

فقالوا له: فإذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف علىٰ ربّك، فأشرك معه في الخلافة رجلاً من قريش تسكن الناس إليه ليقيم لك أمرك ولا تخالف الناس عليك، فنزلت الآية. والمعنىٰ فيها لئن أشركت في الخلافة مع أميرالمؤمنين عليه السلام ليحبطنّ عملك[٢].

وفي هذه الأحاديث أتمّ تصريح في إثبات المطلوب من هذه الآيات، فأيّ آيات الله ينكرون.

وروىٰ شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي رحمه الله في التهذيب، عن إسماعيل الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحبّ أميرالمؤمنين عليه السلام ولا يبرأ من عدوّه، ويقول: هو أحبّ إليّ ممّن خالفه، فقال: هذا مخلّط، وهو عدوّ، لا تصلّ خلفه ولا كرامة إلّا أن تتّقيه[٣].

وقال عدّة لسان العرب يقتضي ذلك أيضاً قال الشاعر:

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّني ... صديقك إنّ الرأي عنك لعازب[٤]

---

(١) سورة الزمر: ٦٥.

(٢) تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضى ص ١٢٠، بحار الأنوار ١٧: ٧١ و ٣٧: ١٥٩.

(٣) تهذيب الأحكام ٣: ٢٨ ح ٩٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١٠٧ و ٢٠: ١٥.

وفي التـنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[١] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٣].

وقد روي أنّ النبيﷺ كان يقول: اللّهمّ لا تجعل لفاسق عندي نعمة، فإنّي قد وجدت فيما أوجبت ﴿لا تجد قوماً﴾ الآية[٤].

وبعد، فإنّ المشركين لم يكتف الشارع بإسلامهم واعتقادهم الإلهية ونطقهم بها حتّىٰ نفوها عن كلّ من سواه، وإنّ الكتابي إذا أسلم يطالب مـع التـلفّظ بكـلمتي الشهادة بالبراءة من كلّ دين يخالف دين الإسلام ولو كان من العيسوية، طولب مع التلفّظ بكلمتي الشهادة بالإقرار بعموم الرسالة، وذلك كلّه دليل قاطع علىٰ أنّ مودّة العدوّ خروج عن ولاية الولي.

فمخالفونا خارجون عن ولاية أهل البيتعليهم السلام التي هي ركـن الإسـلام بـعدم البراءة ممّن أشرنا إليه من رؤساء أعدائهم، الحاصلة بكلّ من المعاداة والمجانبة والقطيعة، وكذا اللعن، وإن دلّ عليها التزاماً؛ لقول عليعليه السلام: فأمّا السبّ فسبّوني فإنّه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرّؤوا منّي، فإنّي ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإسلام والهجرة[٥].

وظاهره عدم جواز البراءة منه تقية، ويحمل النهي على الكراهية جـمعاً بـين

---

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) سورة التوبة: ٢٣.

(٣) سورة المائدة: ٥١.

(٤) مجموعة ورّام ٢: ٢٣٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٤: ٥٤، بحار الأنوار ٣٩: ٣٢٥.

الأدلّة .

نعم يشترط مع الاقتصار عليه أن يقصد به والبراءة من أعدائه وأعداء الطيبين من أبنائه، ويكفي في حصولها معرفة صنف أعدائهم، كما يكفي معرفة صنف من ادّعى النبوّة: إمّا إستقلالاً، أو مع نبينا صلى الله عليه وآله، والبراءة منه باعتبار هذه الدعوى الباطلة واعتقاد كفره، وإلّا لم يكن معتقداً بعموم رسالة نبينا صلى الله عليه وآله .

ولا تجب معرفة عين من ادّعى النبوّة والإمامة والبراءة منه، بل تجب البراءة من هذا الصنف، ولو عرفهم بأعيانهم وتبرّأ منهم لكان آكد وأقوىٰ، وهذا كما في كلمة التوحيد سواء .

واعلم أنّه يشترط في حصول ولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام أمران آخران :

الأوّل: مودّة شيعتهم؛ لما رواه الصدوق في الأمالي، عن ابن عبّاس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: شيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبّهم فقد أحبّنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا[١] .

وهو صريح في المطلوب .

وكذا قال الصادق عليه السلام في رواية عبدالله بن سنان: لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمّداً وآل محمّد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنّكم تتولّونا[٢] وأنّكم من شيعتنا[٣] .

الثاني: أن لا تبلغ ولايتهم إلىٰ حدّ الإفراط، بحيث يعتقد المكلّف اُلوهية

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٦ برقم: ٣٢ .

(٢) في النسختين: توالونا .

(٣) علل الشرائع للشيخ الصدوق ص ٦٠١ ح ٦٠ .

أحدهم، فإنّه لا ريب أنّ من بلغ اعتقاده إلىٰ هذا الحدّ يكون كافراً باتّفاق الخاصّة والعامّة، ويعبّرون عن هذا النوع بالغالي، وبه نطق قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١] وقد صحّ عن علي عليه السلام أنّه قال: يهلك فيّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال[٢].

وقد صرّح صاحب كشف الغمّة بأنّ من علامة بغضه تفضيل غيره عليه[٣].

وذلك شاهد باتّصافهم ببغضه، والنصّ القاطع ناطق بأنّ بغضه نفاق.

هذا مع أنّ تفضيل الفاسق عليه في قوّة البراءة منه، والبراءة منه كفر.

ولعمري قد كذّبوا الآيات النازلة في حقّه وحقّ الطيبين من أبنائه، وبذلوا جهدهم في إبعادهم عن حقوقهم، وإخفائهم لمناقبهم، حتّىٰ أنّهم يتردّدون فيما هو مشاهد بالأبصار من إبرائهم الأعمىٰ والأصمّ والمقعد من العمىٰ والصمّ والإقعاد، وأنكروا زيارة قبورهم، وعابوا شيعتهم على ارتدادهم لزيارتها، مع ما رووه في صحاحهم من مشروعية زيارة القبور.

فمن ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه في المجلّد الثالث، عن أبي‌بردة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها[٤].

---

(١) سورة آل عمران: ٨٠.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٨٩ برقم: ١١٧، و ص ٥٥٨ برقم: ٤٦٩.

(٣) راجع: كشف الغمّة ١: ٩٠.

(٤) عوالي اللآلي ٢: ٦١ برقم: ١٦٣، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٠ ح ١٥٧١، صحيح مسلم ٢: ٦٧٢، مستدرك الحاكم ١: ٣٧٥، مصابيح السنّة للبغوي ١: ٥٦٨ برقم: ١٢٣٩، سنن النسائي ٤: ٨٩، منهج الرشاد ص ١٤٤.

فكيف حسن من قوم يروون عنهﷺ الأمر بزيارة كافّة القبور، ثمّ ينكرون علىٰ من زار قبور علماء أهل بيته، وهم بضعة من لحمه، وعلامة ذلك انـقطاعهم عـن قبورهم، وتردّدهم إلىٰ قبور رؤساء نحلتهم.

ولو تتبّع أحد تقريرهم وتحريرهم، يجدهم لا يصلّون عليهم عـقيب الصـلاة عليه، حتّىٰ أنّ علماء الشافعية زعموا أنّ الصلاة عليهم غير جائزة إلّا تبعاً؛ لزعمهم أنّ جوازها مقصور على الأنبياء والملائكة.

وأطلق أئمّة الحنفية، ومنهم الزمخشري في الكشّاف[١] المنع منها، مصرّحين بأنّ العلّة فيه مجرّد العناد للشيعة القائلين بجوازها مطلقاً، مع أنّهم يعلمون عـلماً قطعياً أنّ الله تعالىٰ لا يقبل صلاة أحد إلّا بالصلاة عليهم أجمعين ﴿فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[٢].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما، وكذا الحـميدي فـي الجـمع بـين الصحيحين، والثعلبي في تفسيره وغيرهم، أنّ كيفية الصلاة عليهم أن يقولوا: اللّهمّ

---

(١) قال الزمخشري في الكشّاف ٣: ٢٧٣: فإن قلت: فما تقول فـي الصـلاة عـلىٰ غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة علىٰ كلّ مؤمن؛ لقوله تعالىٰ ﴿هـو الذي يـصلّي عليكم﴾ وقوله تعالىٰ ﴿وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم﴾ وقولهﷺ «اللّهمّ صلّ علىٰ آل أبيأوفىٰ» ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك، وهو أنّها إن كانت عـلىٰ سـبيل التبع، كقولك «صلّى الله على النبي وآله» فلا كلام فيها، وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو، فمكروه؛ لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول اللهﷺ، ولأنّه يؤدّي إلى الاتّهام بالرفض.

(٢) سورة البقرة: ٨٩.

صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد[١].

وهذا من أدلّ دليل علىٰ أنّ الصلاة عليه لا تحصل بمجرّدها، وديدنهم عنه اتّباع الصلاة عليهم بها الفصل بلفظة «علىٰ» غير ملتفتين إلىٰ أنّه نهىٰ عنه الشرع القويم، ميلاً إلىٰ ما زعموه من تحقّق الفصل بالأجانب، ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم.

وجعلوا يوم قتل الحسين عليه السلام يوم عيد وسرور وفرح وتجمّل بالثياب الفاخرة ونحو ذلك، مع ما رووه أنّ السماء مطرت دماً ذلك اليوم[٢]، وأنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتله[٣]، وأنّ من دمعت عيناه لقتله دمعة أو قطرة بوّأه الله الجنّة[٤]، وأنّ تربته شفاء من كلّ داء[٥]، إلىٰ غير ذلك.

وكذا تظاهروا بعداوة أبي طالب عمّ الرسول صلى الله عليه وآله لأبيه وأمّه، حتّىٰ زعموا أنّه نزل فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٦] وإن أنكره منهم أبوالمجد ابن الواعظ[٧] في كتاب أسباب نزول القرآن، حيث قال ما هذا لفظه: قال الحسن بن الفضل[٨] في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ كيف يقال: إنّها نزلت في أبي طالب؟ وهذه

---

(١) صحيح مسلم ١: ٣٠٥، صحيح البخاري ٦: ٢٧، الطرائف ص ١٦٠ ـ ١٦٢.

(٢) ذخائر العقبىٰ ص ١٤٥، مقتل الخوارزمي ص٢: ٨٩، الطرائف ص ٢٠٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٥: ٧٤، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٩٠، ينابيع المودّة ص ٣٢٢، الطرائف ص ٢٠٣ ح ٢٩٤.

(٤) ذخائر العقبىٰ ص ١٩، الطرائف ص ٢٠٣ ح ٢٩١.

(٥) كامل الزيارات ص ٤٦٠، باب ما يستحبّ من طين قبر الحسين عليه السلام وانّه شفاء.

(٦) سورة القصص: ٥٦.

(٧) في الطرائف: رشادة الواعظ الواسطي.

(٨) في الطرائف: مفضّل.

السورة آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وأبو طالب مات في عنفوان الإسلام والنبي ﷺ بمكّة، وإنّها هذه الآية نزلت في الحارث بن نعمان بن عبدمناف، وكان النبي ﷺ يحبّ إسلامه، فقال له يوماً: إنّا لنعلم أنّك على الحقّ، وإنّ الذي جئت به حقّ، ولكن يمنعنا من اتّباعك أنّ العرب تتخطّفنا من أرضنا لكثرتهم وقلّتنا، ولا طاقة لنا بهم، فنزلت الآية[١].

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عدّة أخبار في أبي طالب أنّه كان للنبي ﷺ ناصراً ومعيناً[٢].

وروى الثعلبي في تفسيره: أنّه قال لعلي عليه السلام: يا بني ما هذا الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله ورسوله، وصدّقته فيما جاء به، وصلّيت معه لله، فقال له: أما أنّ محمّداً لا يدعو إلّا إلىٰ خير فألزمه[٣].

وروىٰ أيضاً في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[٤] عن ابن عبّاس، قال: اجتمعت قريش إلىٰ أبي طالب، وقالوا له: سلّم إلينا محمّداً، فقد سبّ آلهتنا، وهذه أبناؤنا بين يديك تبنّ بأيّهم شئت، ثمّ دعوا بعمارة بن الوليد وكان مستحسناً، فقال لهم: هل رأيتم ناقة حنّت إلىٰ غير فصيلها؟ لا كان ذلك أبداً، فدخل على النبي ﷺ فرآه كئيباً وقد علم مقالة قريش، فقال: يا محمّد لا تحزن، ثمّ قال شعراً:

---

(١) الطرائف ص ٣٠٦ عنه.

(٢) الطرائف ص ٣٠٠، والعمدة لابن البطريق ص ٤١١.

(٣) العمدة لابن البطريق ص ٤١٤ عنه.

(٤) سورة الأنعام: ٢٦.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتّىٰ أُوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة — وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وذكرت أنّك ناصحي — ولقد نصحت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً قد علمت بأنّه — من خير أديان البرية دينا

قال: وقد اتّفق علىٰ صحّة هذه الأبيات عنه: مقاتل، وعبدالله بن عبّاس، والقاسم بن محصرة[١]، وعطاء بن دينار[٢].

وفي قصيدة يحضّ أخاه حمزة على اتّباع النبي ﷺ، والصبر علىٰ طاعته، منها:

صبراً أبا يعلىٰ علىٰ دين أحمد — وكن مظهر للدين وفّقت صابرا

وفي أبيات يحضّ أيضاً ولده علىٰ ذلك، وهي:

إنّ علياً وجعفراً ثقتي — عند ملمّ[٣] الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا — يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما — أخي لأمّي من بينهم وأبي[٤]

وقال في وصيته وقد حضرته الوفاة:

أُوصي بنصر النبي الخير مشهده — علياً ابني وشيخ القوم عبّاسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته — وجعفراً أن يذودا دونه الناسا

---

(١) في الطرائف: محيصرة، وفي العمدة: محيضرة.

(٢) الطرائف ص ٣٠١ ـ ٣٠٢، العمدة لابن البطريق ص ٤١٥ عنه.

(٣) في الطرائف: اخترام.

(٤) الطرائف ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦، والغدير للعلاّمة الأميني ٧: ٣٥٦.

كونوا فـدىً لكـم أُمّـي ومـا ولدت   في نصر أحمد دون الناس أتراسا[١]

إلىٰ غير ذلك ممّا هو موجود في قصائده ووصاياه وخطبه، وقد صرّح الثقة أبوعلي الطبرسي بأنّها في المعنىٰ تقرب من مجلّد علىٰ أنّه لم ينأ عنه قطّ بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته، فلا يكون معيّناً بقوله ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ كما زعموه[٢]. وفيه يقول ابن أبي‌الحديد :

ولولا أبـــوطالب وابـــنه   لمـا مـثل الديـن شـخصاً فـقاما
فــذاك بــمكّة آوىٰ وحــامىٰ   وهــذا بـيثرب خـاض[٣] الحـماما
تكــفّل عــبدمناف بأمــر   وأودىٰ فكــان عــلي تــماما
فــقل فــي ثـبير مـضىٰ بـعدما   قـضا مـا قـضاه وأبـقىٰ شماما
فــللّه ذا فــاتحاً للــهدىٰ   ولله ذا للــمعالي خــتاما
ومــا ضــرّ مـجد أبـي‌طالب   جـهول لغـا أو بـصير تـعاما
كــما لا يــضرّ أبـاه الصـباح   مـن ظـنّ ضـوء النـهار الظـلاما[٤]

هذا وأمثاله ممّا هو مسطور في كتبهم شاهد بإيمانه، ومن ثمّ اجتمعت الشيعة علىٰ ذلك، ولهم فيه مصنّفات، وإجماعهم حجّة، كما تقرّر في موضعه.

علىٰ أنّ المعهود عند أهل الخلاف الاكتفاء في إيمان الكافر بأدنىٰ خبر واحد، فكيف وقد ثبت إيمان من أشرنا إليه بمثل ما أوردناه من الحجج، شهد الله أنّ ما

---

(١) مجمع البيان ٢: ٢٨٨، بحار الأنوار ٣٥: ٩٠ و ١٧٥.
(٢) مجمع البيان لأبي علي الطبرسي ٢: ٢٨٨.
(٣) في الشرح: جسّ.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد المعتزلي ١٤: ٨٤.

حملهم علىٰ إنكاره إلّا مجرّد العداوة لبني هاشم الذين قد اصطفى الله منهم محمّداً وعترته، بعد أن اصطفاهم علىٰ سائر قريش المصطفين علىٰ سائر العرب، وإن بذلوا معهم العداوة أيضاً، كما بذلوها مع بني هاشم مضادّة للعترة الطاهرة.

حتّىٰ أنّه روىٰ منهم الحميدي في الجمع بين الصحيحين، في الحديث الخامس والعشرين بعد المائتين، من مسند أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يهلك الناس هذا الحيّ من قريش، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أنّ الناس اعتزلوهم[١].

وروىٰ أيضاً أنّ عمر قال: لو كان سالماً مولىٰ أبي حذيفة حيّاً لما تخالجتني فيه الشكوك[٢]. مع أنّه ما كان من قريش اتّفاقاً.

ومن ثَمّ كان ذلك مناقضاً لما رووه بعدّة أسانيد من قول النبي صلى الله عليه وآله: الناس تبع لقريش[٣].

وروىٰ أيضاً في مسند عبدالله بن عمر، في الحديث التاسع والستّين بعد المائة عنه عليه السلام، أنّه قال: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان[٤].

وقد قدّمنا رواية البخاري ومسلم في صحيحيهما أنّه عليه السلام قال: يكون بعدي اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٩٩، صحيح مسلم ٤: ٢٢٣٦، العمدة لابن البطريق ص ٤٥٦، الطرائف ص ١٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٤٩.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٤٥١.

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، صحيح البخاري ٨: ١٠٥، الطرائف ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٥) صحيح البخاري ٩: ٨١، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، الطرائف ص ١٧٠.

وفي صحيح الحميدي: أنّ أبابكر قال ـ محتجّاً على الأنصار لمّا قالوا: منّا أمير ومنكم أمير ـ: الأئمّة من قريش[(١)].

وفي مسند أحمد بن حنبل: أنّ جبرئيل قال: يا محمّد قلبت الأرض مشارقها ومغاربها، فلم أجد اناساً خيراً من بني هاشم[(٢)].

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، بإسناده عنه‌عليه السلام، قال: قال النبي‌صلى الله عليه وآله: بغض علي كفر، وبغض بني هاشم نفاق[(٣)].

ولكن افتروا عليه أنّه أمر باعتزالهم تفصّياً من اعتبار شهادتهم في أنّ أهل بيته أحقّ بالأمر بعده، وحذراً من اقتضاء عدم مشاورتهم أو مراسلتهم حال اجتماعهم لإجالة الرأي، قدحاً في عقد البيعة، وصرفاً للأمر عن عترته الطاهرة التي هي عمدتهم إلىٰ رئيسهم التيمي الجاهل، بكثير من اُمور الدين ومواقع الشرع، كالكلالة، وميراث الجدّة، الشاكّ عند موته في استحقاقه للإمامة، ثمّ إلى العدوي الفظّ الغليظ الجافي العنيد، الذي أمرُ عداوته لأهل الكساء أشهر من أن يخفىٰ.

ثمّ إلىٰ علوج بني اُمية الأرجاس، وطواغيت بني العبّاس، ولم يكتفوا بذلك حتّىٰ أحبّوا أبامسلم المروزي الزنديق، لما علموا أنّه كان سبباً لاستيلاء فراعنة بني العبّاس على الأئمّة المعصومين‌عليهم السلام، الذين هم حجج الله على الناس، كما كان عمر سبباً لتسلّط زنادقة بني اُمية الأركاس عليهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٢: ٨٦.

(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٢٨ برقم: ١٠٧٣، ذخائر العقبىٰ للطبري ص ١٤، الطرائف لابن طاووس ص ٤٠٠، والعمدة لابن البطرق ص ٢٧٣.

(٣) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ٦٠ ح ٢٣٩.

ولفرط حبّهم له افتروا علىٰ عليﷺ فيه ما افتروا في حرب الصفّين، مع أنّهم نسبوه إلى الشيعة، ولقد أشار والديﷺ بكفره في كتابه الموسوم بـ«مطاعن المجرمية» وأورد فيه شيئاً كثيراً ممّا يدلّ علىٰ شدّة عداوته للعترة الطاهرة، وروىٰ بإسناده حديثاً صحيحاً في طعنه.

ثمّ سمّوا ظلمة بني العبّاس ورثة رسول اللهﷺ، والتزموا لذلك بالقول بالتعصيب، وهو توريث العمّ، أو ابن العمّ مع البنت أو البنات ما زاد علىٰ سهامهنّ، ولا يردّون عليهنّ شيئاً.

وطرحوا آية أُولي الأرحام[1] الدالّة علىٰ ترتّب الأقارب في الارث، ونحوها من الآيات والأخبار الناطقة بأنّه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو أُنثى لأحد سهم إلّا للأبوين والزوج أو الزوجة، واحتجّوا بما حكاه القرآن المجيد عن زكريا أنّه سأل ولياً[2]، ولولا التعصيب لم يخصّ السؤال به، بل قال: وليّاً أو وليّة.

وبما رووه عن طاووس، عن ابن عبّاس، عن النبيﷺ، أنّه قال: ألحقوا بالأموال الفرائض، فما أبقت الفريضة فلأولىٰ عصبة ذكر[3].

وهو احتجاج باطل؛ فإنّ تخصيص السؤال بالذكر في الحكاية المذكورة لأنّه

---

(١) قوله تعالىٰ ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾ الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة مريم: ٥.

(٣) راجع: سنن الترمذي ٤: ٤١٨ ح ٢٠٩٨، سنن الدارمي ٢: ٣٦٨، سنن الدارقطني ٤: ٧٠ و ٧١ ح ١٠ و ١٢ و ١٣، مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٩٢، صحيح البخاري ٨: ١٩٠، كنز العمّال ١١: ٧ ـ ٨ برقم: ٣٠٩١ و ٣٠٩٢، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٩: ٢٦١.

أحبّ إلىٰ طباع البشر من الأُنثىٰ، ولأنّه طلب الارث والقيام بأعباء النبوّة معاً، ولا شكّ أنّ ذلك غير متصوّر في النساء؛ لأنّهنّ ناقصات حظّ وعقل ودين.

علىٰ أنّه يجوز أن يكون أراد بالولي الجنس بحيث يشتمل الأُنثىٰ.

والحديث مطعون في سنده، وقد رووا عن طاووس خلافه، وأنّه تبرّأ منه، وذكر أنّه لم يروه، وإنّما هو شيء ألقاه الشيطان علىٰ ألسنتهم، فكيف يتمّ لهم القول بما هذا مستنده؟ وكيف يتحصّل لهم ثمرته؟ من صرف أمر الخلافة عن بني فاطمة الذين هم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ذرّيته، كما أنّ عيسىٰ عليه السلام من ذرّية الأنبياء عليهم السلام بسبب أُمّه مريم.

ولهذا لو نشر لم تحل له كريمة أحدهم إلىٰ بني العبّاس الذي ليس له من القرابة ما لأبي طالب، فإنّه عمّ الرسول صلى الله عليه وآله لأبيه، وأبو طالب وعبدالله لأب وأُمّ، ومن ثَمّ كان علياً عليه السلام أقرب من العبّاس؛ لأنّ القرابة ثابتة له من الأبوين، مع انفراده بالعصمة والأفضلية والهجرة.

وكيف يكون العبّاس إماماً؟ وقد طلب أن يبايع لعلي عليه السلام حتّىٰ أنّه قال له: أُمدد يدك حتّىٰ أُبايعك ليقول الناس: بايع عمّ رسول الله لابن عمّه، فلا يختلف فيك اثنان[1].

وادّعوا أنّه كان بينهما منازعة في الميراث[2].

ورووا أنّهما اختلفا في بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه وعمامته، فحكم بها أبوبكر لأميرالمؤمنين عليه السلام، ويكذّبه سؤاله منه أن يمدّ يده ليبايعه، وكونه معه كنفس واحدة،

---

(١) الصوارم المهرقة ص ١٠٩.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٨ و ١٣٨٢، صحيح البخاري ٨: ١٤٦ ـ ١٤٧.

ولهذا تأخّر معه عن بيعة أبي‌بكر ستّة أشهر[١]، إلى أن بلغ من إكراههما قصد عمر تحريق بيوتهما بالنار[٢].

وقد روىٰ ابن سعد وهو من أعيان المخالفين في كتابه الموسوم بالطبقات، أنّ علياًعليه‌السلام هو الذي غسله وتولّىٰ أمره لمّا مات[٣].

وأمّا ولده، فقد كانوا من خواصّه في حروبه وولاياته وأسراره واحتجاجاته، وقد بلغ اختصاصه بعبدالله بن العبّاس إلىٰ أن كان يوزّع ليالي إفطاره عنده وعند الحسنينعليهما‌السلام، رواه أخطب خوارزم موفّق بن أحمد في مناقبه[٤].

فأين موضع الاختلاف بينهم؟ وحضوره معه عند طلبه الميراث من أبي‌بكر إزالة لحجّة أبي‌بكر في حجّية الارث، وكذا حضوره مع فاطمةعليها‌السلام عند طلبها الميراث من أبي‌بكر قطعاً، لحجّته في أنّ العمّ يرث مع البنت.

ويدلّ عليه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما أنّه لمّا سلّم عمر إلىٰ علي والعبّاس صدقات النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله التي بالمدينة، وكانا قد طلباها بالميراث ـ ولعلّ أبابكر وأتباعه سمّوها صدقات ـ دفعها العبّاس إلىٰ عليعليه‌السلام خاصّة، فكانت في يده، ثمّ لمّا توفّي كانت في يد ولده[٥].

فهل يخفىٰ علىٰ عاقل عارف مع هذا أنّ العبّاس إنّما كان يطلب الميراث

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠، صحيح البخاري ٥: ١٣٩، الطرائف ص ٢٣٨.

(٢) الطرائف ص ٢٣٩.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ص ٢٧٧.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٩٢ برقم: ٤١٠.

(٥) صحيح البخاري ٤: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

مساعدة لعلي عليه السلام وقطعاً لحجّة أبي‌بكر .

وربما ترىٰ بعضهم يقول: إنّ علياً عليه السلام غلب العبّاس على الصدقات، وهـذا لا يخفىٰ أنّه غير صحيح؛ لاستمرار يد علي عليه السلام علىٰ تلك الصدقات، وترك مـنازعة بني العبّاس لهم، مع أنّ العبّاس ما كان ضعيفاً عن منازعته، ولا كان أولاده ضعفاء عن منازعة أولاده، ولعلّهم أرادوا أن يجعلوا بينهما خلافاً ليعتذروا لأبي‌بكر وعمر في مخالفة بني‌هاشم لهما .

ولو قدّرنا أنّه كان بين بعض بني هاشم خلاف في الظـاهر فـي أمـر يـختصّ أحوالهم: إمّا لشبهة، أو لغيرها، أليس قد كانوا مع ذلك كلّه مجمعين علىٰ أنّ أبابكر وعمر ظالمان لهم، كما نطقت به كتب السير والتواريخ، مع ما في ذلك من إثباتهم ولاية الحكم لرئيسهم المذكور، كما أثـبتوها لبـاقي رؤسـائهم وأئـمّة ضـلالهم، وصرفوها عن أوصياء الرسول عليه السلام .

وما اكتفوا بذلك حتّىٰ أقدموا علىٰ إضرار من ذكر شيئاً من مناقبهم بأنواع من الضرر، وعلى المبالغة في إبراز ما افتروه علىٰ سيّد البشر، من الارزار علىٰ عترته الغرر، ووجوب الطاعة لأعدائهم القادمين على المنكر، وعلىٰ إطـراح وصـاياه المؤكّدة في أهل بيته، التي نطقت بها كتب التواريخ والسير، وما تخفي صدورهم أكبر، كما هو ديدن النواصب المعلنين بالبغضاء لسادات المحشر .

الوجه الخامس

شدّة توغّلهم في العناد في الدين

حيث تولّوا قوماً غضب الله عليهم وأدرجهم في سلك الكـافرين، واعـتقدوا إمامتهم، وأوجبوا على الناس متابعتهم، وأخلصوا طاعتهم، وبذلوا جـهدهم فـي تسديدهم، واختلقوا على الرسول الصادق عليه السلام في فـضلهم، مـثل مـا تـقدّم مـن

الأحاديث التي لو تأمّلها المنصف علم أنّها مكذوبة بلا مرية، ولم يخشوا من أن يكونوا من أهل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] بالآخرة.

ولم يكتفوا بذلك حتّىٰ سمّوهم بأسماء متضمّنة للثناء، بعيدة عنهم بُعد الأرض من السماء، فسمّوا أبابكر بـ«الصديق» وعمر بـ«الفاروق» وعثمان بـ«ذي النورين» لزعمهم أنّه تزوّج بابنتي رسول الله ﷺ واحدة بعد موت الأُخرىٰ، وما كانتا إلّا ربيبتين، وقد قصروا هذه الأسماء علىٰ هؤلاء الذين تاهوا في ظلمة الخلاف، وغرقوا في بحر الضلالة.

وكذا سمّوهم بخلفاء رسول الله ﷺ من غير أن ينصّ عليهم، بل زوراً وبهتاناً؛ لزعمهم أنّه مات بغير وصية، وإنّما توصّل أبوبكر إلى الخلافة من عمر.

وقد روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّهم خاطبوه أوّلاً يا خليفة الله، فاختار هو أن يقال: يا خليفة رسول الله[2]. وكان الصواب بناءً علىٰ ما تقدّم أن يخاطبوه: يا خليفة عمر؛ لأنّه هو الذي استخلفه.

ويرشد إليه ما رووه في كتبهم أنّ أُسامة قال له: قد كنت بالأمس أميراً عليك، فمن أمّرك اليوم عليَّ. يشير بذلك إلىٰ أنّ النبي ﷺ جهّز أُسامة في جيش وأمّره عليه، وأمر أبابكر بالخروج معه.

علىٰ أنّه لو جاز أن يكون كلّ من كان بعد الرسول داخلاً في شيء من أُموره يسمّىٰ خليفة، لزم أن يسمّىٰ كلّ أمير وقاض وصاحب ولاية أمير رسول الله، وقاضي رسول الله، ووالي رسول الله، وبطلان اللازم دليل بطلان الملزوم، شهد الله

---

(١) سورة النحل: ١٠٥.

(٢) الطرائف ص ٤٠٤ عنه.

أنّهم ما سمّوهم بذلك إلّا عناداً للعترة الطاهرة .

كما أفرطوا في تعظيم عائشة لما هي عليه من حربهم واستحلال دمائهم، وبالغوا لهذه العلّة في ستر فضائحهم، حتّىٰ منعوا من النظر في أحوال الصحابة.

ومن تصفّح ما جرىٰ بينهم، حذراً من الإحاطة بما انتحلوه من الكفر، وأقدموا عليه من البغي، ومن تتبّع ما هو مذكور من مطاعنهم، تفصّياً من اشتهار مطاعن من سمّيناه من أئمّة كفرهم .

بل زعموا أنّهم بأجمعهم على الإيمان والعدالة، كما ذكره أبوإسماعيل عبدالله بن محمّد الأنصاري الهروي في كتاب الاعتقاد، بقوله: الصحابة كلّهم عدول رجالهم ونساؤهم[١] .

وحكاه الغزالي في إحياء العلوم بقوله: واعتقاد السنّة تزكية جميع الصحابة[٢] .

ومنعوا من التعرّض لأحد منهم بلعن وغيره، وأوجبوا تأويل ما حصل الاطّلاع علىٰ وقوعه منه ممّا يخالف الشرع وينفر العقول وإن خالف المنقول .

وليت شعري كيف لم يرتكبوا هذا النهج من التأويل مع أنبياء الله وأوليائه المنوّرين لأرضه وسمائه، بل أعرضوا هناك عن التأويلات وإن كانت قريبة من الظاهر، ولم يستبعدوا وقوع المعاصي منهم .

بل أوردوا في صحاحهم إقدامهم علىٰ ذنوب عظيمة وعيوب ذميمة، غير ملتفتين إلى استلزامه ذمّهم، والطعن فيهم، والنفور منهم، واستبعدوا وقوعها من الصحابة المقطوع بعدم عصمتهم، وبالغوا في تعظيمهم، حتّىٰ جعلوا السابّ

---

(١) الطرائف ص ٣٧٤ عنه .

(٢) إحياء العلوم ١: ٩٣ .

لأحدهم فاسقاً بل كافراً، وأوجبوا تأديبه بل قتله .

بل منعوا من الانكار عليهم، وإن وقف المكلّف علىٰ شيء من زلّاتهم، مع إحاطتهم علماً بعموم أدلّة وجوب إنكار المنكر علىٰ من صدر منه وإن كان صحابياً، واللفظ يجب التمسّك بعمومه إلىٰ أن يثبت المخصّص، والفرض انتفاؤه في صورة النزاع .

هذا مع أنّه لا يجوز في عصمة النبي ﷺ أن ينهي عن الانكار علىٰ عاصٍ وزجره وزجر متابعيه؛ لأنّ ذلك مفوّت للغرض من نصبه ضرورة .

فإن احتجّوا علىٰ مطلوبهم بما رووه عن عمر بن الخطّاب أنّ النبي ﷺ قال: سألت ربّي اختلاف أصحابي من بعدي، فأوحىٰ إليّ: أنّ أصحابك عندي كالنجوم في السماء، بعضها أقوىٰ من بعض، ولكلّ نور، فمن أخذ بشيء ممّا هم عليه فهو عندي علىٰ هدىً[١] .

قال: قال رسول الله ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم[٢] .

قلنا: أوّلاً نمنع صحّة السند، فإنّه لا يجوز في حكمة الله سبحانه أن يقول عن جماعة يجوز عليهم الخطأ والجهل بل قد وقع من أكثرهم: إنّ من أخذ بشيء ممّا هم عليه من الاختلاف علىٰ هدىً، وهل هذا إلّا إغراء بالقبيح، وأمر بالجهل المحال عليه تعالىٰ .

وثانياً: أنّ النبي ﷺ قال في عدّة أحاديث: إنّه سيكون بعده أُمور منكرة، وأُمراء ضلال لا يستنّون بسنّة، ويستأثرون بالفيء، وإنّ جماعة من أصحابه يردون علىٰ

---

(١) كنز العمّال ١: ١٨١ برقم: ٩١٧ .

(٢) الطرائف ص ٥٢٣ .

أعقابهم، ويؤمر بهم يوم القيامة ذات الشمال، وما ذلك إلّا لما نهجوه من الضلال .

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما أنّ النبيﷺ: قال سيجاء برجال من أُمّتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلمّا توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت علىٰ كلّ شيء شهيد، فيقال لي: إنّهم لم يزالوا مرتدّين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم[١] .

وأكثر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المسانيد في ذلك بعبارات شتّىٰ والمدلول واحد، وهو وقوع الارتداد منهم بعده[٢] .

وثالثاً: أنّ التقييد بقوله «من بعدي» لا يخلو: إمّا أن يكون مقصوداً، أو لا. فإن كان الأوّل ـ أي: لا يكون اختلافهم في حياته هدىً ـ فذلك بيّن البطلان؛ لأنّهم في حياته مسدّدين بنظره، فإذا لم يكن اختلافهم حينئذ علىٰ هدىً، فكيف يكونون كذلك من بعده؟ وإن كان الثاني، فهو معلوم البطلان أيضاً؛ لأنّ اختلاف مسطح بن أثاثة وخاطب بن أبي‌بلتعة الذي بعث إلىٰ قريش يخبرهم بخبر النبيﷺ، وفرار أبي‌بكر وعمر وغيرهما من الزحف وأمثال ذلك لا يكون هدىً .

فإن قالوا: ليس المراد ذلك، بل المراد اختلافهم في الدين .

قلنا: اختلافهم فيه لا يخلو: إمّا أن يكون في أحكامه الأُصولية، أو الفروعية. فإن كان الأوّل، فلا شكّ أنّ الاختلاف فيه لا يكون هدىً، لا من الصحابة ولا من غرهم. وإن كان الثاني، فإمّا أن يكون مع أهلية الاجتهاد أو مطلقا، فإنّ من

م ٤: ٢١٩٥ كتاب الجنّة، الطرائف ص ٣٧٦ .

انف ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ عنه .

الصحابة من لم يسمع من الأحكام إلّا قليلاً، ولا علم له بشيء من وجوه الاستنباط، ككثير من الأعراب أهل البادية، ونحوهم من المهاجرين من الأطراف، لا ريب في بطلان الثاني.

ثمّ مع الاجتهاد هل تعتبر العدالة أو لا بل يكون هدىً مطلقاً؟ لا ريب في بطلان الثاني أيضاً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[1] حينئذ فكيف يستقيم قوله «فمن أخذ بشيء ممّا هم عليه» وقوله «فبأيّهم اقتديتم اهتديتم» علىٰ عمومه، وإذا لم يكن له عموم فأيّ نفع له فيما أرادوه، ومع ذلك كلّه فإنّ المصيب من المجتهدين واحد، والمخطىء وإن لم يكن عليه جناح فيما اجتهد فيه إلّا أنّه يصدق عليه أنّه علىٰ غير هدىً في ذلك القول.

وكذا إن احتجّوا أيضاً علىٰ ذلك بما اختلقوه من قول النبي ﷺ «لو أنفق أحدكم ملأ الأرض ذهباً لما نال مدىٰ أحدهم»[2] وقوله «خير القرون قرني، ثمّ من بعدهم الأقرب فالأقرب»[3].

عارضناه بما تقدّم من الأخبار علىٰ أنّ تفضيل القرن المتقدّم على الذي يليه مخالف لحقائق النظر، خارج من العدل والحكمة، غير مطابق للواقع؛ لأنّه قد كان في الأعصر المتقدّمة من الفراعنة ما ليس في عصرنا، ولأنّ نبينا ﷺ أفضل ممّن تقدّمه من الأنبياء، وأُمّته أفضل ممّن تقدّمها من الأُمم، فطرد هذه العلّة يقتضي

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) كنز العمّال ١١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩ برقم: ٣٢٥٢١ و ٣٢٥٢٢، الجمل للشيخ المفيد ص ٥٥، كشف الغمة ٢: ٢٥٦.

(٣) كنز العمّال ١١: ٥٣٤ ـ ٥٣٥، الصوارم المهرقة ص ١١٣.

أفضلية القرن المتأخّر .

فإنّ قالوا: أفضلية المتقدّم لمشاهدتهم الرسول ﷺ ومجاهدتهم معه، وكذلك من شاهدهم بعده من التابعين .

قلنا: ذلك قد يرجع إلىٰ تقدّم الخلقة، وهي من فعل الله تعالىٰ، فلا حمد للمتقدّم في تقدّم خلقته؛ إذ لا صنع له في ذلك، ولا فعل يحمد عليه ولا يذمّ منه .

فإن قالوا: فما الوجه في قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1] .

قلنا: التسابق لا يجوز في الحكمة أن يقع في الإيمان إلّا بين أهل العصر المخلوقين بالفعل، لا بين من خلق ومن لم يخلق .

فإن قالوا: قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[2] يقتضي إيجاب الله علىٰ من جاء من بعد الاستغفار لمن تقدّم .

قلنا: بل لا؛ لأنّه إخبار منه سبحانه لا إيجاب .

وكذا إن احتجّوا بما رووه أيضاً من قوله ﷺ «اقتدوا باللذين من بعدي أبوبكر وعمر»[3] عارضناه بما تقدّمت روايتهم له من قوله ﷺ «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[4] .

---

(١) سورة الواقعة: ١٠ ـ ١١ .

(٢) سورة الحشر: ١٠ .

(٣) الصوارم المهرقة ص ٩٩ ـ ١٠٠ و ١٢١ .

(٤) راجع: شرح نهج البلاغة ٢٠: ١١ و ٢٣ و ٢٨، والصوارم المهرقة ص ٣،

علىٰ أنّه قد وقع الاختلاف العظيم بين الرجلين، فإنّ أبابكر سبىٰ أهل الردّة وردّهم عمر، وأشار عمر إلىٰ أبي‌بكر بعزل خالد وبقتله بمالك بن نويرة، فأبىٰ عليه. وحرّم عمر المتعتين ولم يفعله أبوبكر، ووضع عمر ديوان العطية دون أبي‌بكر، إلىٰ غير ذلك[١]، فبأيّهما يقتدىٰ بزعم أهل الغي والعمىٰ.

وهو طعن المأمون في هذه الرواية، كما أورده الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، ثمّ قال: في هذا فصل لم يذكره المأمون لخصمه، وهو أنّهم لم يرووا أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي‌بكر وعمر، وإنّما رووا أبوبكر وعمر، ومنهم من روىٰ أبابكر وعمر، فلو كانت الرواية صحيحة لكان معنىٰ قوله بالنصب اقتدوا باللذين من بعدي كتاب الله وعترتي يا أبابكر وعمر، ومعنىٰ قوله بالرفع اقتدوا أيّها الناس وأبوبكر وعمر باللذين من بعدي كتاب الله والعترة[٢].

وكذا إن احتجّوا بما رووه من قوله «لا تؤذوني في أصحابي»[٣] وقوله «لا تمسّ النار من رآني ولا من رأىٰ من رآني»[٤] وقوله «كفّوا عن مساوي أصحابي»[٥] ونحو ذلك[٦]، رددناه بأسره.

⇐ والطرائف ص ٥٢٣.

(١) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٦.

(٣) كنز العمّال ١١: ٥٤٠ برقم: ٣٢٥٣٠.

(٤) كنز العمّال ١١: ٥٣٦ برقم: ٣٢٥٠٥.

(٥) كنز العمّال ١١: ٥٤١ برقم: ٣٢٥٣٥.

(٦) راجع: كنز العمّال ١١: ٥٢٥ ـ ٥٤٣.

أمّا الحديث الأوّل، فإنّه إن كان المراد أنّ إيذاهم بحقٍّ إيذاء له، فهذا لا يليق بما بعث لأجله من وجوب إنكار المنكر. وإن كان المراد أنّ إيذاهم بباطل إيـذاء له، فأيّ خصوصية لهم في ذلك، فإنّ سائر الاُمّة كذلك.

وأمّا الثاني، فلشموله مثل عبدالله بن أبي‌سلول، والحكم بن أبي‌العاص طريد الرسول وعدوّه ورأس المنافقين، وولده مروان، ومـعاوية بـن أبـي‌سفيان الذي اضطرّ إلىٰ إظهار الإسلام قبل موت النبيﷺ بستّة أشهر لمّا لم يبق إلّا الإسلام أو السيف، وحاله وحال أبيه واُمّه وأخيه وجدّه وخاله في عداوة النبيﷺ والمبالغة في تنقّصه، والتحريض علىٰ حربه، وتخريب الأحزاب عليه، قد نطقت بـه كـتب السير والآثار، وبلغ في الوضوح إلىٰ مرتبة وجود النهار.

وقد حارب علياًعليه السلام ثمانية عشر شهراً، وأمر بتغيير الأحاديث الواردة في حقّه وحقّ الطيبين من أبنائه، وتهدّد من روىٰ حديثاً في فضلهم، وقتل علىٰ ذلك تارةً، وبذل الرشا علىٰ رواية ضدّه اُخرىٰ، وقد كان ديدنه اختلاق الأحاديث الشنيعة في حقّه ونسبتها إلى النبيﷺ، واستشهاد جماعة من ذوي الحقد عليها.

حتّىٰ أنّه شهد له علىٰ بعض مفترياته أربعمائة من الصحابة، وأسّس سبّه، وأعلن به علىٰ رؤوس المنابر، واستمرّ في الأموية إلىٰ ثمانين سنة، فرفعه منهم عمر بن عبدالعزيز.

وكذا يزيد اللعين قاتل سيّدنا الحسينعليه السلام، وعبيدالله قاتل الهـرمزان، وأمـثال هؤلاء من الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، بل نـعارضهم بـقتلة عـثمان، كمحمّد بن أبي‌بكر، ومالك الأشتر، وربيع بن خيثم وأتباعهم، فإنّهم بين صحابي رأى النبيﷺ وتابعي رأىٰ من رآه، فإذا كانوا لا تمسّهم النار بـقولهﷺ، فـلأيّ شيء يطعنون عليهم وينالون منهم؟ وكيف لم يحفظوه في هؤلاء الأصحاب وتركوا

إيذاءه فيهم؟ بل كيف أدخلوا أنفسهم في قتل عثمان وما جرىٰ بينه وبينهم؟ مع أنّهم ينهون عن الخوض فيما جرىٰ بين الصحابة.

بل كيف لم تمتثل الصحابة قول النبي صلى الله عليه وآله وترك بعضهم إيذاء بعضٍ؟ حتّىٰ فعل عثمان بعبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذرّ ما فعل من أتمّ الإيذاء مع جلالة أقدارهم، وهم كانوا يسبّونه وينالون منه.

وأيضاً فكيف يتمشّىٰ ذلك؟ وقد روي أنّ علياً عليه السلام كان يقنت في الصلاة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبي موسىٰ وأبي الأعور السلمي[1].

ورویٰ أهل السنّة أنّ الحسن بن علي عليهما السلام لعن معاوية وأصحابه. وأنّ عائشة لعنت عثمان ولعنها، وحلفت أن لا تكلّمه، وخرجت غضبىٰ عليه إلىٰ مكّة، وهي التي كانت من المؤلبين علىٰ قتله بقولها: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً[2]. وقالت: إنّه غيّر سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ورویٰ أصحابنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٩٨، بحار الأنوار ٤٢: ١٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ٢١٤ و ٢٠: ١٧ و ٢١.

(٣) رواه العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٨٥: ٢٦٠ عن البلد الأمين وجنّة الأمان ص ٥٥١ ـ ٥٥٢، للشيخ الجليل الكفعمي، قال: هذا الدعاء رفيع الشأن عظيم المنزلة، ورواه عبدالله بن عبّاس، عن علي عليه السلام أنّه كان يقنت به، وقال: إنّ الداعي به كالرامي مع النبي صلى الله عليه وآله في بدر وأُحد وحنين بألف ألف سهم.

الدعاء: اللّهمّ العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين

⇐

⇐ خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلّبا دينك، وحرّفا كتابك، وعطّلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووواليا أعداءك، وخرّبا بلادك، وأفسدا عبادك.

اللّهمّ اللعنهما وأنصارهما، فقد أخربا بيت النبوّة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيّه ووارثه، وجحدا نبوّته، وأشركا بربّهما، فعظّم ذنبهما، وخلّدهما في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر.

اللّهمّ اللعنهم بعدد كلّ منكر أتوه، وحقّ أخفوه، ومنبر علوه، ومنافق ولّوه، ومؤمن أرجوه، ووليّ آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه، وإمام قهروه، وفرض غيّروه، وأثر أنكروه، وشرّ أضمروه، ودم أراقوه، وخبر بدّلوه، وحكم قلّبوه، وكفر أبدعوه، وكذب دلّسوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلّوه، وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وعهد نقضوه، وحلال حرّموه، وحرام حلّلوه، ونفاق أسرّوه، وغدر أضمروه، وبطن فتقوه، وضلع كسروه، وصكّ مزّقوه، وشمل بدّدوه، وذليل أعزّوه، وعزيز أذلّوه، وحقّ منعوه، وإمام خالفوه.

اللّهمّ اللعنهما بكلّ آية حرّفوها، وفريضة تركوها، وسنّة غيّروها، وأحكام عطّلوها، وأرحام قطعوها، وشهادات كتموها، ووصية ضيّعوها، وأيمان نكثوها، ودعوىً أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها، ودباب دحرجوها، وأزياف لزموها، وأمانة خانوها.

اللّهمّ اللعنهما في مكنون السرّ وظاهر العلانية لعناً كثيراً دائباً أبداً دائماً سرمداً لا ⇐

وروى الشيخ في التهذيب: أنّ الصادقعليه‌السلام كان ينصرف من الصلاة بلعن أربعة من الرجال منهم صنمي قريش[١].

وفي ذلك دلالة علىٰ جلالة قدر اللعن وعلوّ منزلته.

وقد روي أنّ النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله قال: لعن الله الكاذب ولو كان مازحاً[٢].

وما رووه من قولهعليه‌السلام «لا تكونوا لعّانين»[٣] فالمراد به إن صحّ النهي عن المبالغة فيه، والافراط في ارتكابه، بحيث يلعنون كلّ أحد، كما يدلّ عليه هذه الصيغة الموضوعة للمبالغة.

وأمّا الثالث، فإنّه يقتضي أن يكون لهم مساوي، وحينئذ نقول: كيف يجوز أن

⇐ انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، يغدو أوّله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبّيهم ومواليهم والمسلّمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين بأجنحتهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدّقين بأحكامهم.

ثمّ يقول: اللّهمّ عذّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين ربّ العالمين، أربع مرّات. ثمّ قال الكفعميرحمه‌الله: هذا الدعاء من غوامض الأسرار، وكرائم الأذكار، وكان أميرالمؤمنينعليه‌السلام يواظب في ليله ونهاره وأوقات أسحاره.

(١) تهذيب الأحكام ٢: ٣٢١ برقم: ١٣١٣، روىٰ بإسناده عن الحسين بن ثوير، وأبي‌سلمة السراج، قالا: سمعنا أبا عبداللهعليه‌السلام وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرجال، وأربعاً من النساء: التيمي، والعدوي، وفعلان، ومعاوية ويسمّيهم، وفلانة، وفلانة، وهند، وأُمّ الحكم أُخت معاوية. ورواه المحدّث الجليل الثقة الكليني في فروع الكافي ٣: ٣٤٢ ح ١٠.

(٢) كنز العمّال ٣: ٦٢٤.

(٣) كنز العمّال ١٦: ٧٦ برقم: ٤٣٩٩٤.

يكون المساوي هداية والهداية مساوياً؟ على أنّ الكتاب العزيز حكى وقوع أكبر الكبائر من كثير منهم، وهو الفرار من الزحف في يوم حنين[(١)]، وإنّ منهم من كان يلمز النبي ﷺ في قسمة الصدقات[(٢)]، أي: يعيبه على وجه المنابزة، ومنهم من كان يتركه وهو قائم في الصلاة لمجرّد الميل إلى اللهو والتجارة[(٣)].

وكذا السنّة المطهّرة ناطقة بأنّه أمر علياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين منهم[(٤)]، وبأنّ أُمّته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار[(٥)].

وبعد فقد أطبقوا على أنّ في عصره منافقين كانوا يدّعون ظاهراً من الأصحاب، أشار الله سبحانه إليهم بقوله عزّوجلّ ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم

---

(١) قوله تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين﴾ سورة التوبة: ٢٥.

(٢) قوله تعالى ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ سورة التوبة: ٥٨.

(٣) قوله تعالى ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ سورة الجمعة: ١١.

(٤) كنز العمّال ١٣: ١١٠ برقم: ٣٦٣٦١، رواه عن ابن مسعود، قال: خرج رسول الله ﷺ، فأتى منزل أُمّ سلمة، فجاء علي، فقال رسول الله ﷺ: يا أُمّ سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي.

(٥) راجع: بحار الأنوار ٢٨: ١٢ ـ ١٤.

بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول﴾[١] وقوله ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين﴾[٢] وقوله ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين﴾[٣].

ونحو ذلك من الآيات الدالّة علىٰ وقوع النفاق وغيره من المعاصي منهم، فلا يمكنهم القول بأنّهم بأجمعهم على الإيمان والعدالة.

علىٰ أنّها إذا ثبت في زمان لا يمتنع زوالها، بل لا يمتنع زوال الإسلام، كما في صاحب موسىٰ عليه السلام الذي أعلم الله تعالىٰ أمره لنبيّه بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٤] وكان قد أُوتي بعض كتب الله. وقيل: كان يعرف الاسم الأعظم، ثمّ إنّه كفر بآيات الله.

وإذا كان كذلك، فلابدّ من تتبّع أحوالهم، وتتبّع أحوالهم إنّما يحصل بتتبّع أفعالهم وأقوالهم، كما في تخريق عمر كتاب الزهراء عليها السلام[٥].

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

(٢) سورة التوبة: ١٠١.

(٣) سورة المعارج: ٣٦ ـ ٣٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٥) روى العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٢٩: ١٥٧، عن مصباح الأنوار، باسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: دخلت فاطمة عليها السلام بنت محمّد صلى الله عليه وآله علىٰ أبي بكر، فسألته فدكاً، قال: النبي لا يورّث، فقالت: قد قال الله تعالىٰ ﴿وورث سليمان داود﴾ فلمّا حاجّته أمر أن يكتب لها، وشهد علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّ أيمن، قال: فخرجت فاطمة عليها السلام،

⇐

وقوله على المنبر: متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ أنا أنهي عنهما وأُعاقب عليهما[١]. مضيفاً التحريم والنهي إلىٰ نفسه، بعد تصريحه بأنّها كانت علىٰ عهد الرسول ﷺ.

وكما في إلقاء عثمان كتاب الله العزيز في النار، وقوله: إنّ فيه لحناً ستقيمه العرب بألسنتهم، فاستأذنوه لتغييره، فقال: دعوه فإنّه لا يحلّل حراماً ولا يحرّم حلالاً، رواه الثعلبي في تفسيره[٢].

وروى السدّي أنّه أراد أن يتهوّد، وطلحة أراد أن يتنصّر، لمّا أُصيب النبي ﷺ بأُحد[٣].

وقيل لزيد بن أرقم: بأيّ شيء كفّرتم عثمان؟ فقال: بثلاث جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله، وعمل بغير كتاب الله[٤].

وكان عمّار يقول دائماً: ثلاثة يشهدون علىٰ عثمان بالكفر، أنا رابعهم، ومن لم

⇐ فاستقبلها عمر، فقال: من أين جئت يا بنت رسول الله؟ قالت: من عند أبي‌بكر من شأن فدك، قد كتب لي بها، فقال: عمر: هاتي الكتاب، فأعطته فبصق فيه ومحاه، عجّل الله جزاه، فاستقبلها علي عليه السلام، فقال: مالك يا بنت رسول الله غضبىٰ؟ فذكرت له ما صنع عمر، فقال: ما ركبوا منّي ومن أبيك أعظم من هذا. الحديث.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٢: ٢٥١، الصوارم المهرقة ص ٨ و ٢١٢، بحار الأنوار ٣٠: ٦٣٠.

(٢) الطرائف ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ عنه.

(٣) الطرائف ص ٤٩٤ عنه.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٣: ٥٠.

يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون[١].

وقد عرفت أنّهم منعوا من النظر في أحوالهم كي لا يحصل الظفر بمثل هذه المطاعن علىٰ أئمّة كفرهم، الذين زعموا أنّهم شفعاؤهم عند الله، مع ما شهدوا عليهم من الضلال والنفاق، والرذائل الخُلقية، وغيرها.

ألا ترىٰ إلىٰ ما رواه منهم ابن السائب الكلبي في كتاب المثالب: انّ جدّ الثاني كان قد تولّد من زنا نفيل بن هشام وعبدالعزّى بن رباح بأمة هاشم بن عبدمناف المسمّاة بصهّاك الحبشية[٢].

وروى الحنبلي في نهاية الطلب: انّه كان قبل الإسلام نخّاس الحمير[٣].

وروى ابن عبد ربّه في كتاب العقد: انّ امرأة من قريش لقيته خارجاً ويده على المعلّى بن الجارود، فنادته، فوقف لها، فقالت: كنّا نعرفك مرّة عميراً، ومرّة عمر، ثمّ صارت بعد ذلك لك الإمرة، فاتّق الله واحذره[٤].

وإنّ عمرو بن العاص لمّا ولّاه ذمّ زماناً قبل فيه الولاية من قبله لخاسة ما كان هو وأبوه عليه من حمل الحطب[٥].

وروى القاسم بن سلام: إنّ أباه كان سرّاقاً، وقطع في السراقة.

وفي كتب السير: إنّ أبابكر كان في الجاهلية معلّماً للصبيان، وفي الإسلام كان

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٣: ٥٠، بحار الأنوار ٣١: ١٩٥.

(٢) الطرائف ص ٤٦٩ عنه.

(٣) الطرائف ص ٤٦٨ عنه.

(٤) العقد الفريد ٢: ٢٠١، الطرائف ص ٤٦٨ عنه.

(٥) الطرائف ص ٤٦٧.

خيّاطاً، ولمّا ولي أمر المسلمين منعه الناس من الخياطة، فقال: إنّي أحتاج إلى القوّة، فجعلوا له في كلّ يوم ثلاثة دراهم من بيت المال[١].

وفي كتاب المثالب، إنّ أب عثمان وهو عفّان كان يضرب بالدفّ ويلعب به[٢].

وإنّ معاوية كان لأربعة[٣]، فكيف ساقوا الإمامة فيه، ثمّ في سائر الشجرة الملعونة، أعني: الأموية الذين سنّوا سبّ علي عليه السلام علىٰ رؤوس المنابر ألف شهر، حتّىٰ صار ذلك ديناً يدينون به، ويعتقدونه من سنّة النبي صلى الله عليه وآله.

وحكى السيّد الجليل علي بن طاووس في كتاب الطرائف أنّ خطيباً منهم بعد انصرافه عن موضع الصلاة كان يهمهم في نفسه، فقيل له: أيّ شيء تذكر؟ فقال: نسيت سبّ علي في الخطبة فأقضيه.

وكانوا يكنّون عن أنفسهم بأهل السنّة والجماعة، يعنون أنّهم من أهل سنّة سبّ علي عليه السلام وجماعة بني أُميّة، ثمّ لمّا شنع عليهم محبّوا أهل البيت عليهم السلام في زمن بني العبّاس دلّسوا وقالوا: مرادنا بأهل السنّة سنّة النبي صلى الله عليه وآله والجماعة جماعة الصحابة.

قال: ويطلقون عليهم هذا الاسم إلى الآن، وأكثرهم جاهلون بوجه تسميتهم به.

ونقل عن الكرابيسي أنّه قال: أوّل من أحدث هذه التسمية يزيد ـ لعنه الله ـ لمّا دخل عليه رأس الحسين عليه السلام، وكان من دخل من ذلك الباب سمّي سنّياً[٤].

وكذا أورد أنّ صاحب كتاب الزواجر، قال: إنّ معاوية سمّىٰ ذلك العام عام

---

(١) بحار الأنوار ٣٠: ٥١٨.

(٢) الطرائف ص ٤٩٩.

(٣) الطرائف ص ٥٠١.

(٤) الطرائف ص ٢٠٥ عنه.

السنّة[١] .

وإنّ ابن عبد ربّه في كتاب العقد، قال: إنّه لمّا صالح الحسن عليه السلام معاوية سمّىٰ معاوية ذلك العام عام الجماعة[٢] .

فقد ثبت بشهادة علمائهم أنّ هذا أصل تسميتهم التي كنّوا بها عن أنفسهم، لبئس ما قدّمت لهم أيديهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

وقد أورد النسّابون أنّ عبد شمس بن عبد مناف أخا هاشم بن عبد مناف قد ربّىٰ عبداً له رومياً، يقال له: أُمية، وتبنّاه، فنسب إليه .

وفيه دلالة صريحة علىٰ أنّه لم يكن ابنه حقيقة، كما جاء في الشعر :

وما عبد شمس والدٌ لأُمية ... ولكن بعد الالتقاط به انتما

وعلىٰ أنّ أصل بني أُمية من الروم، فكيف ساقوا الإمامة فيهم؟ مع ما رووه في صحاحهم أنّ الأئمّة من قريش[٣] .

وأيضاً فقد قال الله تعالىٰ في إبعادهم: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾[٤] فإنّه قد ذكر جمع من المفسّرين أنّ المراد بالشجرة بنو أُمية، والرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله التي قال الله تعالىٰ في شأنها: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[٥]

---

(١) الطرائف ص ٢٠٥ عنه .

(٢) الطرائف ص ٢٠٥ عنه .

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٢٧ و ٩: ٨١، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٢، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢ ـ ١٤٥٤، سنن أبي داود السجستاني ٤: ١٥٠ .

(٤) سورة الاسراء: ٦٠ .

(٥) سورة الاسراء: ٦٠ .

المراد بها ما روي أنّ النبي ﷺ رأىٰ قردة تنزو علىٰ منبره، فساءه ذلك واغتمّ، وأوّل ذلك بأنّ بني أُمية يتداولون منبره[١].

وروىٰ صاحب كتاب الحاوية، عن ابن مسعود، أنّه قال: لكلّ شيء آفة، وآفة الدين بنو أُمية[٢].

وروينا عن الحسين بن علي عليه السلام، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة محرّمة علىٰ آل أبي سفيان[٣].

وفي رواية الواقدي، عن أبي ذرّ الغفاري: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلاً[٤].

وفي رواية لمسلم أنّ النبي ﷺ قال: يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسان، قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟ قال: تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب عنقك وأخذ مالك، فاسمع وأطع. رواه في المشكاة[٥].

وروىٰ صاحب كشف الغمّة في سياق أخبار عن أبي محمّد الفحّام، أنّ النبي ﷺ

---

(١) مجمع البيان لأبي علي الطبرسي ٣: ٤٢٤.

(٢) كنز العمّال ١١: ٣٦٤ برقم: ٣١٧٥٥، وفيه: لكلّ أُمّة آفة، وآفة هذه الأُمّة بنو أُمية.

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ٢٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٥٦ و ٨: ٢٥٨ و ٩: ٢٢٠، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٨٠، العمدة لابن البطريق ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.

(٥) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٦ ح ٥٢ كتاب الإمارة.

قال لعلي عليه السلام: اتّق الضغائن التي في صدور من لا يظهرها إلّا بعد موتي، أُولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، ثمّ بكى النبي صلى الله عليه وآله، فقيل: ممّ بكاؤك[١] يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّهم يظلمونه ويمنعونه حقّه، ويقاتلونه ويقتلون ولده، ويظلمونهم بعده[٢]. وقريب من ذلك مروي في مناقب ابن مردويه[٣].

ولا ريب أنّ منعه حقّه كان في زمان أبي‌بكر وعمر وعثمان؛ لأنّه كان ممنوعاً من كلّ شيء حينئذ، كما يرشد إليه كلامه في الخطبة الشقشقية[٤] التي رواها جماعة من أهل السنّة، منهم الحسن بن عبدالله بن مسعود العسكري في كتاب معاني الأخبار، وابن عبد ربّه في كتاب العقد، وفيها من التوجّعات والتألّمات ما يقطع نياط قلب الصبور، ويوجب عظائم الأُمور، ومن كشف القبائح التبسها أُولئك الأغتام، ما هو بيّن لذوي البصائر والأفهام.

وقد أورد له شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي في مصباحه[٥] خطبة جليلة، قد كشف فيها ما جرىٰ من المتقدّمين عليه بالخلافة وظلمهم له، ثمّ جرىٰ على ذلك من تأخّر عنهم، فقاتله معاوية وقتل ولده اقتداءً بفعلهم، وجرياً علىٰ ظلمهم.

وإلىٰ ذلك أشار دعبل الخزاعي في قصيدته:

---

(١) في الكشف: تبكي.

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٩٨.

(٣) الطرائف ص ٥٢١ ـ ٥٢٢.

(٤) نهج البلاغة ص ٤٨ رقم الخطبة: ٣.

(٥) مصباح المتهجّد ص ٧٥٢ – ٧٥٨

وما سهلت تلك المذاهب فيهم   على الناس إلّا بيعة الفلتات[١]

ولقد كان أشدّهم له عداوة خليفتهم الثاني، وهو الذي بايع أبابكر، وألزم الناس له بالبيعة، وطلب علياًعليه السلام إليها، وتهدّده بالمحاربة وتحريق البيت إن امتنع منها، بل جمع الحطب عند بيته وأتىٰ بالقبس لتحريقه، كما تقدّمت روايته عن الواقدي وغيره، ونسي ما قدّمت يداه.

ولا التفت إلىٰ قول الله «من عادىٰ أوليائي فقد بارزني بالمحاربة، ومن حارب أهل بيت نبيي فقد حلّ عليه عذابي، ومن تولّىٰ غيرهم فقد حلّ عليه غضبي، ومن أعان[٢] غيرهم فقد آذاني، ومن آذاني فله النار» رواه الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، بإسناده عن النبيصلى الله عليه وآله، عن جبرئيلعليه السلام[٣].

ولا رجع إلىٰ ما يقتضيه العقل من أنّ هذا الامتناع وإن وقع من أدنياء القوم لا يسوغ عقوبته بالتحريق، وإن أوصى الرسولصلى الله عليه وآله بالخلافة لمن طلبت بيعته، فكيف إذا كان الأمر علىٰ خلاف ذلك، وكان الامتناع ممّن جعل الله مودّته، ومودّة المعصومين من أبنائه المكني عنهم في الآية بالقربىٰ أجراً علىٰ تبليغ الرسول رسالته[٤].

وأفردهم بهذه المرتبة عن آل كلّ نبي، فإنّه قد حكى القرآن المجيد على

---

(١) الصوارم المهرقة ص ٢٠١ و ٢٢٦، بحار الأنوار ٤٩: ٢٤٦.

(٢) في العيون: أعزّ.

(٣) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ٦٨ ح ٣١٥.

(٤) قوله تعالىٰ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ﴾ سورة الشورىٰ: ٢٣.

الأنبياء أنّهم لم يسألوا العباد أجراً على التبليغ[(١)]، ونبيّنا ﷺ سأل الأجر على مودّة قرباه؛ لما علم أنّهم لا يرتدّون من الدين ولا يرجعون إلى ضلال أبداً، وتكرّر منه الوصية فيهم بقوله: «أُذكّركم الله في أهل بيتي»[(٢)] وقوله: «أُنظروا كيف تخلفوني فيهما»[(٣)] يعني: الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة. ونحو ذلك.

---

(١) قوله تعالىٰ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرىٰ للعالمين﴾ سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ باب فضائل علي عليه السلام، باسناده إلىٰ يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ علىٰ كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي. الحديث.

(٣) رواه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه ص ٢٣٥، باسناده، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: أوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّوجلّ، وعترتي أهل بيتي، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما. ورواه أحمد في مسنده ٣: ١٤ و ٢٦ و ٩٥ و ٣: ١٧، والطبقات الكبرىٰ ٢: ١٩٤ طبع مصر.

وبعد فإنّ هذا الامتناع كيف استوجب هذه العقوبة؟ مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي هو أشرف الأنبياء لم يقهر أهل الذمّة على الانقياد إلىٰ شريعته التي هي أتمّ الشرائع، بل رضي منهم بالجزية.

وكيف استجاز الصحابة ذلك؟ مع أنّ مسألة الإمامة بزعمهم ليست من أُصول العقائد، بل هي ممّا يتعلّق بمصالح العباد في أُمور الدنيا.

وهلّا قصد خليفتهم الثاني تحريق بيوت الأنصار وغيرهم لمّا امتنعوا من البيعة، كما قصد تحريق بيت علي عليه السلام، لكن قد كان ديدنه معه تدقيق النظر في إيذائه، وطرح وصايا الرسول صلى الله عليه وآله فيه، ودفع الإمامة عنه مهما أمكن، كما ينبىء عنه صنيعه في الشورىٰ وغيرها، وكذا مع سائر العترة الطاهرة.

ويوضحه ـ مع ما تقدّم ـ ما ذكره البلاذري في تاريخه، قال: لمّا قتل الحسين بن علي عليهما السلام كتب عبدالله بن عمر إلىٰ يزيد لعنه الله: أمّا بعد فقد عظمت الرزية، وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين.

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد يا أحمق، فإنّا جئنا إلىٰ بيوت متجدّدة[1]، وفرش ممهّدة، ووسائد منضّدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن يكن لغيرنا فأبوك سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحقّ علىٰ أهله[2].

وإنّما أهمل منازعته ومنازعة صاحبيه ومقاتلتهم دفعاً للضرر لفقد الأنصار والأولياء؛ إذ لم يكن معتزلاً معه وموافقاً له إلّا بنو هاشم خاصّة، والباقون مختلفون في الآراء، وهو السبب في صبر الأنبياء والأوصياء عن منازعة الفراعنة

---

(١) في الطرائف: متّخذة، وفي البحار: منجدة.

(٢) الطرائف ص ٢٤٧ ح ٣٤٨، بحار الأنوار ٤٥: ٣٢٨.

والملوك، أو للخوف من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام، ونبذهم شعار الشريعة.

كما رواه أخطب خوارزم موفّق بن أحمد الخوارزمي، وابن مردويه، عن عامر بن واثلة، قال: كنت على الباب يوم الشورىٰ، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً يقول: بايع الناس أبابكر وأنا أولىٰ بالأمر منه وأحقّ، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثمّ بايع أبوبكر لعمر وأنا والله أولىٰ بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً، ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذاً لا أسمع ولا أطيع[١].

وروىٰ ابن عبد ربّه أنّه عليه السلام كان يتألّم من الصحابة كثيراً في عدّة مواطن علىٰ رؤوس المنابر، وأنّ أوّل ما خطب عقيب مبايعة الناس له أن قال ـ بعد إشارات ظاهرة وباطنة بالتألّم ممّن تقدّمه وممّن وافقهم ـ ما هذا لفظه: قد كانت أُمور ملتم فيها عن الحقّ ميلاً كثيراً لم تكونوا فيها محمودين، أما إنّي لو شأت أن أقول لقلت، عفى الله عمّا سلف، سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همّته بطنه، ويله لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له، انظروا فإن أنكرتم فانكروا، وإن عرفتم فاعرفوا، ألا إنّ أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلمهم كباراً، ألا وإنّا من أهل بيت من علم الله عَلِمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبّعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ، من تبعها لحق، ومن تخلّف عنها غرق، ألا وبنا عزّة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ من أعناقهم،

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ٣١٣ ـ ٣١٤، المناقب لابن مردويه ص ١٣٠.

وبنا فتح، وبنا يختم(١).

ولا ريب أنّه قد أبان في ذلك التألّم من أُولئك، بل ما كان يخطب خطبة ولا يقف موقفاً إلّا ويتظلّم فيه منهم، وإن اختلفت الألفاظ، فالقدر المشترك بينها متواتر لا محالة.

ومن كلام لهعليه السلام: اللّهمّ إنّي أستعديك علىٰ قريش، فإنّهم قطعوا رحمي، وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا علىٰ منازعتي، حقّاً كنت أولىٰ به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، وفي الحقّ أن تمنعه، فاصبر مغموماً، أو مت متأسّفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذابّ، ولا مساعد، إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذىٰ، وجرعت ريقي على الشجىٰ، وصبرت من كظم الغيظ علىٰ أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار(٢).

وفيه تصريح وكذا في الخطبة الشقشقية بأنّه لو وجد ناصراً ومعيناً علىٰ حربهم لحاربهم، كما حارب أهل البصرة وصفّين؛ لأنّه وجد عليهم أنصاراً وأعواناً يكثر عددهم، ويرجى النصرة والظفر بمثلهم؛ لأنّ الشبهة في فعلهم وبغيهم كانت زائلة عن جميع الأماثل وذوي البصائر، ولم يشتبه أمرهم إلّا علىٰ أغتام وطغام لا اعتبار بهم، ولا فكرة في نصرة مثلهم، فتعيّن النهوض في قتالهم للسبب المذكور، دون قتال المتقدّمين عليه.

لأنّ الجمهور والعدد الكثير والجمّ الغفير كانوا علىٰ موالاتهم وتعظيمهم

---

(١) العقد الفريد ٢: ١٣٣، الطرائف ص ٤١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ٢٧٥، بحار الأنوار ٢٩: ٦٣٦.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٣٦ رقم الكلام: ٢١٧.

وتصويبهم في أقوالهم وأفعالهم، فبعض للشبهة، وبعض للانحراف عن علي عليه السلام، والمحبّة لخروج الأمر منه، وإن عرفوا فضله وسابقته ومكانته من الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنّه قد كان قتل من آبائهم وأجدادهم وأخوالهم وأقربائهم المحادّين لله ولرسوله عدداً كثيراً، ولم يتّفق حصول مثله من غيره؛ لأنّه كان له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن مثله لغيره، وبعض لطلب الدنيا والميل إلى الرئاسة الموجبة لاجتماع سواد العامّة عليهم وكثرتهم حولهم، علىٰ أنّ من حارب معه في هذه الحروب إلّا القليل كانوا قائلين بإمامة المتقدّمين عليه.

فكيف يستنصر عليهم بقوم هذه صفتهم؟ وحضوره مجالسهم لينهي عن بعض ما يجري فيها، ودخوله في آرائهم ليرشدهم إلىٰ بعض ما شذّ عنهم، وصلاته خلفهم إن كانت فلإظهار الاقتداء بهم مجرّداً عن النية، حذراً من مجاهرتهم ومنابذتهم، وأخذه عطاياهم لتسويغ الشريعة تناول ما أخذه الجائر قهراً، ونكاحه سبيهم لم يقع منه، والحنيفة أُمّ محمّد لم يستبحها بالسبي، بل نكحها ومهرها، كما رواه البلاذري وغيره.

وتزويجه ابنته أُمّ كلثوم من عمر لم يقع إلّا بعد توعّد وتهدّد ومراجعة ومنازعة وكلام طويل مأثور أشفق من شروق الحال، وظهور ما لا يزال يخفيه منها[1].

---

(١) روى المحدّث الجليل الثقة الكليني في فروع الكافي ٥: ٣٤٦، باسناده، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام في تزويج أُمّ كلثوم، فقال: إنّ ذلك فرج غصبناه.

وروىٰ أيضاً باسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لمّا خطب إليه، قال له أميرالمؤمنين: إنّها صبية، قال: فلقي العبّاس، فقال له: مالي أبي بأس؟ قال: وما

⇐

ودخوله في الشورىٰ ليتمكّن من الاحتجاج علىٰ القوم بفضائله ومناقبه، والأخبار الدالّة على النصّ علىٰ إمامته.

وروى القطب الراوندي في المنهاج، أنّه عليه السلام قال: دخلت في الشورىٰ تكذيباً لقول عمر «إنّ الخلافة والنبوّة لا يجتمعان في بيت واحد»[١].

وفي الحديث المتقدّم الذي أورد صاحب كشف الغمّة أنّ الزبير بن بكّار رواه عن رجاله، أنّ ابن عبّاس قال: إنّ عمر قال لي: بلغني أنّك تقول إنّما صرفوها يعني قريشاً عنّا حسداً وبغياً وظلماً، فقلت: أمّا قولك ظلماً، فقد تبيّن للجاهل والحليم. وأمّا قولك حسداً فإنّ آدم حُسد ونحن أولاده المحسودون، فقال: هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلّا حسداً لا يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغشّ، فإنّ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله من قلوب بني هاشم[٢].

⇐ ذاك؟ قال: خطبت إليّ ابن أخيك فردّني، أما والله لأعورنّ زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلاّ هدمتها، ولأُقيمنّ عليه شاهدين بأنّه سرق، ولأُقطّعنّ يمينه، فأتاه العبّاس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه، فجعله إليه.

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١: ١٢٨، قال في حديث الشورىٰ: قال عمر للناس: كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمٰن بن عوف، فقال العبّاس لعلي عليه السلام: ذهب الأمر منّا، والرجل يريد أن يكون الأمر لعثمان، فقال علي عليه السلام: أنا أعلم ذلك، ولكنّني أدخل معهم في الشورىٰ؛ لأنّ عمر قد استأهلني الآن للامامة وكان من قبل يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ النبوّة والامامة لا يجتمعان في بيت، وإنّي لأدخل في ذلك ليظهر أنّه كذّب نفسه بما روىٰ أوّلاً.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٢: ٥٣ ـ ٥٥، بحار الأنوار ٣١: ٧٢.

وفي ذلك تكفير له بوجه لطيف، وكفىٰ بابن عبّاس شاهداً علىٰ كفره .

وبما تقدّم من مثل تحريمه المتعة مع اعترافه بأنّها كانت علىٰ عهد الرسول ﷺ، وتخريقه الكتاب الذي كتبه أبوبكر لسيّدة النساء عليها السلام في ردّ فدك مصرّحاً بكفره[١].

وقد نقل صاحب كشف الغمّة من كتاب السقيفة لأبي‌بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري خطبة لها عليها السلام ناطقة أيضاً بكفره وكفر من أمّره، وهو أبوبكر وأتباعهما .

منها: فلمّا اختار الله لنبيّه ﷺ دار أنبيائه، وأتمّ له[٢] ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الإسلام، فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فينق الكفر، يخطر في عرصاتكم، فأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فوجدكم غضاباً، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها شرباً ليس لكم، والرسول لمّا يقبر بدار، أزعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنّ جهنمّ لمحيطة بالكافرين .

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّىٰ تؤفكون، وكتاب الله عزّوجلّ بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيّرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة، أرغبة عنه تريدون، أو بغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين[٣].

---

(١) تقدّم نقل الحديث مفصّلاً .

(٢) في الكشف: عليه .

(٣) كشف الغمّة ١: ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

ومنها: ثمّ أنتم أوّلاً تـزعمون أن لا إرث لي، أفـعلىٰ عـمد تـركتم كـتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُودَ﴾[١] مع ما اقتصّ من خبر يحيىٰ وزكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾[٢] وقـال تـبارك وتـعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٣].

فزعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث لي من أبي، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون: إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

إيهاً معاشر المسلمة أبتزّ ارثية، أالله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئتم شيئاً فرياً، فدونكها مرحولة مخطومة مذمومة تلقاك يوم حشرك، فـنعم الحكـم الله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون ما توعدون، ولكـلّ نـبأ مسـتقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

قال: ثمّ التفتت إلىٰ قبر أبيها متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة:

قـد كـان بـعدك أنـباء وهـنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها ... واختلّ قومك لمّا غـبت وانـقلبوا[٤]

وفي هذه الخطبة من هذا النمط ما أعرضنا عنه إيثاراً للاختصار، واكتفاءً في

---

(١) سورة النحل: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٦.

(٣) سورة النساء: ١١.

(٤) كشف الغمّة ١: ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

الدلالة على المطلوب بهذا المقدار .

وروى الغزالي في الإحياء: أنّ عمر كان يسأل حذيفة عن نفسه، وأنّه هل ذكر في المنافقين[١]. ولولا أنّه يعلم من نفسه ما يليق بهذه الحال ما سأل عنها. على أنّه قيل: إنّ حذيفة قال له: أنت أعلم بنفسك[٢]. وهو كالصريح في ضلاله، فإنّه لو علم إسلامه لما أبهمه خوفاً من سطوته .

وكذا ما رواه الحميدي في صحيحه من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمره بسماع ما أخبره به جابر بن عبدالله الأنصاري من وقوع البركة في النخل المنتقل إليه بالميراث، بحيث قضى منه دَينه، وبقي منه بقية ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالبركة[٣]. فإنّه كالصريح في أنّه اطّلع على سريرته، من أنّه كان شاكّاً في نبوّته، وأراد إثبات الحجّة عليه في إظهار المعجزة الدالّة على النبوّة .

ويؤيّده ما رواه المحدّثون من أنّه كان يلحظ التوراة لاستخراج الأحكام، حتّى رآه الرسول صلى الله عليه وآله يوماً، فغضب عليه وقال له: لو كان موسى حياً لما وسعه إلّا اتّباعي[٤]. وذلك لأنّه لو كان معتقداً لنبوّته لمنع الحياء من الإقدام على استخراج الأحكام من ملّة نبي غيره .

وروى الثعلبي في تفسيره: في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين

---

(١) إحياء علوم الدين ١: ١٢٤ .

(٢) الطرائف ص ٤٧٠ .

(٣) صحيح البخاري ٣: ٨٤ كتاب الاستقراض، الطرائف ص ٤٤٦ .

(٤) بحار الأنوار ٣٠: ٣٦١ و ٣٦١، عوالي اللآلي ٤: ١٢١

النبيﷺ، أنّه قال: ما شككت إلّا يومئذ[١].

والضرورة قاضية بأنّه لم يقع من النبيﷺ ما يقتضي شكّه لو كان علىٰ بصيرة في إسلامه ومعرفة لنبوّة النبيﷺ.

وروى الثقة أبوعلي الطبرسي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢] إنّه أقرّ علىٰ نفسه بأنّه حديث عهد بجاهلية وشرك[٣].

وروىٰ مسلم في صحيحه أنّ النبيﷺ فضّل هجرة أسماء بنت عميس علىٰ هجرته[٤]، وما ذلك إلّا لإبطانه الكفر.

وقد حكم بغير ما أنزل الله في مواضع كثيرة، سيأتي بيان بعضها في الوجه التاسع إن شاء الله تعالىٰ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾[٥].

هذا وقد ورد عن أئمّة الهدىٰ أنّهم قالوا: من شكّ في كفر أعدائنا والجاحدين لنا فهو كافر، رواه الصدوق في اعتقاداته عن مولانا الصادقعليه السلام[٦].

وهو من أدلّ دليل على المدّعىٰ، وهو كفر أهل البدعة لمن أبصر ووعي.

---

(١) الطرائف ص ٤٤١ عن تفسير الثعلبي، بحار الأنوار ٣٠: ٥٦٤.

(٢) سورة المائدة: ١٠١.

(٣) مجمع البيان ٢: ٢٥٠.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٩٤٦ برقم: ٢٥٠٢، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس.

(٥) سورة المائدة: ٤٤.

(٦) وسائل الشيعة ٢٨: ٣٤٥ عن رسالة الاعتقادات.

الوجه السادس
خروجهم عن طاعة الإمام الحقّ

جرياً علىٰ ما نهجه سلفهم، وهم أهل النهروان مع علي عليه السلام، الذين احتجّوا عليه بالتحكيم ونحوه، والجامع بينهم وبين البغاة بغضه، بالاستصغار لقدره، وتفضيل غيره عليه، ومنعهم تسليم الحقّ إليه، وقبولهم ما يتضمّن مدح أعدائه، وما فيه مثلبة له، وإنكارهم الوصية إليه بالخلافة من النبي صلى الله عليه وآله، وصرفهم الآيات الدالّة علىٰ أفضليته، ووجوب طاعته، إلىٰ غيره، أو حملها علىٰ وجه يندرج فيه غيره، إلىٰ غير ذلك من علامات الخروج.

ولم يتفطّنوا إلىٰ أنّ إنكار المراد من تأويله كفر كإنكار تنزيله، ولهذا قاتل أميرالمؤمنين عليه السلام أهل النهروان، وقد أعلمه النبي صلى الله عليه وآله بأنّه سيقاتلهم علىٰ ذلك بقوله «إنّك ستقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله»[1].

وفي الحقيقة الخروج من جملة أقسام النصب، كما سيأتي بيانه عن قريب.

ومن ثَمّ كان هذا الوجه قريباً ممّا تقدّمه، إلّا أنّا أردنا في إفراده عنه بيان صحّة اتّصافهم بالخروج والنصب معاً، كاتّصاف رؤسائهم بذلك.

وقد سئل السيّد الرضي الموسوي ـ قدّس الله روحه ـ وهو حدث السنّ، فقيل: ما النصب في عمر امتحاناً عن إعرابه، فأجاب بغض علي عليه السلام[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٢: ٢٧٧ و ٣: ٢٠٦ و ١٤: ٤٢، الطرائف ص ٧٠، العمدة لابن البطريق: ٢٢٥ ـ ٢٢٦ و ٢٨٦.

(٢) قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٤: ٤١٦ في ترجمة الشريف الرضي: وذكر ⇐

ولنعم ما أجاب، فإنّ ذلك لشدّة عداوته له، واستقلاله بالأمر دونه عليه الصلاة والسلام.

وأورد الشهيد في البيان ما هذا لفظه: والناصبي خارجي[١]. وهو بظاهره يقتضي أن يكون كلّ ناصب خارجياً.

وذكر المقداد في التنقيح في تفسير الناصب وجوهاً خمسة:

أحدها: أنّه الخارجي الذي قال في علي عليه السلام ما قال.

الثاني: أنّه الذي ينسب إلىٰ أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام ما يثلم العدالة.

الثالث: من إذا سمع فضيلة لعلي عليه السلام أو لغيره من المعصومين عليهم السلام أنكرها.

الرابع: من اعتقد أفضلية غير علي عليه السلام.

الخامس: من إذا سمع النصّ علىٰ علي عليه السلام، أو بلغه متواتراً وبطريق يعتقد صحّته أنكره.

ثمّ قال: والحقّ صدق النصب على الجميع. أمّا من يعتقد إمامة غيره للإجماع أو لمصلحة ولم يكن من أحد هذه الأقسام الخمسة، فليس بناصب.

قلت: هذا الفرض نادر، فإنّ الغالب عدم انفكاك من هذا شأنه من فرق

⇐ أبوالفتح ابن جنّي النحوي في بعض مجاميعه، أنّ الشريف الرضي اُحضر إلى ابن السيرافي النحوي، وهو طفل جدّاً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقّنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الاعراب علىٰ عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا رأيت عمر، فما علامة النصب في عمر؟ فقال له الرضي: بغض علي، فعجب السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره. راجع: الكواكب المشرقة ٣: ٢٤٨ و ٢٥٠.

(١) البيان ص ٣٩.

المخالفين عن بعض هذه الأقسام، وربما استجمعها بعضهم، ومن ثمّ كان أغلبهم متّسماً بسمة النصب، وإن تفاوت بالشدّة والضعف .

ومن تتبّع أقوالهم وأفعالهم، مثل منعهم أهل البيت عليهم السلام من خمسهم، وجعل مصرفه الصلاح والكراع للمجاهدين، وبذل جهدهم في تسديد أعداء أئمّة الدين، ونحو ذلك ممّا أسلفناه، ينكشف له صحّة ما قلناه، ولهذا لم يجعلوهم في حلّ في حقوقهم، بل قصروا إباحتها علىٰ شيعتهم، معلّلين ذلك بطيب ولادتهم .

الوجه السابع

خلودهم في النار كالخلود الثابت لسائر الكفّار

لما تواتر من الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم صلوات من ربّهم ورحمة دائمة بدوام الليل والنهار، الواردة بطريق الخاصّة والعامّة، المتضمّنة لكون من أبغض الأئمّة الذين هم أهل بيت النبوّة لا يشمّ رائحة الجنّة .

فمن ذلك: ما رواه من العامّة الخطيب الخوارزمي في مناقبه: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام علىٰ قدميه، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها[١] .

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ٦٧ ـ ٦٨ ح ٤٠. والحديث فيه هكذا: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي عليه السلام: يا علي لو أنّ عبداً عبد الله عزّوجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أُحد ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتّىٰ حجّ ألف عام علىٰ قدميه، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار ٣: ٤١٩ .

ومثله روى أحمد بن مردويه في مناقبه[١].

وفي رواية: وإنّ رائحتها لتشمّ من مسيرة خمسمائة عام[٢].

وجه الاستدلال: أنّه قد تقرّر في فنّ الأُصول أنّ النكرة إذا وقعت في سياق النفي أفادت العموم، فأفادت الرواية أنّ مبغضه لا يدخلها أصلاً.

والسرّ في ذلك أنّ ولايته عليه السلام، وكذا ولاية المعصومين من أبنائه عليهم السلام، بل ولاية شيعتهم ـ كما تقدّم مروياً ـ جزء الإيمان الذي لا يقبل شيء من الأعمال بدونه.

ويزيده بياناً ما رواه الديلمي في الفردوس: عن أبي ذرّ الغفاري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: حبّ علي إيمان وبغضه نفاق[٣].

ومثله روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده[٤].

وروى ابن مردويه في مناقبه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[٥] أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يعرف المنافقين ببغضهم علياً عليه السلام[٦].

فقد أقسم الله سبحانه بأنّ نبيه صلى الله عليه وآله يعرف المنافقين ببغضهم إيّاه.

ويؤيّده النصوص المروية عنه صلى الله عليه وآله الناطقة بأنّ بغضه علامة النفاق، كما أنّ حبّه

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٧٣ ح ٤٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٤٤.

(٣) الفردوس للديلمي ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٤) راجع: بحار الأنوار ٢٧: ١١٢ و ٣٧: ٩٢ و ٣٩: ٢٩٣ و ٤٠: ٧٦ وغيرها.

(٥) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٣٢٠.

علامة الإيمان[١].

وقد ورد النصّ المستفيض بين الشيعة والنصبة أنّ النبيﷺ قال: يا علي لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا ولد زنية أو حيضة[٢].

وروى السيّد الجليل علي بن طاووس في كتاب ربيع الشيعة[٣]، عن ابن عبّاس، قال: قال النبيﷺ: إذا كان يوم القيامة دُعي الناس كلّهم بأسماء أُمّهاتهم ما خلا شيعتنا، فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مواليدهم[٤].

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام: إنّ رسول اللهﷺ تلا هذه الآية ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥] فقال: أصحاب الجنّة من أطاعني، وسلّم لعلي بن أبي طالب بعدي، وأقرّ بولايته. وأصحاب النار من سخط الولاية، ونقض العهد، وقاتله بعدي[٦].

وروى الديلمي في الفردوس: عن عمر بن الخطّاب، قال: حبّ علي براءة من النار[٧].

وعن معاذ قال: قال النبيﷺ: حبّ علي حسنة لا تضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ٧: ٢٣٧ ـ ٢٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٣٩: ٢٨٧ و ٣٠١ و ٧٨: ١٠٤.

(٣) وهو بعينه كتاب إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، لأبي علي الطبرسي، من أعلام القرن السادس، وقد سرىٰ هذا الوهم إلىٰ جمع من الأعلام.

(٤) إعلام الورىٰ ص ١٦٥.

(٥) سورة الحشر: ٢٠.

(٦) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ٢٨٠ ح ٢٢.

(٧) فردوس الأخبار ٢: ٢٢٦ برقم: ٢٥٤٥.

لا تنفع معها حسنة(١).

وجه ذلك: أنّ حبّه إيمان وبغضه نفاق، لما تقدّم آنفاً في الأخبار، فاستحقّ محبّه الثواب الدائم، فإن قارن هذه المحبّة سيّئة استحقّ بها عقاباً منقطعاً، وكلّ شيء قلّ ضرره بالإضافة إلىٰ ما كثر، جاز أن يقال: إنّه غير ضارّ، فحبّه عليه السلام لمّا كان سبباً لصحّة العقيدة المانعة من الخلود، صدق أنّ السيّئة لا تضرّ كلّ الضرر، وبغضه لمّا كان سبباً لإفسادها الموجب للخلود، أفسد حسنته علىٰ تقدير الموت علىٰ هذه السيّئة الرديئة.

وأيضاً يرشد إلىٰ ما تقدّم من خلودهم في النار، ما صحّ من أنّ شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لا يكون لأهل الشكّ والجحود، ويؤيّده قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾(٢).

وروى الخطيب الخوارزمي في مناقبه، عن ابن عبّاس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك. وفي رواية: غرق. وفي رواية ثالثة: زخّ في النار(٣).

وهو نصّ في أنّ الفرقة الناجية هم شيعتهم المتمسّكون بهم، وهم الاثناعشرية الذين صار علمهم أنّهم شيعتهم من بين سائر البرية.

---

(١) فردوس الأخبار ٢: ٢٢٧ برقم: ٢٥٤٧، ورواه الخوارزمي في مناقبه ص ٧٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٣) رواه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه ص ١٣٢ ـ ١٣٤، والهيتمي في الصواعق ص ٢٣٤، والخطيب في تاريخه ١٢: ٩١، وابن كثير في تفسيره ٩: ١١٥، والحاكم في مستدركه ٣: ١٥٠ و ٢: ٣٤٣، وإحقاق الحقّ ٩: ٢٧٠ ـ ٢٩٣.

والذي يكشف عن ذلك ويوضحه: ما رواه محمّد بن موسى الشيرازي في تفسيره، أنّ النبي ﷺ قال: ستفترق أُمّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقون في النار، ثمّ وصف الفرقة الناجية بمن استمسك بعلي وأصحابه[١].

فإذا كان المتمسّكون بهم هم الناجون، فخصماؤهم هم الهالكون، وذلك نصّ صريح في أنّ أهل البدعة حصب جهنّم هم لها واردون.

هذا مع أنّ جمعاً من علماء الدين حكوا علىٰ ما تقدّم من خلودهم في النار إجماع المحصّلين، وقد تقرّر في الأُصول أنّ الإجماع المنقول بخبر الواحد حجّة، كالمنقول بالتواتر عند المحقّقين.

ولا يرد أنّ الخلود قد يوجد بدون الكفر، والكفر بدون الخلود.

أمّا الأوّل، فكالفاسق علىٰ رأي الوعيدية. وأيضاً فقد نقل العلّامة مفتي الفرق في شرح التجريد الموسوم بكشف المراد عن القائلين من الإمامية بإسلام المخالفين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّهم يخلدون في النار؛ لعدم استحقاقهم الجنّة.

الثاني: أنّهم يخرجون من النار؛ لعدم الكفر الموجب للخلود.

الثالث: أنّهم يخرجون من النار لما تقدّم آنفاً، ولا يدخلون الجنّة لعدم الإيمان المقتضي لاستحقاق الثواب[٢].

وأمّا الثاني، فكالكافر الذي بالغ في الاجتهاد ولم يصل إلى الحقّ، علىٰ رأي الجاحظ والعنبري، فإنّه عندهما معذور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

---

(١) الطرائف ص ٤٣٠ عن تفسير الشيرازي.

(٢) كشف المراد في شرح التجريد للعلاّمة الحلّي ص ٣٩٨.

مِنْ حَرَجٍ﴾[1] فعندهما الخلود مختصّ بالكافر المعاند.

وذلك لأنّه يجاب عن الأوّل: بأنّ الحقّ أنّ الفاسق عذابه منقطع لإيمانه، وخلود المخالفين على القول بإسلامهم ضعيف.

وعن الثاني: بأنّ العقلاء أطبقوا على استحالة الفرض المذكور؛ لأنّ المكلّف إذا بالغ في الاجتهاد: فإمّا أن يصل إلى الحقّ، أو يموت على الطلب، وهما ناجيان، ويستحيل عندنا أداء الاجتهاد إلى الكفر، وإن كان ذلك غير مستحيل علىٰ رأي فريقهما، كما يرشد إليه قولهم بعدم كفر الباغي، وانتفاء كون البغي إسم ذمّ، بل هو اسم من اجتهد فأخطأ، وقولهم بأنّ محاربة عائشة لعلي عليه السلام كانت بالاجتهاد، وإنّها مأجورة علىٰ ذلك وإن أخطأت فيه، فجعلوا الاجتهاد معارضاً لقول النبي صلى الله عليه وآله «حربك حربي» الشاهد بكفرها.

وكذا جعلوه وسيلة إلىٰ عدم كفر رؤساء نحلتهم، مع ما صدر منهم من مخالفة صريح الكتاب الشريف، وتغيير الشرع المنيف.

الوجه الثامن

قولهم بأنّ مسألة الإمامة فرعية

لا يجب البحث عنها، ولا طلب الحقّ فيها، بل يكفي فيها التقليد، ولهذا لا يكفر مخالفها، بل ولا يفسق بزعمهم.

وإنّما التزموا بذلك لتحصيل الغفلة عمّا اقترحوه من ثبوت الإمامة بالاختيار دون النصّ، ولئلّا يحصل الظفر بما انتحله أئمّة كفرهم، وما اختلقوه في فضلهم من الأحاديث التي أسندوها إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولم يتفطّنوا إلىٰ مناقضه ذلك.

---

(١) سورة الحجّ: ٧٨.

لتصريحهم بأنّ حقوق النبوّة ـ من حماية بيضة الإسلام، وحفظ الشرع، ونصب الألوية والرايات في جهاد الكفّار والبغاة، والانتصاف للمظلوم، وإنفاذ المعروف، وإزالة المنكر، وغير ذلك من توابع منصب النبوّة ـ ثابتة لها؛ لأنّها خلافة عنها.

ولما رووه في كتبهم، كالحميدي في صحيحه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[١]. وهو نصّ صريح في أنّ الإمامة من الأُصول؛ للعلم الضروري بأنّ الجاهل بشيء من الفروع وإن كان واجباً لا تكون ميتته جاهلية؛ إذ لا يقدح ذلك في إسلامه.

وليس المراد من إمام زمانه القرآن المجيد كما زعموا، وإلّا لكان تعلّمه واجباً على الأعيان، وإضافة الإمام إلى الزمان، وهو يقتضي اختصاص أهل كلّ زمان بإمام تجب عليهم معرفته.

ويزيده بياناً ما تقدّم روايته عن الأعمش في الوجه الثالث، وكذا ظاهر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٢] فإنّ معناه يوم يدعىٰ كلّ قوم بإمام زمانهم وكتاب الله وسنّة نبيّهم. رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام[٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤] وقوله تبارك اسمه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٥] فإنّه عامّ في سائر الأمم، وعمومه يقتضي أنّ كلّ زمان حصلت فيه

---

(١) الصوارم المهرقة ص ٨٩ و ٢٦٣ عن الجمع بين الصحيحين للحميدي.

(٢) سورة الإسراء: ٧١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٣ ح ٦١.

(٤) سورة الرعد: ٧.

(٥) سورة فاطر: ٢٤.

أُمّة مكلّفة بدين لابدّ لها من نذير، فالنذر في أزمنة الأنبياء عليهم السلام هم، وفي غيرها الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا، وما نزل من قوله عزّوجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] بعد أن أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بالنصّ علىٰ علي عليه السلام بالخلافة يوم غدير خمّ، ناطق أيضاً بأنّ الإمامة عن تمام الدين، فتكون من الأُصول؛ إذ الفروع لا يصحّ الإخبار باكتمالها لتجدّدها بتجدّد الأفكار، وتلاحقها بتلاحق الأنظار.

وذلك مع ما تقدّم شاهد علىٰ أنّ من مات منهم مات ميتة جاهلية، حيث لم يعرفوا إمام زمانهم، ولم يوجبوا على المكلّفين معرفته عقلاً، وأنّهم لفي شكّ منه مريب، مع إحاطتهم علماً بأنّ عدم وجوب معرفته يؤدّي إلى الشكّ في عدل الله سبحانه، وأنّه ممّن يجوز أن يخلّ بشرائط التكليف، ولا يزيح علّة المكلّفين فيما كلّفهم.

والعجب كيف جوّزوا خلوّ العصر من الإمام، والحنابلة منهم منعوا من خلوّه من المجتهد، محتجّين بأنّه لو جاز خلوّه منه لزم تعطيل الشريعة واندراس الأحكام، وهو ممتنع، ولم يتفطّنوا إلىٰ أنّ لزوم ذلك علىٰ تقدير خلوّه من الإمام أظهر، فإنّ المجتهد لانتفاء عصمته قد يحصل بسببه تطرّق الزيادة والنقصان إلى الشريعة.

وقد أشرنا فيما تقدّم إلىٰ أنّ صحاح أخبارهم شاهدة بإمامة أئمّتنا الاثني عشر، وأنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله لا تحصل إلّا بالصلاة معه علىٰ آله، وليس الآل إلّا هم باتّفاق أهل النظر.

وقد ذهب جميع أصحاب الشافعي إلىٰ أنّ الصلاة علىٰ نبينا صلى الله عليه وآله فرض وركن

---

(١) سورة المائدة: ٣.

من أركان الصلاة، وأكثرهم أجرى الصلاة علىٰ آله مجرى الصلاة عليه، وإن ذهب الأقلّ منهم إلى اختصاص هذا الحكم بالصلاة عليه، ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع علىٰ أنّ المعرفة بهم كالمعرفة بالله ورسوله في أنّها إيمان وإسلام، وأنّ الجهل بهم والشكّ فيهم كالجهل بهما والشكّ فيهما، في أنّه كفر وخروج من الإيمان.

ولا ريب أنّ إجماعهم حجّة، بدليل أنّ المعصوم الذي قد دلّت العقول علىٰ وجوبه في كلّ زمان في جملتهم.

وكذا يدلّ على القطع بذلك اقتران طاعتهم بطاعة الله ورسوله في قوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] وذلك لأنّه يفيد أنّ طاعتهم كطاعتهما.

ولمّا كانت الطاعة متوقّفة على المعرفة، كانت معرفتهم من الأُصول كمعرفتهما، وهذه منزلة ليست لأحد من البشر إلّا لنبينا ﷺ وبعده لأميرالمؤمنين والمعصومين من أبنائه عليهم السلام، المكنّىٰ عنهم بأُولي الأمر؛ لأنّ المعرفة بنبوّة من تقدّمه من الأنبياء من آدم إلىٰ عيسىٰ عليهم السلام غير واجبة علينا، لكن معرفتهم لورود القرآن بنبوّتهم، وإلّا فلا وجه لوجوبها؛ إذ لا تعلّق لها بشيء من أحوال تكاليفنا.

وقد أثبت الله سبحانه لآل نبينا ﷺ من المزية ما لم يثبته لآلِ سائر النبيين في قوله عزّوجلّ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[2] وفي غير هذه الآية لم يسلّم علىٰ أحد إلّا على الأنبياء عليهم السلام، وما ذلك إلّا لأنّه أعطاهم من الفضل ما لم يبلغ أحد كنه وصفه، إلّا من عَقَله ومنحهم العصمة، كما منحها أنبياؤه وملائكته.

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة الصافّات: ١٣٠.

وقد بيّنا آنفاً أنّ أكثر الشافعية موافقون لما أجمع عليه علماؤنا؛ لإجرائهم الصلاة عليهم مجرى الصلاة عليه في الوجوب والركنية التي هي فرع المعرفة بهم، كما أنّ الطاعة كذلك، وإن رفض الشاذّ منهم وجوب المعرفة والصلاة والطاعة، وكذا باقي أرباب المذاهب الأربعة.

وكذا رفضوا باعتقادهم حسن تقديم المفضول على الفاضل؛ لأنّ الغرض من الإمامة بزعمهم حفظ نظام الوجود، كما تقدّم مع الكلام عليه ما دلّت عليه الأدلّة العقلية من قبحه، وكذا النقلية، مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] أراد به شدّة الانكار المذكور أوّلاً وآخراً؛ لامتناع التعجّب في شأنه سبحانه؛ لأنّه من توابع الأجسام. وكذا قوله عزّوجلّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله جلّ اسمه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3] ونحو ذلك.

وبعضهم لم يعتقدوا حسن ذلك، لكن جعلوا مدار الأفضلية علىٰ تقليد السلف، واحتجّ لهم صاحب المواقف بعدم دلالة العقل بالاستقلال عليها، وعدم الاكتفاء بالظنّ في ثبوتها؛ إذ هي مسألة علمية يطلب فيها اليقين، والنصوص مع تعارضها لا تفيد القطع، فلم يبق إلّا التقليد.

وهو خطأ؛ للمنع من عدم استقلال العقل بالدلالة عليها، ومن عدم إفادة النصوص للقطع بها؛ لتواترها بأنّ علياً عليه السلام أفضل من سائر الصحابة بمزايا لا

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

تحصىٰ كثرة.

لأنّه كان أكثرهم جهاداً، بل لم يكن لغيره موقفاً ولا مشهداً معروفاً، وأقدمهم إيماناً، بل ما أشرك أصلاً، وأقربهم بالنبي عهداً، وأجزلهم علماً، وأكملهم حلماً، وأسدّهم رأياً، وأشدّهم ذكاءً وفطنة، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كفّاً، وأقواهم حدساً، وأغزرهم عبادة، وأرجحهم زهادة، وأحسنهم خُلقاً، وأطلقهم وجهاً، وأفصحهم لساناً، حتّىٰ قيل: إنّ كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق؛ لتضمّنه بلاغة وحكمة بالغة.

وأحفظهم للكتاب العزيز، وأسبقهم له جمعاً، وأتمّهم حرصاً علىٰ إقامة حدود الله تعالىٰ، ولإخباره بالغيب، واستجابة دعائه، وظهور المعجزات عنه، وكثرة الانتفاع به، واختصاصه بالقرابة والأُخوّة، ووجوب المحبّة والنصرة، ومساواة الأنبياء، وخبر الطائر والمنزلة والغدير وغيرها.

وما كان قطّ بالله مشركاً، ولا لمنكر مرتكباً، ولا في طاعة الله ورسوله مقصّراً، ولا عن درجات السبق إلى الفضائل متأخّراً، بل كان في سائر الكمالات متميّزاً.

وأيّ عقل لا يحكم بأنّه أعظم ثواباً، وأزيد كرامة عند الله عزّوجلّ، ممّن تستّر يوم بدر في العريش خوفاً، وعبد الأصنام أربعين سنة، وما صدّق لله حديثاً، ولا كفى النبي ﷺ مخوفاً، بل كان عن كلّ فضيلة متأخّراً، وفي رأيه وعلمه ضعيفاً، وإلىٰ غيره فيه فقيراً، حتّىٰ يلتجأ هؤلاء الكفرة في ثبوت الأفضلية إلى التقليد الذي قد حكى القرآن المجيد عن الكفّار إيثارهم له بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1] مع أنّه لا يثمر اليقين المفروض اعتباره في هذه

---

(١) سورة الزخرف: ٢٣.

المسألة.

وأيضاً لو اكتفي به عن النظر، لزم انتشار الشرّ والفساد؛ لتكثّر المدّعين، واختلاف الأهواء، كما في زمن معاوية ونحوه، بل ربما امتنع التقليد لاستلزامه الترجيح بلا مرجّح، مع الاختلاف، علىٰ أنّ الأفضلية عند الله سبحانه بهذا المعنىٰ لا يثبت إلّا بالعصمة والنصّ الجلي، وهما مختصّان بعلي عليه السلام.

وأنشد ابن أبي الحديد في قصيدته اللامية:

وخلافة ما أن لها لو لم تكن ... منصوصة عن جيد مجدك معدل[1]

يقول لعلي عليه السلام: لو لم يكن عليك نصّ بالخلافة لما جاز العدول بها عنك، فكيف وقد حصل النصّ، وذلك لأنّه أفضل الخلق، وتقديم المفضول على الفاضل قبيح، ثمّ إنّه جعل كعبه الذي يباشر به الأرض عالياً علىٰ غيره في قوله:

عجباً لقوم أخّروك وكعبك ... العالي وخدّ سواك أضرع أسفل[2]

وعلّل فعل القوم الذين أخّروه بالحسد في قوله:

إن تُمِس محسوداً فسؤددك الذي ... أعطيت محسود المحل مبجّل

وقد روى الثعلبي في تفسيره: بإسناده أنّ أحمد بن حنبل كان يقول: ما لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما لعلي من الفضائل[3].

وروى الصدوق في الأمالي: عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢١٥.

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢١٥.

(٣) بناء المقالة الفاطمية ص ١٦٣، شواهد التنزيل ١: ٢٦ و ٢٧، الطرائف ص ١٣٦ عن تفسير الثعلبي، والمناقب للخوارزمي ص ٣٤.

النبي ﷺ: من فضّل أحداً من أصحابي علىٰ علي فهو كافر[١].

وروى البغوي في الصحاح: عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ يحيى بن زكريا في زهده، وإلىٰ موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب[٢].

وروى البيهقي بإسناده إلىٰ رسول الله ﷺ، قال: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في تقواه، وإلىٰ إبراهيم في خلّته، وإلىٰ موسىٰ في هيبته، وإلىٰ عيسىٰ في عبادته، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب[٣].

وروى الكليني في الكافي: عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: في علي سنّة ألف نبي[٤].

وفي ذلك دلالة علىٰ أنّه أفضل من الأنبياء حتّىٰ من أُولي العزم؛ لأنّه اجتمع فيه ما لم يجتمع في كلّ واحد منهم، يؤيّده آية المباهلة[٥]، فمن الصحابة أولىٰ، ومن رام حصر الأخبار الواردة في هذا المدّعىٰ فقد طلب محالاً.

وكيف لا؟ وقد روىٰ أخطب خوارزم، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: لو أنّ الغياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب، ما أحصوا

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٥٣ برقم: ١٠١٣ و ص ٧٧١ برقم: ١٠٤٥. في الأمالي في الموضعين: فقد كفر.

(٢) الصوارم المهرقة ص ٢٧٦، بحار الأنوار ٣٩: ٣٨، بناء المقالة ص ١٧٠.

(٣) الصوارم المهرقة ص ٢٧٦.

(٤) أُصول الكافي ١: ٢٢٢ ح ٤، بصائر الدرجات ص ١١٤، بحار الأنوار ٣٩: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران: ٦١.

فضائل علي بن أبي طالب[١].

فإن منعوا تواترها، فلا أقلّ من تواتر القدر المشترك بينها.

ومنهم: من فصّل هنا، فقال: تقديم الفاضل إن أمن معه من ثوران الفتنة فهو حسن، وإلّا فهو قبيح، محافظة على النظام.

والذي يقتضيه الأدلّة القطعية حسن تقديمه مطلقاً، مع أنّ الاعتناء بمحافظته على الشرع الشريف أبلغ، فكيف حسن منهم هذا التفصيل المذكور والحالة هذه؟ وكيف جوّزوا جهل الإمام؟ مع كونه قدوة في بعض ما يقتدىٰ به، بل في أكثره لا فيه بأسره، وإن لزمهم القول بجوازه، وسوّغوا احتمال إصراره على المنكرات في الباطن مع عموم ولايته، واشترطوا في القاضي الذي ولايته خاصّة العلم والعدالة، وجعلوا هذا العدل رعيّة لهذا الفاسق ومحكوماً عليه بحكمه، إنّ هذا لشيء تشهد العقول السليمة بنفيه.

الوجه التاسع

تغييرهم للشريعة ورفضهم إيّاها معاندة للشيعة

كما رفض الكفّار الملّة القويمة للمعاندة الشنيعة، فقد صرّح الغزالي في إحياء العلوم بأنّ تسطيح القبور هو المستحبّ، لكن عدلنا عنه إلى التسنيم لمّا صار شعاراً للشيعة[٢].

---

(١) المناقب للخطيب الخوارزمي ص ٣٢.

(٢) قال العلاّمة في نهج الحقّ وكشف الصدق ص ٤٥١: ذهبت الامامية إلىٰ أنّ السنّة تسطيح القبور، وبه قال الشافعي وأصحابه، إلاّ أنّهم قالوا: المستحبّ التسطيح ⇐

والذي يكشف عن الحكم بأنّه هو المسنون من طرقهم، ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين، من أنّ فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر به، وأنّ علياً عليه السلام قال للأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ لا تدع تمثالاً إلّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلّا سوّيته[١].

وكذا ما أورده الطبري في تاريخه من أنّ قبر النبي ﷺ كان مسطّحاً، وكذا قبر ابنه إبراهيم[٢].

وصرّح الزمخشري في الكشّاف في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[٣]: إنّه يجوز بمقتضى هذه الآية أن يصلّي على آحاد المسلمين وكذا بمقتضى قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٤] لكن لمّا اتّخذته الشيعة شعاراً منعناه[٥].

ومثله صرّح مصنّف الهداية من الحنفية في العدول من التختّم باليمين إلى

⇐ لكن لمّا صار شعار الرافضة عدلنا عنه إلى التسنيم، قاله الغزالي، وهل يحلّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيّر الشرع لأجل عمل بعض المسلمين، وهلاّ تركوا الصلاة لأنّ الرافضة يفعلونها.

(١) صحيح مسلم ٢: ٦٦٦، الطرائف ص ٥٥٢ عنه.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٩، الطرائف ص ٥٥٣ عنه.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٣.

(٤) سورة البقرة: ١٥٦.

(٥) الكشّاف ٣: ٢٧٣.

اليسار[١]، مع أنّها محلّ الأقذار.

ونقل السيّد الجليل علي بن طاووس في الطرائف عن أبي عبدالله السلامي أنّ أوّل من أبدع ذلك معاوية[٢].

وعن الثعلبي في شأن عمرو بن العاص مثل ذلك، وقد قيل في ذلك شعر:

سنّ التختّم في اليمين محمّد ... للقائلين بدعوة الإخلاص

وسعى ابن هند في إزالة رسمه ... وأعانه في ذلك ابن العاص[٣]

وكذا رفضوا المتعة عناداً لهم، فهلّا رفضوا سائر ما يعملون من العبادات، ويعتقدون من الاعتقادات عناداً لهم، كما رفضوا النصوص الناطقة بالنهي عن القياس والاستحسان عناداً لهم أيضاً، إلىٰ غير ذلك ممّا جنحوا إليه، مع اعترافهم بأنّه بدعة، كاستحبابهم إخفات البسملة، مع أنّ المعروف من الدين إنّما هو الجهر بها.

وممّن صرّح بها منهم فخرالدين الرازي، فإنّه قال في تفسيره: إنّ علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بها، وهو معلوم بالضرورة من دينه، فلمّا وصلت الدولة إلىٰ بني اُمية بالغوا في المنع من الجهر بها، سعياً في إبطال آثار علي عليه السلام، ومن اقتدىٰ بعلي في دينه فقد اهتدىٰ؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: اللّهمّ أدر الحقّ مع علي حيث ما دار[٤]. إنتهىٰ كلامه.

---

(١) راجع: الطرائف ص ٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٢) الطرائف ص ٥٣٢ عنه.

(٣) الطرائف ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ عنه.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

وقد روىٰ شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي في مصباحه: عن أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّ ذلك من علامات المؤمن، وكذا التختّم باليمين، وتعفير الجبين، وزيارة الأربعين، وصلاة الإحدىٰ وخمسين [١].

والمراد على النهج الذي رتّبه فقهاء أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ فقهاء العامّة لا يعرفون ذلك الترتيب.

وقد سمّوا الطلاق يميناً، وأقدموا على الجماعة في التراويح، وعلى التثويب في أذان الصبح، تبعاً لرئيسهم الذي أبدع ذلك، وهو خليفتهم الثاني.

وممّن روىٰ أنّه أبدعه الحميدي في الجمع بين الصحيحين [٢].

وروىٰ أيضاً أنّه زاد فيه في مسند عبدالله بن عبّاس، في الحديث الرابع من إفراد مسلم، قال: كان الطلاق علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر الثلاث واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم [٣].

وروىٰ أيضاً في مسند أبي هريرة من المتّفق علىٰ صحّته، عن عبدالرحمٰن بن عبدالباري، قال: خرجت مع عمر ليلاً في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يصلّي الرجل لنفسه، ويصلّي الرجل فيصلّي بصلاته الرهط، ثمّ قال: لو جمعت هؤلاء علىٰ رأي واحد لكان أمثل، ثمّ عزم فجمعهم علىٰ أُبي بن كعب، قال: ثمّ خرجت معه ليلة أُخرىٰ، والناس يصلّون بصلاة قارئهم، فقال: بدعة ونعمت

---

(١) مصباح المتهجّد ص ٧٨٨.

(٢) صحيح مسلم ١: ٢٨٧ و ٢٨٩، الطرائف ص ٤٧٧.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٠٩٩، مسند أحمد بن حنبل ١: ٣١٤، الطرائف ص ٤٦٣.

البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون إليها يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوّله[١].

فلينظر العاقل وينصف هل يحلّ لأحد أن يبتدع بدعة ويستحسنها؟ أم هل يسوغ لمسلم أن يوافقه علىٰ ما أبدعه؟ مع تصريحه بأنّه بدعة، كما اقتدي به في ذلك وأمثاله من اعتقد إمامته من المخالفين، واستمرّت هذه البدع منهم إلىٰ يومنا هذا، ولو ردّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم، كذكر الخلفاء في خطبهم.

مع أنّه حكىٰ من علمائنا العلّامة في منهاج الكرامة الإجماع علىٰ أنّ ذلك لم يكن في زمن النبيﷺ، ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين، ولا في زمن بني أُمية، ولا في زمن صدور ولاية العبّاسيين، بل هو شيء أحدثه المنصور لمّا وقع بينه وبين العلويين خلاف، فقال: والله لأرغمنّ أنفي وأُنوفهم، ولأرفعنّ عليهم بني تيم وعدي، فذكر الصحابة في خطبته، واستمرّت هذه البدعة إلىٰ هذا الزمان، كسائر بدعهم المتقدّمة، ولم يحذروا من عاقبة إقدامهم عليها.

مع ما رووه ومنهم الحميدي في صحيحه من قول النبيﷺ: كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة مصيرها إلى النار[٢].

وروى الحميدي أيضاً في صحيحه، أنّ النبيﷺ: قال من أحدث في ديننا ليس

---

(١) موطّأ مالك ١: ١٠٤ ـ ١٠٥، صحيح البخاري ٢: ٢٥٢، الطرائف ص ٤٥٥.

(٢) الطرائف ص ٤٥٥ عنه، ورواه مسلم في صحيحه ٢: ٥٩٢ في كتاب الجمعة، باسناده عن جابر بن عبدالله، عن رسول اللهﷺ، إلىٰ أن قال: وشرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة.

منه فهو ردّ[١] .

وفي التنزيل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢] وفي موضع آخر منه: ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣] وفي آخر: ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤] وذلك دليل قاطع وبرهان ساطع علىٰ أنّهم كرهوا ما أنزل الله، ولم يعتبروا فيما اتّخذوه ديناً متابعة الكتاب والسنّة، ولم يتحرّوا كونه مثمر للنجاة في الدار الآخرة، جرياً علىٰ ما انتحله الكفرة الفجرة .

الوجه العاشر

مكابرتهم في الضروريات ومعاندتهم في الأوّليات

ودخولهم تحت فرق السوفسطائية، وارتكابهم الأحكام التي لا يرتضيها لنفسه ذو عقل وروية، فإنّ الحنبلية والظاهرية جوّزوا ما تشهد بعدمه الضرورة، كالقول بجسمية الله تعالىٰ، وبأنّه خلق آدم علىٰ صورته، وبجواز رؤيته لله حيث قالوا: إنّه يجلس على العرش، ويفضل عنه من كلّ جانب ستّة أشبار بشبره[٥] .

ولم يتفطّنوا إلىٰ أنّ المكان من آيات الحدوث، ولا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٦] وقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[٧] للأبد .

---

(١) الطرائف ص ٤٥٦ عنه، ورواه مسلم في صحيحه ٣: ١٣٤٣ و ١٣٤٤ .

(٢) سورة المائدة: ٤٤ .

(٣) سورة المائدة: ٤٧ .

(٤) سورة المائدة: ٤٥ .

(٥) راجع: الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٤٥ .

(٦) سورة الأنعام: ١٠٣ .

ولقد تمادىٰ أكثرهم، فقالوا: إنّه تعالىٰ تجوز عليه المصافحة، وإنّ المخلصين من المؤمنين يعانقونه في الدنيا.

وحكى الكعبي عن بعضهم أنّه كان يجوّز رؤيته في الدنيا، وأن يزورهم ويزورونه.

وحكي عن داود الظاهري أنّه قال: إعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني عمّا وراء ذلك، وقال: إنّ معبوده جسم ذو لحم ودم وجوارح وأعضاء.

وحكي أنّه قال: إنّه أجوف من أعلاه إلىٰ صدره، مصمت ما سوىٰ ذلك، وله شعر قطط.

وذهب بعضهم إلىٰ أنّه ينزل كلّ ليلة جمعة إلىٰ سماء الدنيا، ويشتغل بالنداء: هل من تائب؟ هل من مستغفر فأتوب عليه وأغفر له؟ وإنّه بكىٰ علىٰ طوفان نوح حتّىٰ رمدت عيناه فعادته الملائكة، رواه محمّد بن عمر الرازي في كتابه نهاية العقول[٨].

وأورد في كتاب تأسيس التقديس: إنّهم يروون أنّه ينزل كلّ ليلة جمعة علىٰ كثيب من كافور[٩].

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين من المتّفق عليه، عن أبي هريرة: أنّ ابن آدم يقول: يا ربّ لا تجعلني أشقىٰ خلقك، فضحك الله منه، ثمّ أذن له في

---

(٧) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٨) الطرائف ص ٣٤٩، نهج الحقّ للعلاّمة ص ٥٥.

(٩) الطرائف ص ٣٤٩ عنه.

دخول الجنّة[١].

ونحو ذلك ممّا لا يجوز أن يضاف إلىٰ عاقل، فكيف إلى الله سبحانه وتعالىٰ عمّا يصفون.

مثل ما رواه أيضاً عن أبي سعيد الخدري، أنّ النبي ﷺ قال: إنّ الله يأتي من يعبده من برّ أو فاجر في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنظرون تتبع كلّ أُمّة ما كان تعبد؟ قالوا: يا ربّنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً. مرّتين أو ثلاثاً الحديث[٢].

وهو مع اقتضائه ما تقدّم في كلامهم من جسميته تعالىٰ، يقتضي أيضاً الإنكار عليه يوم القيامة والتعوّذ منه، وما هذا إلّا إلحاد وكفر.

وروىٰ سليمان بن مقاتل في كتاب الأسماء في حديث رفعه وأسنده، قال: قيل: يا رسول الله ممّ ربّنا؟ قال: من ماء رواء لا من أرض ولا سماء، خلق خيلاً فأجراها، فعرقت، فخلق نفسه من عرقها[٣].

وهو يقتضي وصفه بوصف شنيع تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً[٤].

---

(١) الطرائف ص ٣٥١ عنه.

(٢) الطرائف ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ عن الجمع بين الصحيحين، ورواه مسلم في صحيحه ١: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) الطرائف ص ٣٥٣ عن كتاب الأسماء لابن مقاتل.

(٤) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة مريم: ٩٠

والعجب أنّهم يقولون في أوّل الحديث: إنّ الله خلق خيلاً، ثمّ يقولون في آخره: إنّه خلق نفسه من عرقها. ليت شعري من خلق الخيل التي أجراها، فإن كان موجوداً قبل خلق الخيل، فأيّ شيء خلق من عرقها؟ وإن كان غير موجود، فكيف يصحّ في العقول أن يخلق المعدوم خيلاً أو شيئاً؟.

والصوفية[١] جوّزوا اتّحاده وحلوله في أبدان العارفين، كما قال العلّامة ـ

---

(١) جاء في هامش نسخة «ق»: أقول وأنا المقرّ بالتقصير في كلّ باب عبدالرشيد بن نورالدين الشوشتري عفى الله عنهما عمّا لا يرضىٰ لعباده من المؤمنين وبالله التوفيق: إن وجّه أحد من المتعصّبين كلام هؤلاء الأجلّاء من الفرقة الناجية والطائفة المحقّة في ما أورده في ذمّ الصوفية وفيما نسبوا إليهم من المذاهب المذمومة الواهية السخيفة بأنّ مرادهم من «الصوفية» هم الذين نسبوا إليهم هذه المذاهب السخيفة والمزخرفات الواهية الشبيهة بمقالات السوفسطائية لا مطلق الصوفية وأهل العرفان.

وليس فيه دليل علىٰ ذمّ كلّ الصوفية وفساد عقيدتهم كلّهم، وأنّهم علىٰ خلاف ما عليه الطائفة المحقّة والفرقة الناجية الاثناعشرية اعتقاداً وأعمالاً، وفي غاية الظهور أنّه يوجد في كلّ طائفة فرقة ما ينسب إليها من الفسق والفجور من العقائد الفاسدة، وهذا لا يوجب القدح في كلّ من كان من أهل تلك الطائفة والفرقة.

قلت: نحن نعلم علماً قطعياً عادياً بأنّ أمثال هؤلاء الأجلّاء من مشاهير العلماء المتديّنين إذا صنّفوا كتاباً، وألّفوا ما كان للمتعلّمين مرجعاً ومآباً، إنّما ألّفوه لإرشاد المسترشدين، واهتداء المهتدين على الدين المبين، فلو كان مرادهم قدّس الله أرواحهم بعض الصوفية دون بعض، لوجب عليهم أن يقولوا من الصوفية من ذهب إلىٰ كذا وكذا من المذاهب الباطلة، ومنهم من عمل تلك الأفعال الشنيعة القبيحة، لا

⇐

⇐ القول بأنّ الصوفية ذهبوا إلىٰ كذا وكذا.

وهل في هذا القول سوىٰ إضلال من نظر إلىٰ تأليفاتهم من المتعلّمين فضلاً عن أن يكون إرشاداً للمسترشدين، وكان إغراءً بالقبيح، وتحريصاً للمكلّفين الاثنىعشريين بأن يعتقدوا فساد عقيدة الصوفية كلّهم أجمعين، والحال كان منهم من هو على الحقّ وعلىٰ منهج أئمّتنا الهادين المهديين صلوات الله عليهم أجمعين.

علىٰ أنّه قد تقرّر عند أهل اللسان في علم المعاني والبيان أنّ المعرّف باللام حيث لا قرينة على العهد الذهني والخارجي أُريد به الجنس والحقيقة في ضمن أيّ فرد كان إلّا إذا دلّت قرينة علىٰ إرادة الحقيقة في ضمن فرد ما، كقولهم «الرجل خير من المرأة» ولا قرينة هنا أصلاً، كما لا يخفىٰ علىٰ أُولي الألباب لا مقالية ولا حالية، بل القرينة الحالية في أمثال هذه المقامات دالّة على الاستغراق وعموم الافراد.

وقد تقرّر أيضاً في موضعه أنّ ترك الاستفصال في مقام الاحتمال يفيد عموم المقال وما ذكر من الأحوال، فقد ظهر لك أنّه متىٰ ما ذكرت الصوفية معرّفاً باللام ولم تكن قرينة على العهد كان حملها على البعض دون البعض من شنيع الأعمال والأقوال.

ويرشدك إلىٰ ما ذكرنا من إرادة العموم في تلك الكلمة وما نسب إلىٰ من سمّي بها من سوء العقيدة وشناعة الحال، ما ذكره رئيس المحدّثين ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني ـ قدّس الله روحه ـ في كتاب الكافي، الذي ألّفه لإرشاد المسترشدين من قوله: باب دخول الصوفية علىٰ أبي عبدالله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق، واكتفائه ـ قدّس الله روحه ـ بذكر رواية سفيان الثوري ومن تبعه، وما صدر عنهم من سوء الأدب بالنسبة إلىٰ إمام الزمان،

⇐

رحمه الله تعالىٰ ـ في كتاب نهج الحقّ: حتّىٰ تمادىٰ بعضهم، وقال: إنّه سبحانه نفس الوجود، وكلّ موجود فهو الله تعالىٰ[١]. إنتهىٰ.

وإنّا نقول: إنّ الذين يميلون إلىٰ طريقتهم الباطلة يتعصّبون لهم ويسمّونهم الأولياء، ولعمري أنّهم رؤساء الكفرة الفجرة، وعظماء الزنادقة والملاحدة، وكان من رؤوس هذه الطائفة الضالّة المضلّة الحسين بن منصور الحلّاج، وأبو يزيد البسطامي.

وقد نقل والدي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن الثقات الإمامية في كتابه الموسوم

⇐ واعتراضهم عليه، وإيرادهم الحجج والأدلّة علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فيما هو عليه من الدين المبين، وتمسّكهم بالآيات المتشابهات والمنسوخات، وإلزام أبي عبدالله عليه السلام إيّاهم بالآيات البينات والآثار الواضحات، ولم يهتدوا ولم يرجعوا إلى الحقّ، وإنّما رجعوا عن مجلسه مخذولين خاسرين.

وغير خفي علىٰ أُولي الألباب أنّه لو كان في زمن رئيس المحدّثين ثقة الإسلام أحد ممّن يسمّىٰ بالصوفية على الحقّ من مذهب الطائفة المحقّة الاثني عشرية لما اكتفىٰ بذكر ذلك، ولما قال باب دخول الصوفية، وإنّما قال باب دخولُ بعض الصوفية، وكان عليه أن يذكر بعد ذكر هؤلاء البعض من الصوفية بعضاً آخر منهم ممّن كان على الحقّ وعلىٰ منهج أئمّتنا عليهم الصلاة والسلام.

وكيف لا؟ ولو كان بعض منهم على الحقّ ولم يذكره واكتفى بذكر هؤلاء، لما كان كتابه إرشاداً للمسترشدين، بل كان فيه ممّا هو إضلال للمهتدين ممّن هو على الطريق المستقيم، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

(١) نهج الحق وكشف الصدق للعلاّمة الحلّي ص ٥٧.

بمطاعن المجرمية[١] في طعنهما أخباراً كثيرة.

وقد أورده العلّامة في نهج الحقّ[٢]: أنّه شاهد جماعة منهم في حضرة مولانا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوىٰ شخص واحد منهم، كان جالساً لم يصلّ، ثمّ صلّوا بعد ساعة العشاء سوىٰ ذلك الشخص، فسأل بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشخص، فقال: وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل، فلا يجعل[٣] بينه وبين الله حاجباً، والصلاة حاجب بين العبد والربّ، وهل هذا إلّا خلق الأوّلين[٤]. إنتهىٰ.

ولقد صنّف الشيخ المفيد ـ قدّس الله سرّه ـ كتاباً مبسوطاً مشتملاً على الدلائل العقلية والنقلية في ردّهم وبطلانهم وكفرهم وطغيانهم.

وأبوهاشم وأتباعه قالوا: إنّه يخالف ما عداه بصفة الإلٰهية، وإنّ ذاته مساوية لغيرها من الذوات. ويلزمهم أن تكون مشاركة لها في اللوازم، وهل هذا إلّا عين الكفر والإلحاد؛ لقضاء الضرورة بأنّها مخالفة لغيرها في نحو القدم والوجوب.

والكرامية جعلوه محلاً للحوادث، وقالوا: إنّه في جهة فوق. وذلك يستلزم وراء الحدوث والاحتياج إلىٰ تلك الجهة أن يكون جسماً أو جسمانياً، فما أشبههم باليهود والنصارىٰ الذين قد غلب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم، كما جاء في التنزيل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٥] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ

---

(١) لم أعثر علىٰ هذا الكتاب.

(٢) الكتاب المذكور ـ خ ل.

(٣) في النهج: أيجوز أن يجعل.

(٤) نهج الحقّ وكشف الصدق ص ٥٨ ـ ٥٩

(٥) سورة المائدة: ١٨.

عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام: إنّ من شبّه الله تعالىٰ بخلقه فهو مشرك، ومن نسب إليه ما نهىٰ عنه فهو كافر[٢].

ونقل السيّد الجليل علي بن طاووس في الطرائف عن جماعة من الحنفية القول بثبوت الجواهر والأعراض في العدم، وقال: إنّه يقتضي موافقتهم للفلاسفة في قدم العالم؛ لأنّ الثبوت يرادف الوجود ضرورة، وللمجبرة أيضاً في أنّ أفعالنا وحركاتنا وسكناتنا ليست منّا، بل رجحانهم على الفريقين في سوء الاعتقاد؛ لأنّ الفلاسفة قالوا بأنّ الهيولىٰ مشاركة لله تعالىٰ في القدم، وأنّه سبحانه يصوّر منها الصور، والقائل من الحنفية بثبوت الجواهر والأعراض في العدم قائلون بقدمها[٣].

وعلىٰ ما تقدّم من عدم الفرق بين الثبوت والوجود يلزمهم أن لا يكون شيء منهما أثراً لله تعالىٰ، وهو يقتضي انتفاء مؤثّريته في العالم.

وأمّا المجبّرة، فقالوا: بأنّ العباد مقهورون، ومثبتوا الجواهر والأعراض في العدم إنّ سموّ الحركات والسكنات التي تقع منها شيئاً، كما هو معلوم بالوجدان، يلزمهم بناءً علىٰ ما زعموه من أنّها ثابتة في العدم قديمة أن لا تكون من الله تعالىٰ ولا منّا، وإن لم يسمّوها شيئاً يلزمهم أيضاً أن لا تكون الأفعال مخلوقة لله تعالىٰ

---

(١) سورة التوبة: ٣٠.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١١٤ ح ١

(٣) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٥٧، المطبوع بتحقيقي سنة (١٣٩٩) هـ.

ولا للعبد.

والأشعرية جعلوه سبحانه مفتقراً في كونه عالماً وقادراً وحيّاً وغير ذلك إلىٰ معنى هو العلم والقدرة والحياة، ونحوها من الصفات، فجعلوه ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره، حتّىٰ كفّرهم شيخهم فخرالدين الرازي وقال: إنّ النصارىٰ كفروا بقولهم إنّ القدماء ثلاثة، والأشعرية أثبتوا قدماء تسعة.

والذي يدلّ علىٰ لزوم كفرهم في ذلك من السمع، ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الحسين بن خالد، قال: سمعته يقول: لم يزل الله تعالىٰ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً، فقلت له: يابن رسول الله إنّ قوماً يقولون: لم يزل الله عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به، فقد اتّخذ مع الله آلهة أُخرىٰ، وليس من ولايتنا علىٰ شيء، ثمّ قال عليه السلام: لم يزل الله عليماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً لذاته، تعالى الله عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً[١].

وكذا جوّزوا رؤيته بالبصر مع تجرّده عن الجهات والأمكنة، وقالوا بإدراك المعدومات، وبالإدراك مع عدم شرائطه من سلامة الحاسّة والمقابلة أو حكمها، وعدم الشفّافية، وعدم الحجاب، وعدم القرب والبُعد المفرطين، وتعمل الرأي للإدراك، ووقوع الضوء عليه.

وبعدم وجوب الادراك مع تحقّق شرائطه، وبعدم بقاء العرض، بل ولا الجوهر آنين، وبقصر حسن الأشياء وقبحها، ووجوب معرفة الله وعدله وحكمته علىٰ السمع، وبجواز تكليفه بما لا يطاق، وباستناد العبث، وإرادة ما نهىٰ عنه، وكراهة ما

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٩ ح ١٠.

أراده والكفر والمعاصي والقبائح بأسرها إليه تعالىٰ، وبعدم الرضا بما قضاه وقدّره من المعاصي، وبأنّ أفعاله وقعت لا لغرض وحكمة.

وهو يقتضي القول بأشياء منكرة، كالقول بكذب مدّعي النبوّة إذا قال: إنّ الله تعالىٰ خلق المعجز علىٰ يدي لأجل تصديقي، وهو مستلزم لإبطال الثواب والعقاب، وتكذيب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والتسوية بينهم وبين مسيلمة اللعين في ادّعاء الرسالة كذباً.

وحينئذ فتبطل فائدة بعثة الأنبياء، وتنتفي مصالح التكليف بأسرها.

ولا ريب أنّ القائل بذلك من أشدّ الناس كفراً، ولهذا قد جعل مولانا الصادق عليه السلام النواصب شرّاً من اليهود والنصارىٰ[1]؛ لأنّهم إنّما أنكروا نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله دون نبوّة من تقدّمه من الأنبياء، بخلاف النواصب فإنّهم قد اتّصفوا بما يلزم منه إنكار نبوّتهم بأسرهم، كما أشرنا إليه آنفاً.

وكذا بما يلزم منه إنكار الإمامة التي هي بالنسبة إلى النبوّة لطف عامّ، وكذا بالنسبة إلى الرسالة بطريق أولىٰ؛ لأنّه لا يجوز في حكمة الإلٰهية خلوّ زمان من الأزمنة من إمام حيّ، أمّا من نبي حيّ فلا شكّ فيه؛ لاتّفاق المسلمين قاطبة علىٰ أنّ نبينا خاتم الرسل والأنبياء، والمنكر لذلك كافر بلا إمراء، ولأنّ رئاسة أئمّتنا الإثني عشر كرئاسته في كونها علىٰ كافّة البشر، ومن ثمّ لم تثبت الإمامة في العصر الواحد إلّا لواحد منهم، فتكون أعمّ لطفاً من رئاسة باقي الأنبياء والرسل الذين قد اتّفق بعثة بعضهم إلىٰ قوم مخصوصين، وجاز تعدّدهم في العصر الواحد.

ولشهادة القرآن بأنّ نبينا صلى الله عليه وآله بعث علىٰ فترة من الرسل، فيجوز خلوّ بعض

---

(١) عوالي اللئالي ٤: ١١.

الفترات بين الرسل من الرسل. أمّا خلوّها من الأنبياء والأوصياء، فلا يجوز، كما لا يجوز خلوّ زمان من الأزمنة بعد نبينا من الإمام.

والسرّ في ذلك: أنّ الرسل مبعوثون بشرائع الملّة وتجديدها ونسخ بعضها، وليس الأنبياء والأئمّة عليهم السلام كذلك؛ لأنّهم لا ينسخ بهم شريعة، ولا يجدّد بهم ملّة، وإنّما المقصود منهم أن ينبّهوا العباد ممّا أغفلوه، ويبيّنوا لهم ما جهلوه حسماً لحججهم على الله تعالىٰ.

فقد اتّضح الوجه في هذا المطلوب، وهو أنّ الإمامة لطف عامّ بالنسبة إلى النبوّة والرسالة، وإنكار اللطف العامّ شرّ من إنكار اللطف الخاصّ ضرورة، فإذا استحال منه سبحانه عدم إرسال الرسل، استحال عدم نصب الإمام المعصوم من باب مفهوم الموافقة، كتحريم التأفيف الدالّ علىٰ تحريم الضرب.

وأمّا بيان الوجه في إنكارهم لطف الإمامة، فلأنّهم لم يوجبوا نصب الإمام على الله تعالىٰ عقلاً، بل أوجبوه على الناس، المعتزلة عقلاً، والأشاعرة سمعاً.

ولهذا ذهبوا إلىٰ أنّ مسألة الإمامة فرعية، وقالوا: إنّ نصبه إنّما يكون لطفاً إذا خلا عن المفاسد كلّها، وهو ممنوع؛ لما في نصبه من إثارة الفتن، وقيام الحروب، ولأنّ الإتيان بالطاعة وترك المعصية مع عدمه أكثر ثواباً؛ لكونهما أقرب إلى الإخلاص؛ لانتفاء احتمال كونهما من خوفه، ولاحتمال كونهما لا للحسن والقبح أيضاً بل من خوفه، وذلك مفسدة، ولجواز اشتمال نصبه علىٰ مفسدة لا نعلمها، فلا يصحّ الحكم بالوجوب، وعدم العلم لا يدلّ على العدم.

قلنا: الجواب عن الأوّل: بأنّ الضرورة قاضية بأنّ إثارة الفتن علىٰ تقدير عدمه أكثر، فإنّ كلّ عاقل يجد من نفسه أنّ الناس إذا لم يكن لهم رئيس مرشد قاهر يردع الظالم عن ظلمه، وينتصف للمظلوم ممّن ظلمه، حصل اختلال نظامهم، وإذا

كان لهم من هو بهذه المثابة كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، خصوصاً إذا كان معصوماً منصوصاً عليه من الله تعالىٰ، ولهذا وجب عليه سبحانه عصمته وتعيينه بالنصّ، كما وجب أصل تعيينه.

ولا يقدح في وجوب التنصيص عليه العناد من الجمهور للمنصوص عليه، وتفويض أمرهم إلىٰ غيره؛ إذ لا يلزم من وجوب الشيء العمل به علىٰ من وجب عليه، كما لا يقدح في عدم اتّباع الكفّار للنبي ترك البعثة والحروب علىٰ أداء الواجبات، وترك المعاصي ليست مفسدة، وإلّا لامتنعت من النبي صلى الله عليه وآله.

وعن الثاني: بأنّه وارد في كلّ لطف، فلو تمّ لزم عدم وجوب الألطاف، واللازم باطل، فكذا الملزوم.

وعن الثالث: بأنّ ذلك يقتضي قبح الإمامة مطلقاً، سواء وجبت بالعقل، أو من الله تعالىٰ، وذلك باطل اتّفاقاً.

ثمّ نقول: المكلّف إمّا مطيع أو عاص، ووجه اللطف في الأوّل تقريبه إلىٰ فعل الطاعة، وأمّا الثاني فلا نسلّم أنّ ترك المعصية لا لكونها معصية قبيح، بل القبيح هو ذلك الاعتقاد، وهو كون الترك لا لكونها معصية، ووجه اللطف فيه حصول الاستعداد الشديد ليثبت التذكير والتكرير الموجب لفعل الطاعة لكونها طاعة، ولترك المعصية لكونها معصية.

وعن الرابع: بأنّ المفاسد محصورة معلومة؛ لأنّا مكلّفون باجتنابها، والتكليف بغير المعلوم قبيح، وهي منتفية عن الإمام.

فإن قالوا: إنّما نعلم المفاسد المشتملة عليها أفعالنا، أمّا التي تشتمل عليها أفعال غيرنا التي لا نقدر عليها، فلا يجب معرفتها، والإمامة عندكم ليست من فعلنا، بل من فعل الله تعالىٰ، ولهذا اشترطتم في الإمام العصمة؛ لأنّ المطّلع على السرائر

ليس إلّا هو، فلا يقدر غيره أن يميّز المعصوم من غيره حتّىٰ ينصبه إماماً، ومن ذلك يلزم أن لا يجب العلم بالمفسدة التي تشتمل عليها.

قلنا: لو كانت الإمامة مشتملة علىٰ مفسدة لما أوجبها الله تعالىٰ على المكلّفين، ولما وجب على الناس طاعة الإمام، ولنهى الله عزّوجلّ عن نصبه، والتالي باطل قطعاً، فالمقدّم مثله، ومنهم من أوجب نصبه مع الخوف وظهور الفتن لا مع الأمن لعدم الحاجة إليه، ومنهم من عكس، فإنّه ربما كان نصبه سبباً لزيادة الفتن.

والحقّ الوجوب مطلقاً؛ لعموم الأدلّة؛ إذ مع الأمن والإنصاف يجوز الخطأ، ويحتاج إلىٰ حفظ الشرع وإقامة الحدود، ومع ظهور الفتن الخطأ واقع، وحينئذ يكون المكلّف أحوج إلى اللطف، والخوارج لم يوجبوها مطلقاً، محتجّين بأنّه يجوز أن يتناصف الناس ولا يحتاجون إلى إمام، وهو تقدير لأمر لم يحصل، ولو قيل لهم: في أيّ وقت حصل التناصف بين الناس، ما أمكنتهم الإشارة إلىٰ وقت قطّ.

فإن قالوا: هذه الأُمّة معصومة؛ لقول النبي ﷺ «لا يجتمع أُمّتي علىٰ ضلالة»[١] وفي رواية «علىٰ خطأ»[٢] فلا يحتاج إلى الإمامة؛ لانتفاء المحوج إليها، وهو جواز الضلالة على الأُمّة.

قلنا أوّلاً[٣]: يجب إثبات صحّة هذا الحديث، وقولهم بتواتر معناه ممنوع.

وثانياً: نقول بموجبه؛ لأنّ الإمام موجود في كلّ عصر بينهم، وهو معصوم من

---

(١) الطرائف ص ٥٢٦، بحار الأنوار ٢: ٢٢٥ و ٥: ٢٠ و ٦٨.

(٢) بناء المقالة الفاطمية ص ٣٧٠.

(٣) في «ف»: الأوّل.

الضلالة، فامتنع اجتماعهم عليها؛ لأنّه من الأُمّة، وحينئذ فلا دلالة فيه علىٰ عصمتهم من دونه.

وثالثاً: أنّه بعد التسليم غير قادح في المدّعىٰ؛ لأنّه يكفي في عدم اجتماعهم عليها بقاء واحد على النهج، فلابدّ للباقين من رئيس قاهر.

فإن قالوا: يلزم عدم عموم الإمامة، والضرورة قاضية بعمومها، ولهذا لم يجز وجود إمامين أو أكثر في عصر واحد، مع أنّ عصمة الإمام لمّا لم تكن مؤدّية إلىٰ إلجاء الخلق إلى الصلاح، ربما أدّى التعدّد إلى المنازعة الموجبة لاختلال أمر النظام، وإلى اختلاف الفعل والتدبير المقتضي لاختلاف الخلق والتشاجر والفساد، وإلىٰ عموم المعصية لأهل الأرض، فإنّه لا يكون أحد مطيعاً لأحدهما إلّا هو عاصٍ للآخر، وإلىٰ تعطيل الحقوق والأحكام؛ لأنّ لأحد الخصمين أن يدعو إلىٰ غير ما يدعو إليه صاحبه، وليس أحدهما أولىٰ بأن يتّبع من الآخر، إلىٰ غير ذلك.

قلنا: لا يلزم ذلك؛ لأنّ هذا الفرد يجوز أن يضلّ في واقعة ويبقىٰ على النهج غيره، فلابدّ للجميع من إمام.

فإن قالوا: لو كان نصبه من الله تعالىٰ لعلمت الصحابة ذلك، ولم يعوّلوا علىٰ نصبه من عند أنفسهم، والواقع خلافه، وذلك يقتضي وجوب نصبه على الخلق.

قلنا: لا نسلّم كونهم غير عالمين بذلك، ولهذا فوّضوا أمر الخلافة إلىٰ من نصبه الله تعالىٰ خليفة عن نبيه ﷺ وهو علي عليه السلام، ولم يفوّضها أحد منهم إلىٰ من تصدّوا لنصبه إلّا المنافقين منهم، كخليفتهم الثاني الذي نصب الأوّل يوم السقيفة حال اشتغال بني‌هاشم وغيرهم من الصحابة بمصيبة النبي ﷺ خليفة عنه برضا أربعة: أبوعبيدة، وسالم مولىٰ حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وحينئذ فلا يرد على المطلوب مؤاخذة.

وبعد، فإنّ وجوب نصبه على الخلق يقتضي أنّهم إذا لم يتّفقوا لم يحصل انعقاد الإمامة، بل تجب إعادة النظر مرّة بعد اُخرىٰ، وقد لا يثمر شيء من ذلك اتّفاقهم لاختلاف الآراء غالباً، وهو يبطل تعليقها علىٰ رأي الاُمّة، وإلّا لزم تعذّر نصب الإمام، أو جواز عمل كلّ فريق برأيه، فيكون منصوب كلّ فريق إماماً عليهم خاصّة، فيلزم من تعليقها علىٰ رأيهم أن لا تكون كذلك، هذا خلف.

وقد أشار مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام إلى المطلوب بقوله: لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة: إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله تعالىٰ وبيّناته[١].

وروى المفيد في كتاب العيون والمحاسن، وكذا الطبرسي في كتاب الاحتجاج: أنّ هشام بن الحكم قال لعمرو بن عبيد وكان يرىٰ عدم وجوب نصب الإمام: إنّ الله جعل القلب إماماً لشكّ الجوارح، فلم يترك الجوارح حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح وينفي عنها ما شكّت فيه، فلا يجوز أن يترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، وقد أقسم الصادق عليه السلام بالله عندما عرضه عليه هشام أنّه لفي صحف إبراهيم عليه السلام[٢].

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام عدّة أخبار تتضمّن أنّ الأرض لو

---

(١) نهج البلاغة ص ٤٩٧ رقم الحديث: ١٤٧.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ١: ٢٨٥، ورواه المحدّث الجليل الكليني في الكافي ١: ١٦٩ ح ٣، والشيخ الصدوق في علل الشرائع ص ١٩٣، وكمال الدين ص ٢٠٧، والعلاّمة المجلسي في البحار ٢٣: ٦، وغيرهم.

بقيت بغير إمام لساخت بأهلها[١].

والسرّ في ذلك كونهم ألطافاً لا يصحّ التكليف إلّا بهم، ولا يقوم غيرهم مقامهم.

وروىٰ في الأمالي، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: مثلك ومثل الأئمّة من ولدك مثل النجوم، كلّما غاب نجم طلع نجم إلىٰ يوم القيامة[٢].

---

(١) روى الشيخ الجليل الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٧٢ باسناده عن محمّد بن الفضل، عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: تكون الأرض ولا إمام فيها؟ فقال عليه السلام: لا إذاً لساخت بأهلها.

وروىٰ أيضاً باسناده عن أحمد بن عمر، عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: لا، قلت: فإنّا نروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لا تبقىٰ إلاّ أن يسخط الله على العباد؟ فقال: لا تبقىٰ إذاً لساخت.

وروىٰ أيضاً باسناده عن سليمان بن جعفر الحميري، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: تخلو الأرض من حجّة؟ فقال عليه السلام: لوخلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت بأهلها.

(٢) رواه الشيخ الصدوق في أماليه ص ٣٤٢ برقم: ٤٠٨، باسناده، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي‌طالب عليه السلام: يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولن يؤتى المدينة إلاّ من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك سريرتي، وعلانيتك علانيتي، وأنت إمام اُمّتي وخليفتي عليها بعدي، سعد من أطاعك، وشقي من عصاك، وربح من تولاّك، وخسر من عاداك، وفاز من لزمك، وهلك من فارقك، مثلك ومثل الأئمّة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم، كلّما غاب نجم طلع نجم إلىٰ يوم القيامة. ورواه أيضاً في كمال الدين ص ٢٤١.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١] دليل علىٰ أنّه لا تخلو الأرض من هداة في كلّ عصر وزمان ووقت وأوان، وقد ورد في أخبار الفريقين أنّ الهادي في الآية إشارة إلىٰ علي عليه السلام، وكذا إلىٰ أبنائه المعصومين إلى المهدي[٢].

فإن قالوا: غيبته تمنع من كون وجوب نصبه لطفاً؛ لأنّ الغرض منه إقامة الدين، وإرشاد الضالّين، وتقويم العاصين.

قلنا: مجرّد وجوده لطف؛ لما فيه من حفظ الشرع من الزيادة والنقصان، مع أنّ العاصي إذا جوّز ظهوره في سائر الأزمنة ربما امتنع من معصيته، وإن كان تصرّفه لطفاً آخر، ومجرّد الحكم بخلقه وإيجاده في وقت ما لا يكفي في هذا المعنىٰ، لا لأنّه خوف من المعدوم ليجاب بأنّه خوف من موجود مترتّب، كما أنّ خوف الأوّل من ظهور مترقّب، بل لأنّ حفظ الشرع الشريف يفتقر إلىٰ وجوده، ولا يكفي فيه ترقّب ظهوره.

علىٰ أنّا نعارضهم بالنبي صلى الله عليه وآله، فإنّه كان في مكّة مدّة طويلة لم يظهر نبوّته في

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) رواه في الطرائف ص ٧٩، عن تفسير الثعلبي، في تفسير قوله تعالىٰ ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده علىٰ صدره، وقال: أنا المنذر وأومأ بيده إلىٰ صدر علي عليه السلام، فقال: وأنت الهادي، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي.

وروى الشيخ الثقة الكليني في أُصول الكافي ١: ١٩١ ـ ١٩٢، باسناده عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، ولكلّ زمان منّا هاد يهديهم إلىٰ ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله، ثمّ الهداة من بعده علي، ثمّ الأوصياء واحد بعد واحد.

الأرض، ولم يدعَ إليه قريش، بل كان ممنوعاً بينهم، وفي يوم الغار هل قام الدين بين الخلق؟ وهل حصل في نصبه لطف للمكلّفين؟ ومهما أجابوا به عن ذلك فهو جوابنا هنا.

فإن قالوا: كيف جاز في الحكمة الإلٰهية إخلاله تعالىٰ بلطف التصرّف؟ أم كيف جاز على الإمام وأنتم تقولون بعصمته إخلاله به؟

قلنا: الإخلال به إنّما هو من رعيته لقصدهم إيّاه بالقتل ونحوه من أنواع الضرر، ولا يجب في الحكمة أن ينزل ملائكة من السماء ينصرونه، أو يرسل معه عساكر من الجنّ ليقيم الدين بين الخلق؛ لأنّ مراده منهم الطاعة، لا علىٰ وجه الإلجاء، بل باختيارهم، ولهذا إذا صارت المعرفة ضرورية لا يقبل الإيمان حينئذ، كما في المحتضر وأشراط الساعة.

وحاصله: أنّ اللطف إنّما يجب إذا لم يناف التكليف، وقد اتّفق هنا منافاته له، وإن كانوا زاعمين أنّ العبد لا اختيار له، وأنّه لا فاعل في الوجود سوى الله سبحانه، وإليه ذهب من رؤساء علمائهم فخرالدين الرازي في الأربعين[1]، والغزالي في إحياء علوم الدين.

وإذا كان كذلك، فقد صدق عليهم ما قاله الخوارزمي في الفائق[2]: إنّ شيوخنا كفّروهم. وحكىٰ قاضي القضاة عن أبيعلي الجبائي: المجبّر كافر، ومن شكّ في كفره فهو كافر[3].

---

(١) الأربعين للرازي ص ٢٣٧، الطرائف ص ٣٣٥ عنه.

(٢) وهو غير الفائق في غريب الحديث للزمخشري.

(٣) الطرائف للسيد ابن طاووس ص ٣١٣ عن الفائق للخوارزمي.

وبه ينطق قول مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل أكان مسيرك[١] إلى الشام بقضاء الله وقدره؟ قال: ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً، وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطىٰ على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً وعبثاً، ذلك[٢] ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار[٣].

وأيضاً إليه يرشد ما أجاب به أربعة من العلماء الحجّاج بن يوسف، وقد بعث إليهم يسأل كلّ واحد منهم عمّا صحّ عنده في القضاء والقدر، فكتب إليه أحدهم: أحسن ما صحّ عندي في ذلك ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل عنه: أيدلّك على الطريق، ويسدّ عليك المضيق، إنّ ذلك بالعقل لا يليق.

وكتب إليه الآخر: أحسن ما صحّ عندي فيه، ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل عنه: أتظنّ أنّ الذي نهاك دهاك، وإنّما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك.

وكتب إليه الثالث: أحسن ما صحّ عندي فيه ما رويته عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سئل عنه، فقال: كلّما حمدت الله عليه فهو منه، وما استغفرت الله منه فهو منك.

وكتب إليه الرابع: أحسن ما صحّ عندي فيه ما رويته عن أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل عنه: لو كان الوزر محتوماً لكان الموزر في القضاء مظلوماً. فلمّا نظر إليها

---

(١) في النهج: مسيرنا.

(٢) في النهج: لعباً، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك.

(٣) نهج البلاغة ص ٤٨١ رقم الحديث: ٧٨.

قال: لقد أخذوها من عين صافية[١]. يعني: إنّها لم تختلف معنىً، وإنّما اختلف لفظاً.

وقد سأل أبو حنيفة مولانا الكاظمعليه السلام، فقال: المعصية ممّن؟ قالعليه السلام: المعصية إمّا من العبد، أو من ربّه تعالىٰ، أو منهما. فإن كانت من الله تعالىٰ، فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده الضعيف، ويأخذه بما لم يفعله. وإن كانت المعصية منهما، فهو شريكه، والقوي أولىٰ بإنصاف عبده الضعيف. وإن كانت المعصية من العبد، فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه المدح والذمّ، وهو أحقّ بالثواب والعقاب، ووجبت له الجنّة والنار. فقال أبو حنيفة: ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم[٢].

وقد نظم بعضهم هذا المعنىٰ في شعر، فقال:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذمّ بها	إحدىٰ ثلاث خلال حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها	فيسقط اللوم عنّا حين ننشيها[٣]
أو كان يشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لإلٰهي في جنايتها	ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها[٤]

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله تعالىٰ يجبر عباده على المعاصي، أو يكلّفهم ما لا يطيقون، فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا

---

(١) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٢٨.

(٣) في الطرائف: نبديها.

(٤) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٣٢٨.

شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً[١].

وإنّ يزيد[٢] بن عمير بن معاوية سأله عن معنىٰ ما روي عن الصادق عليه السلام «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» فقال عليه السلام: هو وجود السبيل إلىٰ إتيان ما اُمروا به وترك ما نهوا عنه[٣]، ومن زعم أنّ الله تعالىٰ يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّه فوّض أمر الخلق والرزق إلىٰ حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، وبالتفويض مشرك[٤].

ولمّا رأىٰ فريق منهم قبح هذه المقالة، إلتجأوا إلى القول بأنّ الله تعالىٰ يخلق الأعمال والعبد يكتسبها منه، مع أنّ ذلك لا يصلح سبباً للخروج منها، فإنّ الموجب للأعمال عندهم ليس هو الكسب بل الله تعالىٰ، ولأنّه يقال لهم: هل يقدر العبد علىٰ ترك الكسب، فإن قالوا: نعم، فقد قالوا بالاختيار وحصل الوفاق، وإن قالوا: لا، فقد ساووا المجبّرة في تصريحهم بأنّ العباد مقهورون.

علىٰ أنّ المفهوم عند العقلاء من الجبر أنّه ما طرىء على الاختيار، فإن كانوا لا فعل لهم حقيقة انتفىٰ عنهم الاختيار أصلاً ورأساً.

وكيف كان فقد صرّح المعتزلة بأنّ الأشعرية هم القدرية، وهو الظاهر، فإنّهم هم القائلون بأنّ الأشياء بتقدير الله ومشيئته، والمتبادر نسبة الشخص إلىٰ ما يثبته لا إلىٰ ما ينفيه.

•

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٢٤ ح ١٦.

(٢) في العيون: بريد، وفي هامشه والبحار: يزيد.

(٣) في النسختين: إتيان ما نهوا عنه وترك ما اُمروا به.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٢٤ ح ١٧.

وأيضاً روى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، بإسناده إلى الصادقعليه السلام، قال: إنّ علياًعليه السلام جعل الجبرية هم قدرية هذه الأُمّة ومجوسها[١].

وروى الخوارزمي في الفائق وكان من رؤساء المعتزلة: أنّ رجلاً قدم على النبيصلى الله عليه وآله، فقال له: أخبرني بأعجب شيء رأيت؟ فقال: رأيت قوماً ينكحون أُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لِمَ تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاه الله علينا وقدره، فقالعليه السلام: سيكون في أُمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم، أُولئك مجوس أُمّتي[٢].

وكذا روىٰ أنّهعليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي، ثمّ يقولون: إنّ الله قدّرها عليهم، الرادّ عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله[٣].

والأشعرية أيضاً صرّحوا بأنّ المعتزلة هم القدرية؛ لمبالغتهم في نفي القول بأنّ أفعالنا بتقدير الله ومشيئته، أو لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد.

وردّه التفتازاني في شرح المقاصد: بأنّه لو كان كذلك لكان المناسب القُدري بضمّ القاف.

ولا يخفىٰ أنّه يلزم من هذا التصريح من الفريقين شهادة كلّ فريق على الفريق الآخر بالكفر؛ لأنّ القدرية صنف من الكفّار، بدليل قول النبيصلى الله عليه وآله: القدرية مجوس هذه الأُمّة[٤].

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١٣٩ ح ٣٨، الطرائف ص ٣٢٧.

(٢) الطرائف ص ٣٤٤ عنه.

(٣) الطرائف ص ٣٤٤ عنه.

(٤) كنز العمّال ١: ١١٩ برقم: ٥٦٦ و ص ١٣٧ برقم: ٦٤٦.

وروى الصدوق في عقاب الأعمال عنه ﷺ، قال: صنفان من أُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية[١].

وفي حديث آخر صحّحه التفتازاني وغيره عنه ﷺ: لعنت القدرية علىٰ لسان سبعين نبياً[٢].

والأخبار في هذا المعنىٰ لا تحصىٰ كثرة[٣].

وبعد، فإنّ المعتزلة زعموا عجز الله سبحانه عن بعض الممكنات، كمثل مقدور العبد أو عينه، وعدم علمه بالجزئي الزماني إلّا بعد وقوعه، وقد تقدّمهم إليه من الحكماء أرسطو وابن سينا، وهو يقتضي كفر معتقده، كما أورده العلّامة في مقصد الواصلين[٤] وغيره، بل صرّح التفتازاني بأنّه لا نزاع في كفر من هذا معتقده.

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا ﷺ، عن الحسين بن بشّار، عنه ﷺ، قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف يكون؟ فقال: إنّ الله تعالىٰ هو العالم بالأشياء قبل كونها، قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥] وقال عن أهل[٦] النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

---

(١) عقاب الأعمال ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ح ٣.

(٢) كنز العمّال ١: ١١٩ برقم: ٥٦٣.

(٣) راجع كنز العمّال ١: ١١٨ ـ ١٤٠.

(٤) مقصد الواصلين في أُصول الدين للعلّامة الحلّي، ذكره في رجاله خلاصة الأقوال، ولم أعثر علىٰ هذا الكتاب.

(٥) سورة الجاثية: ٢٩.

(٦) في العيون: لأهل.

لَكَاذِبُونَ﴾[(١)][(٢)].

وأيضاً قالوا: الجنّة والنار ليستا مخلوقتان الآن، وإنّما يخلقان يوم الجزاء، وقد ورد في التنزيل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾[(٣)].

وفي الحديث: من أنكر خلق الجنّة والنار، فقد كذّب النبيﷺ وكذّبنا، وليس من ولايتنا علىٰ شيء، ويخلد في نار جهنّم، قال الله عزّوجلّ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[(٤)][(٥)].

وأيضاً أثبتوا المعاني القديمة بزعم الأشعرية أحوالاً حادثة هي علل في الصفات، ووافقوهم في وقوع المعاصي من الأنبياء والأوصياء عليهم أفضل الصلوات والتسليمات.

فقد وضح بحمد الله سبحانه أنّ مذاهب هذه الفرق الهالكة في المعقول والمنقول مخالفة لمحكم القرآن ونصّ الرسول، جارية علىٰ ما انتحله كلّ كافر جهول.

الوجه الحادي عشر

قولهم بعدم اعتبار إجماع أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وعصمهم من دنس الإنس وإهمالهم الرواية عنهم

حتّىٰ أنّه لا يكاد يوجد في كتبهم جزء من مائة جزء مروياً عنهم، بل الرواية

---

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١١٨ ح ٨.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

(٤) سورة الرحمٰن: ٤٣ ـ ٤٤.

(٥) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١١٦ ح ٣.

عنهم كالغراب الأعصم، مع اتّفاق الفريقين علىٰ فضلهم وعلمهم وزهدهم وتقاهم، وتقدّمهم علىٰ غيرهم في أنواع الفضائل.

وأين هذا الذي تخيّلوه ممّا تظافرت به الأخبار، ورواه من العامّة الترمذي، وهو قول النبي ﷺ: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض[1].

ومثله روىٰ مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيبه، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فتمسّكوا به وحثّوا فيه ورغّبوا فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي ثلاثاً[2].

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه ٥: ٦٢٢ برقم: ٣٧٨٨، باسناده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ باب فضائل علي عليه السلام، باسناده إلىٰ يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا

⇐

ومثله روى الثعلبي في تفسيره ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[(١)] وباسناده قال: قال رسول الله ﷺ: أيّها الناس إنّي تركت فيكم الثقلين خليفتين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو قال: إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض[(٢)].

وكذا روىٰ غيرهم من علمائهم قريباً من ذلك، فإن زعموا أنّ حجّية قولهم موقوفة على انضمام الكتاب إليه كما في عكسه، فهو خطأ، وإلّا لم يكن لهم مزية؛ لأنّ من عداهم بهذه المثابة، فكان قولهم وحده حجّة، وهو المطلوب.

وإن زعموا عدم تواتر هذا الحديث، كذّبناهم[(٣)] بأنّهم قد أكثروا مسانيده بعبارات شتّىٰ، ولا ريب أنّ القدر المشترك بينها وهو وجوب التمسّك بهم متواتر، علىٰ أنّه قد جاء بمعناه عدّة أحاديث، مثل ما تقدّم من قول النبي ﷺ: مثل أهل

⇐ تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ علىٰ كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي. الحديث.

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ١٢١ ـ ١٢٢ عن تفسير الثعلبي.

(٣) في الأصل: كذّبناه.

بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك[١].

وقوله: النجوم أمان أهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمّتي[٢].

وقد روىٰ محمّد بن موسى الشيرازي في تفسيره، أنّ المأمور بالسؤال منهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٣] هم أهل البيت: محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم أهل العلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، والله ما سمّي المؤمن مؤمناً إلّا كرامة لأميرالمؤمنين.

ونقل أنّ سفيان الثوري رواه عن السدّي[٤].

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، بإسناده عنه عليه السلام أنّه قال: الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، بدليل قوله عزّوجلّ ﴿قد أنزل الله عليكم ذكراً رسولاً﴾[٥] ونحن أهله، فاسألونا إن كنتم لا تعلمون[٦].

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا

---

(١) رواه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه ص ١٣٢ ـ ١٣٤، والهيتمي في الصواعق ص ٢٣٤، والخطيب في تاريخه ١٢: ٩١، وابن كثير في تفسيره ٩: ١١٥، والحاكم في مستدركه ٣: ١٥٠ و ٢: ٣٤٣، والطرائف ص ١٣٢، وإحقاق الحقّ ٩: ٢٧٠ ـ ٢٩٣.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٧١ ح ١١٤٥، ذخائر العقبىٰ ص ١٧، الطرائف ص ١٣١، العمدة لابن البطريق ص ٣٠٨ ح ٥١٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٧.

(٤) الطرائف ص ٩٣ ـ ٦٤ عن تفسير الشيرازي، وإحقاق الحقّ ٣: ٤٨٢.

(٥) سورة الطلاق: ١٠.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٩.

﴿تَفَرَّقُوا﴾[١] عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: نحن حبل الله الذي أمر بالاعتصام به، ونهىٰ عن التفرّق عنه[٢].

والأحاديث في هذا المعنىٰ أكثر من أن تحصىٰ. وفي الحديث الأوّل تصريح بأنّ العترة هم أهل البيت عليهم السلام، ولا ريب أنّ العترة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وفي اختصاصهم بالدعاء إلى المباهلة ما يشعر بأنّهم هم المقصودون والمعنيون، وغيرهم محذوف عن درجة الاعتبار، بل كأنّه لا غير هناك.

وكذا قوله عليه السلام «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم»[٣] وقوله لعلي عليه السلام «من آذىٰ شعرة منك فقد آذاني»[٤] وقوله لفاطمة عليها السلام «يؤذيني ما يؤذيها»[٥].

وغير ذلك ممّا هو كثير دالّ على العصمة، وإلّا كان إغراءً بالجهل ولأهل بيته بالظلم، فإنّ من يجوّز عليه الخطأ كيف يجوّز للنبي صلى الله عليه وآله أن يجعل مطلق إيذائه إيذاءً له، فقد يكون الإيذاء له بحقّ علىٰ ذلك التقدير، وقد تكون محاربته حقّاً، فلا يجوز في حكمة النبي صلى الله عليه وآله أن يطلق مثل هذا القول إلّا وقد علم أنّ الله قد لطف بهم لطفاً لا يقارفون معه ذنباً ولا يرتكبون قبيحاً.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢٨٦ عن الثعلبي، والعمدة ص ٣٠٣.

(٣) راجع: إحقاق الحقّ ٦: ٤٤٠ ـ ٤٤١ و ٩: ١٦١ ـ ١٧٤ و ١٨: ٤١١ ـ ٤١٣.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ ٦: ٣٩١ ـ ٣٩٢ و ١٦: ٥٩٦ و ٢١: ٥٤١.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣، شرح نهج البلاغة ٤: ٦٤ و ٩: ١٩٣، الطرائف ص ٢٦٢، العمدة: ص ٣٨٥.

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن علي بن إبراهيم، أنّ الصادق عليه السلام قال: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: الأئمّة بأجمعهم هم المعنيون[١] بالعترة، لكنّهم يرومون إبعاد الناس عن الانقياد إليهم، وامتثال أقوالهم، والاعتناء بما أجمعوا عليه، وألسنتهم ينطق برواية خلافه؛ لأنّ الله تعالىٰ يأبىٰ إلّا أن يعلىٰ كلمته، ويتمّ نوره، وينصر حجّته، وهكذا وعد فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣] يعني بالذين آمنوا الأئمّة الهداة وأتباعهم العارفين بهم، والآخذين عنهم ينصرهم بالحجّة علىٰ مخالفيهم.

ومن العجيب إيثار مخالفيهم الرواية عن رؤسائهم علىٰ الرواية عنهم، مع اشتهار النقل والنقلة عنهم علىٰ حدٍّ يزيد أضعافاً كثيرة على النقلة عن كلّ واحد من رؤسائهم.

فقد أورد العلماء في كتب الرجال أنّ مولانا الصادق عليه السلام كتب من أجوبة مسائله أربعمائة مصنّف لأربعمائة مصنّف، ودوّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من العراق والحجاز والشام وخراسان، وكذا عن مولانا الباقر عليه السلام، ورجال باقي الأئمّة معروفون مشهورون أُولوا مصنّفات مشتهرة[٤]، ومباحث متكثّرة، وقد ذكر

---

(١) بحار الأنوار ٥: ٢٨١ و ٣٢٩ و ٢٣: ٣٣٤، شواهد التنزيل: ١: ٢٧٢.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة غافر: ٥١.

(٤) راجع: معالم العلماء لابن شهرآشوب ص ٣.

كثير منهم العامّة في رجالهم، ونسبوا إلى التمسّك بأهل البيت عليهم السلام[١].

فالإنصاف يقتضي الجزم بنسبة ما نقل عنهم إليهم، وعدالتهم الثابتة بالاتّفاق يقتضي حجّية إجماعهم.

وكيف جعلوا إجماع الصحابة، بل إجماع أهل المدينة، بل مذهب الصحابي الذي ليس بمعصوم، حجّة؟ ولم يجعلوا إجماعهم حجّة، مع دلالة العقل علىٰ عصمتهم، فإنّ الإمام إذا لم يكن معصوماً لزم الدور أو التسلسل، وإفحامه وسقوط منزلته، فلا يحصل الانقياد إليه ووجوب متابعته وضدّها والانكار عليه وانحطاط درجته عن أقلّ العوام؛ لأنّه قد راعى الله مصلحتهم بنصب إمام أرشدهم دونه، وعدم الوثوق بقوله، فينتفي الغرض من نصبه، والوثوق بتواتر المخبرين عن النبي ينفي كون الإمام هو الحافظ لاقتضائه كون الحافظ هو المجموع لا الإمام وحده، هذا خلف.

ولا يرد أنّه لا يلزم من جواز المعصية وقوعها؛ لأنّه يقال: غير المعصوم لا ينفكّ منها وإن تفاوت الناس في ذلك، علىٰ أنّ مجرّد تجويز ذلك عليه مفوّت للغرض

---

(١) روىٰ مسلم في صحيحه ١: ٢٠ باسناده عن الجرّاح بن مليح، قال: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر، عن النبي صلى الله عليه وآله كلّها.

وروىٰ باسناده عن زهير قال: قال جابر أو سمعت جابراً يقول: إنّ عندي لخمسين ألف حديث، ما حدّثت منها بشيء، قال: ثمّ حدّث يوماً بحديث، فقال: هذا من الخمسين ألفاً.

أقول: جابر الجعفي كان من أجلاّء الرواة وثقاتهم، ومخالفونا يطرحون أحاديثه لقوله بالرجعة، وهي رجوع الأمر إلىٰ أئمّتنا في آخر الزمان.

من نصبه، فإنّ القائل بعدم العصمة قائل بجواز خطائه، وهذا الجواز لا يخصّ بوقت دون آخر، فيلزم أن لا يجب نصبه في الجملة، وهو باطل إجماعاً.

فقد اتّضح من ذلك أنّه لا تكفي العدالة كما في المجتهد، والنقل دالّ علىٰ ذلك أيضاً، كآية التطهير، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

لقضاء الضرورة بأنّ المراد الارادة التي يتبعها إذهابه؛ إذ الارادة المحضة ينفيها الحصر المستفاد من «إنّما» لوجودها منه تعالىٰ لكافّة الناس؛ إذ لا يرضىٰ لعباده الكفر، ولا يريد منهم إلّا الطاعات، ولذلك خلقهم، وكالحديث المتقدّم الشاهد بعدم ضلالة من تمسّك بهم، وبملازمتهم الكتاب العزيز، لا يفارقونه إلىٰ حين ورود حوضه.

وأيضاً فمزيد معرفتهم بالأحكام لاستفادتها من الوحي، وهم مهبطه، وشدّة ملازمتهم للنبي ﷺ، وكثرة معاشرتهم له، قاضٍ باطّلاعهم علىٰ أفعاله كاطّلاعه علىٰ أفعالهم، وعظيم حرصه علىٰ تكميلهم بالمعارف والعلوم، كما يومىء إليه قول أميرالمؤمنين عليه السلام: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، فانفتح من كلّ باب ألف باب[2]. مبعد لهم عن الخطأ.

فكيف لا يكون إجماعهم حجّة؟ وأيّ أذىً أشدّ من الإلتزام بعدم حجّية إجماعهم؟ وأيّ رزية في الإسلام أعظم من تجويز تخطئتهم؟ وقد حكموا بانعقاد الإجماع بدون موافقة شيعتهم وسمّوهم رفضة، وعدّوهم من أهل البدع، بل من

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) أُصول الكافي ١: ٢٣٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦، الطرائف ص ١٣٦.

الذين هم أسوأ حالاً منهم؛ لزعمهم أنّهم رفضوا الحقّ، وأنّ قولهم خارج عن مقالة المسلمين، ولهذا تجدهم يقولون في كثير من تقريراتهم وتحريراتهم كمتن طوالع الأنوار وغيره: وخالفت الشيعة إجماع المسلمين. وفيه إشارة إلىٰ حكمهم بتكفيرهم.

فما أشبههم بالأباضية من الخوارج القائلين بتكفير من خالفهم من أهل القبلة، وقد اتّفقت كلمتهم علىٰ ذمّهم؛ لطعنهم علىٰ جماعة من الصحابة شهدوا عليهم بالكفر، كما تقدّم بيانه، وعلىٰ عدم قبول روايتهم مع اعتمادهم في صحاحهم علىٰ من رووا الطعن فيه، كعائشة التي ارتدّت عن الدين بحربها لعلي عليه السلام يوم الجمل، وأبي هريرة المشهور بالأكاذيب في الدين، والوليد بن عتبة المتظاهر بشرب الخمر والفسوق، وأنس بن مالك منكر شهادة يوم الغدير ونحوهم، بل قبولهم شهادة المبتدع إذا لم تكن بدعته مكفّرة له، مع أنّ الرواية أوسع، ضرورة أنّه قد احتيط في الشهادة ما لم يحتط في الرواية بمثله.

علىٰ أنّ ما ذكروه لا يصلح أن يكون منشأ لذلك، فإنّ من تتبّع كتب السير والتواريخ يجد ذمّهم أيضاً جماعة من الصحابة، بل ذمّ الصحابة بعضهم بعضاً، بل ذمّ أرباب مذاهبهم الأربعة كثيراً من أعيان الصحابة، بل جماعة من الأنبياء، فكان يجب بناءً علىٰ ما ذكروه ترك العمل بأخبار الكلّ.

وكذا لا يصلح أن يكون منشأه عدم مداومتهم على الجمعة والجماعة؛ لأنّهم قد رووا عن رئيسهم مالك أنّه كان في آخر عمره تاركاً لها، رواه القاضي أبوالعبّاس أحمد بن محمّد الجرجاني في كتاب مختصر المعارف[1]، والغزالي في إحياء

---

(١) ذكره السيّد ابن طاووس في الطرائف ص ١٨٨، قال: فمن ذلك ما رواه القاضي

العلوم في كتاب العزلة منه وكتاب الحلال والحرام[١].

وروىٰ أيضاً في كتاب الحلال والحرام أنّ أحمد بن حنبل قيل له: ما حجّتك في ترك الخروج إلى الصلاة؟ فقال: حجّتي الحسن البصري، وإبراهيم التيمي[٢].

فهلّا كان للشيعة أيضاً أُسوة عند الحنابلة إذا اقتدوا في ذلك برئيسهم المذكور، فكان ذلك لا يوجب طرح أخبارهم كما اعتقدوه.

وكذا لا يصلح أن يكون منشأه انفرادهم بمذاهب عن الباقين؛ إذ ما من أحد من فقهاء الأمصار إلّا وهو ذاهب إلىٰ مذاهب تفرّد بها، ومخالفوه كلّهم علىٰ خلافها.

فكيف جازت الشناعة على الشيعة بالمذاهب التي انفردوا بها؟ وما الفرق بين ما انفردت به الشيعة من المذاهب التي لا موافق لهم فيها وبين ما انفرد به أبو حنيفة والشافعي؟

⇐ أبوالعبّاس أحمد بن محمّد الجرجاني في كتاب مختصر المعارف، ونقلت روايته لذلك من نسخة عتيقة صحيحة، تاريخ كتابتها في جمادي الأُولىٰ سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، قال في أواخرها عند ذكر آخر التابعين، ما هذا لفظه: مالك بن أنس بن أبي‌عامر من حمير، وعداده من بني تيم بن مرّة من قريش، قال الواقدي: كان مالك يأتي المسجد ويشهد صلاة الجمعة والجنائز، ويعود المرضىٰ، ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثمّ ترك الجلوس في المسجد، وكان يصلّي ثمّ ينصرف إلىٰ منزله، ثمّ ترك ذلك كلّه فلم يكن يصلّي الصلاة في المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحداً يعزّيه ولا يقضي له حقاً، واحتمل الناس له ذلك حتّىٰ مات عليه، وكان ربما كلّم في ذلك، فيقول: ليس كلّ أحد يقدر أن يتكلّم بعذره.

(١) راجع: إحياء علوم الدين ٢: ٢٢٢، والطرائف ص ١٨٩.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٢: ١٥٢، الطرائف ص ١٨٩.

فإن قالوا: الفرق بين الأمرين أنّ كلّ مذهب تفرّد به أبو حنيفة، فله موافق فيه من فقهاء أهل الكوفة، أو من السلف، وليس كذلك الشيعة .

قلنا: ليس كلّ مذهب تفرّد به أحد الرجلين نعلم أنّ أهل الكوفة أو أهل الحجاز أو السلف قائلون به، وإن ادّعىٰ صحّته لكثرة الذاهبين إليه، فالشيعة أحقّ بالاتّباع فيما انفردوا به؛ لأنّهم ألزم للأدب مع الله عزّوجلّ وأنبيائه ورسله وأوليائه، وأكثر تنزّهاً عن الشبهات، وأشدّ ملازمة علىٰ ملازمة التقوىٰ والعبادات .

حتّىٰ أنّ جماعة منهم كانت بطون أكفّهم قد صارت كقمعات البعير لكثرة صلاتهم، وكانوا يعرفون بالمتّقين، ومنهم من كانت مثل ركبة البعير، كعلي بن مهزيار، وأمثال هؤلاء، وأقرب إلى الاحتياط في كثير من الأحكام، كما هو معلوم بالاستقراء، وأعرف بالشريعة؛ لأنّ خواصّ كلّ نبي لم يزالوا أعرف بشريعته وأقرب إلى الحقّ من أكثر اُمّته؛ لأنّهم أخذوا مذاهبهم عن معدن العصمة .

ومع هذا فقد كانوا يصفونهم بالهداية والورع والأمانة، ولم يصدر منهم تعصّب في خلاف الحقّ، كما صدر من غيرهم، هذا .

وقد وردت النصوص النبوية[1] بأنّهم هم المعنيون بالفرقة الناجية، وهذا هو المعيار عند ذوي البصائر والأبصار، فإنّ مجرّد كثرة الذاهبين إلىٰ قول لا يصلح أن يكون دليلاً علىٰ حقّيته، وإلّا لزم أن لا يكون النبي أحقّ بالاتّباع في ابتداء بعثته، وبطلان اللازم دليل بطلان الملزوم .

ولقد أنصف العضدي وكان من أجلّاء علمائهم بما أورده في شرحه لمختصر الاُصول، بعد ذكر القياس واحتجاج الشيعة علىٰ منعه بإجماع العترة علىٰ عدم

---

(١) الطرائف ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

حجّيته، وإيراد اعتراض لمخالفيهم بمنع إجماع العترة علىٰ ذلك، من أنّ هذا المنع غير مسموع؛ لأنّهم أعلم بمذاهب أئمّتهم، ونقلهم عنهم مقبول.

وقد روىٰ من العامّة مجاهد، عن زادان، عن عليﷺ، قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]: هم أنا وشيعتي وأنّهم الناجون من هذه الأُمّة[2].

فكيف لم يلتفتوا إلىٰ خلافهم فيما انفردوا به، ولم يعتقدوا أنّهم أحقّ بالأمر، ولم يعتبروا إجماع علمائهم في إجماع العلماء، وإجماع عامّتهم في إجماع الأُمّة، بل حصروا المذاهب في أقوال أربعة ليسوا من الصحابة، ولا من الذين لقوا الصحابة، بل تجدّدوا في عصر المنصور العبّاسي، هم: النعمان بن ثابت المكنّىٰ بأبي حنيفة، ومالك، ومحمّد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، مع أنّ كثير من الناس كان أفضل منهم.

واعتقدوا صواب الكلّ مع عظيم اختلافهم؛ إذ كان مدار مذاهبهم على الرأي والقياس والاستحسان، ولذلك أقدموا علىٰ إحداثهم أقوالاً تنكرها العقول، ولم يرد بها المنقول.

وليت شعري إن كان معتقدهم أنّ الشريعة ما كانت كاملة في حياة الرسولﷺ، وإنّما تمّموها بعد وفاته، فذلك يخالف صريح قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

(١) سورة الأعراف: ١٨١.

(٢) كشف الغمّة للأربلي ١: ٣٢١، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٧٢، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٦، وغيرها.

دِينَكُمْ﴾[١] وإن اعتقدوا أنّها كانت تامّة، فما السبب في وقوع هذا الاختلاف الفاحش منهم؟

وكيف اختاروا الانتساب إليهم على الانتساب إلىٰ نبيّنا وأهل بيته الأصفياء عليهم أفضل الصلاة والثناء؟ وجعلوا مذاهبهم بأسمائهم دون إسم أحد من عترته، أو إسم أحد من صحابته، مع ما كان لهم في إيثار العكس من الشرف والقرب إلى تعظيم[٢] نبوّته وإظهار حرمته.

ومنعوا الناس قاطبة من الاجتهاد إلّا بما يوافق رأي أحد هؤلاء الذين لم يوافقوا الشيعة في تسمية مذهبهم باسم مولانا جعفر الصادقعليه السلام، وفي عدّ أنفسهم جعفرية تارة، واثناعشرية تارة أُخرىٰ.

مع أنّ المنع المذكور منهم في الحقيقة راجع إلى التقليد المذموم في عدّة مواضع من القرآن المجيد، تعليلاً[٣] بأنّه من شبهة كلّ كافر عنيد، فالويل لهم من نار الوعيد، يقول لجهنّم: ﴿هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾[٤].

وما ذلك إلّا مثل قول الظاهرية بأنّ إجماع الصحابة حجّة دون إجماع غيرهم، فكما أنّ هؤلاء عدلوا عن عموم أدلّة حجّية الإجماع، فكذا أُولئك عدلوا عن عموم قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) في «ف»: لتعظيم.

(٣) في «ف»: معلّلاً.

(٤) سورة ق: ٣٠.

﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١] وعن عموم ما تظافرت به روايات الفريقين.

وممّن رواه من العامّة الحميدي، وهو قول النبي ﷺ: من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد[٢].

وعن عموم وجوب الاجتهاد: إمّا عيناً، أو كفاية، والأصل عدم التقييد بما يوافق رأي أحد هؤلاء الذين قد كفّر بعضهم بعضاً، كما ينطق به قول الشافعي في مسنده: إنّ أباحنيفة استتيب من الكفر مرّتين، فكيف يجوز لمسلم الإصغاء إلىٰ شيء من أقوالهم الباطلة طرفة عين؟

الوجه الثاني عشر

الآيات الكريمة الدالّة على اتّحاد مفهوم الإيمان والإسلام

وهي كثيرة جدّاً، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[٤] لدلالته على انحصار الدين المعتبر في الإسلام، فلو غايره الإيمان مفهوماً لما كان ديناً مقبولاً ولا معتبراً، لكن التالي باطل إجماعاً، فالمقدّم مثله.

وكذا قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٥] فإنّه لولا اتّحاد مفهوم اللفظين المذكورين لم يستقم

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ٢٣٦، عوالي اللئالي ٤: ٦٣.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٩.

(٥) سورة الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦.

الاستثناء الموضوع للمتّصل حقيقة وللمنقطع مجازاً، وقد اعترف الزمخشري في الكشّاف بأنّ في هذه الآية دلالة على ذلك دلالة ظاهرة[١].

وكذا قوله جلّ وعلا: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٢] فإنّه لولا اتّحاد مفهوماً، بأن يكون مفهوم الإسلام أعمّ؛ إذ لا قائل بالعكس قطعاً، لكان الأنسب الامتنان على المسلمين بالإسلام؛ لما تقرّر في الأُصول أنّ الامتنان بالأعمّ أولىٰ.

وكذا قوله جلّ ذكره: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾[٣] فإنّه قد وقع الكفر مقابلاً للايمان، وذلك يقتضي الاتّحاد المذكور.

وكذا قوله عزّوجلّ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٥] فإنّه لولا الاتّحاد المذكور لكان هنا قسم آخر، لكن التالي باطل؛ لأنّ ظاهر التقسيم ينفيه، ولأنّه في معرض الامتنان، فلو كان لذكره.

ونحو ذلك قوله تبارك اسمه: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٦] إلىٰ غير

---

(١) الكشّاف للزمخشري ٤: ١٩، قال: وفيه دليل علىٰ أنّ الايمان والاسلام واحد، وأنّهما صفتا مدح.

(٢) سورة النساء: ١٤١.

(٣) سورة البقرة: ١٠٨.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) سورة التغابن: ٢.

(٦) سورة الشورىٰ: ٧.

ذلك من الآيات الدلّة على المدّعىٰ، وهي أكثر من أن تحصىٰ.

علىٰ أنّه قد ثبت أنّ الكفر ملّة واحدة، فيكون الإسلام أيضاً ملّة واحدة، ومن ثمّ نقل الإجماع على الاتّحاد المذكور، نقله من علمائنا الثقة أبوعلي الطبرسي في مجمع البيان، ومن علمائهم فخرالدين الرازي في تفسيره الكبير، وكذا غيرهما.

وإليه يلوح تعريف بعض الأجلّاء الماهرين، كنصير الملّة والدين محمّد بن الحسن الطوسي في التجريد: الكفر يعدم[١] الإيمان: إمّا مع الضدّ، أو بدونه[٢].

وصرّح في قواعد العقائد بأنّ الإسلام أعمّ من الإيمان في الحكم، مساوٍ له في الحقيقة[٣]. ووافقه علىٰ هذا الشهيد محمّد بن مكّي في الذكرىٰ[٤]، وعلىٰ ما في التجريد مصنّف تلخيص المعاني والبيان، والتفتازاني في شرحيه المطوّل ومختصره، وغيرهما.

نعم خالف في ذلك بعض الحشوية وبعض المعتزلة، متمسّكين بإثبات أحدهما ونفي الآخر في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٥] وبعطف أحدهما على الآخر في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٦] وقوله عزّوجلّ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً

---

(١) في التجريد: عدم.

(٢) تجريد الاعتقاد ص ٣٠٩.

(٣) قواعد العقائد للخواجه نصيرالدين الطوسي ص ٤٦٦.

(٤) ذكرى الشيعة ٤: ٣٨٨.

(٥) سورة الحجرات: ١٤.

(٦) سورة الأحزاب: ٣٥.

﴿وَتَسْلِيماً﴾[١] ونحو ذلك.

والجواب عن الأُولىٰ: أنّ المراد بالإسلام فيها معناه اللغوي وهو الانقياد، ولمّا حصل من المنافقين الانقياد في الظاهر حصل منهم الإسلام ظاهراً، فكان التقدير: قل لم تسلموا في الباطن، ولكن قولوا أسلمنا في الظاهر.

وأولوية تأويل هذه الآية بذلك علىٰ تأويل الآيات المتقدّمة به متحقّقة؛ إذ لا يمكن حمل الآيات الأُول على الوضع اللغوي؛ لما تقدّم من اشتمال بعضها علىٰ عدم اعتبار دين سوىٰ دين الإسلام، فلو حمل الإسلام على الوضع اللغوي، لزم أن لا يعتبر الإسلام بالعرف الشرعي، وليس كذلك إجماعاً.

ولا يمكن إرادة الوضع اللغوي، ليرد أنّه لا محذور في أن لا يعتبر الإسلام بالعرف الشرعي إذا كان المراد منها الإسلام بالوضع اللغوي؛ لثبوت نقله شرعاً، والمنقول إليه هو المتبادر قطعاً، ووقوع النزاع في وجود الحقيقة الشرعية إن كان في عدم النقل شرعاً، أو في ثبوته، وإرادة المنقول إليه لغة فهو مكابرة، وإن كان في عدّ المنقول إليه منجازاً، فذلك لا ينافي كونه حقيقة شرعية بمقتضىٰ وجود الخواصّ.

وعن الثانية والثالثة: أنّ تغاير المفهوم في الجملة كافٍ في العطف، مع أنّه قد يكون للتفسير، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٢].

إذا تقرّر هذا، فنقول: لمّا انتفى الإيمان عن كلّ من خالف الحقّ الشريف الذي أشرنا إليه، إنتفىٰ عنهم الإسلام لا محالة، بناءً علىٰ قول الأكثر، بل المجمع عليه،

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٥٧.

ولهذا ذهب إلى الحكم بكفرهم جمع كثير من الفضلاء، وجمّ غفير من العلماء.

وممّن ادّعىٰ كثرة الذاهبين إليه العلّامة في كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت في الكلام[١].

ولنصرّح بأسمائهم، ونورد عباراتهم الناطقة بذلك إيضاحاً للمرام.

فنقول: ممّن صرّح به السيّد المرتضىٰ علم الله قدّس الله روحه.

وقد أشار والدي ـ طيّب الله مضجعه ـ إلىٰ إيثار هذا القول في غير موضع من رسالته الموسومة بـ«نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت» ثمّ إنّه بعد أن نقل بدعهم وبدع رؤساء نحلتهم الموجبة لكفرهم ومروقهم من الدين، قال في آخرها: فما أحقّهم بمقالة سيّدنا الشريف المرتضى ـ رضوان الله عليه ـ وقد حكم بتكفير كلّ من خالف الحقّ الذي أشرنا إليه[٢].

وهو مذهب الشيخ الجليل محمّد بن إدريس، فإنّه قال في السرائر في باب السؤر: الكافر من خالف المؤمن[٣].

والشيخ السعيد أبو عبدالله المفيد، فإنّه قال في المقنعة: ولا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسّل مخالفاً للحقّ في الولاية، ولا يصلّي عليه، إلّا أن تدعوه ضرورة إلىٰ ذلك من جهة التقية، فيغسّله تغسيل أهل الخلاف، ولا يترك معه الجريدة، وإذا صلّىٰ عليه لعنه في صلاته، ولا يدع له فيها[٤].

---

(١) أنوار الملكوت في شرح الياقوت ص ٢٠٢.

(٢) نفحات اللاهوت للمحقّق الكركي ص ١٣٧ طبع مكتبة نينوىٰ.

(٣) السرائر ١: ٨٤.

(٤) المقنعة للشيخ المفيد ص ٨٥.

واحتجّ له الشيخ أبو جعفر الطوسي في تهذيب الأحكام الذي هو بمنزلة الشرح للكتاب المذكور، بأنّ المخالف لأهل الحقّ كافر، فيجب أن يكون حكمه حكم الكفّار إلّا فيما خرج بالدليل، وإذا كان غسل الكافر لا يجوز، فيجب أن يكون غسل المخالف أيضاً غير جائز، وأمّا الصلاة عليه، فتكون على حدّ ما كان يصلّي النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام على المنافقين[١].

وقال التقى أبو الصلاح الحلبي: لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر، أو تشبيه، أو اعتزال، أو خارجية، أو إنكار إمامة، إلّا لتقية، فإن فعل لعنه بعد الرابعة وانصرف[٢].

وقال ابن إدريس: لا تجب الصلاة إلّا على المعتقد للحقّ ومن بحكمه كابن ستّ سنين والمستضعف، محتجّاً بكفر غير المحقّ[٣]. فإذاً مراده بعدم الوجوب عدم الجواز، إطلاقاً للخاصّ على العامّ، بقرينة أنّ هذه الصلاة متىٰ جازت علىٰ من ذكر وجبت.

ومنع الشيخ في المبسوط من الصلاة على الباغي لكفره[٤]، وإن أوجبها عليه في الخلاف[٥]، محتجّاً بالعمومات. وشرط سلّار بن عبدالعزيز الديلمي في الغسل

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٣٣٥.

(٢) الكافي لأبي الصلاح الحلبي ص ١٥٧.

(٣) السرائر ١: ٣٥٦، قال: ويعضده القرآن، وهو قوله تعالىٰ ﴿ولا تصلّ علىٰ أحد منهم مات﴾ يعني الكفّار، والمخالف للحقّ كافر بلا خلاف بيننا.

(٤) المبسوط ١: ١٨٢، قال: قتيل أهل البغي لا يغسّل ولا يصلّىٰ عليه لأنّه كافر.

(٥) الخلاف ١: ٧١٤ مسألة ٥٢٤، والظاهر منه عدم الوجوب، قال: إذا قتل رجل

اعتقاد الميّت للحقّ[(١)]، ويلزمه مثل ذلك في الصلاة .

وقال علي بن الجنيد: يصلّىٰ على سائر أهل القبلة ممّن لم يخرج منها بقول أو فعل. وهو يقتضي كفر المخالفين الخارجين منها بأحد الأمرين .

وقال الشهيد في الألفية: فمن لم يعتقد ما ذكرناه ولم يأخذ كما وصفناه فلا صلاة له[(٢)]. وهو يقتضي أيضاً كفر المخالفين؛ لأنّ اعتقادهم لا يوافق ما ذكر من اعتقاد الإمامية، ولعدم أخذهم بالوصف المذكور؛ لما تقدّم من حصرهم الاجتهاد في الأربعة المذكورين، ومنع غيرهم منه إلّا بما يوافق رأي أحدهم، وهو في الحقيقة راجع إلى التقليد .

ألا ترىٰ أنّهم أهملوا اعتبار قول من خالفهم، حتّىٰ أنّهم لم يعدّونه من قبيل الخطأ المسامح به في الاجتهاد، مع ما رووا في صحاحهم أنّ من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، و«مَن» مِن أدوات العموم، ومع ما تقرّر لديهم من المنع من ما تقليد الأموات .

وأيضاً ذهبوا إلىٰ أنّ كلّ مجتهد مصيب .

وأيضاً ذهب منهم بعض معتزلة بغداد إلى المنع من التقليد في فروع الشريعة كأُصولها، وأوجبوا الاجتهاد على الأعيان، فلو جعلوا لغيرهم الاجتهاد بما يؤدّي

⇐ من أهل العدل رجلاً من أهل البغي، فإنّه لا يغسّل ولا يصلّىٰ عليه، وبه قال أبو حنيفة، وقال الشافعي: يغسّل ويصلّىٰ عليه، دليلنا علىٰ ذلك: أنّه قد ثبت أنّه كافر بأدلّة ليس هذا موضع ذكرها، ولا يصلّىٰ علىٰ كافر بلا خلاف .

(١) المراسم لسلاّر الديلمي ص ٤٥ .

(٢) الرسالة الألفية ص ١٦٢، المطبوعة في مجموعة رسائل الشهيد الأوّل .

إليه رأيه لحكموا بجوازه وصوابه إذا أدّىٰ رأيه إلىٰ خلاف آرائهم.

وقد نقل في الدروس عن الحسن بن أبي‌عقيل المنع من الصدقة علىٰ غير المؤمن ولو كانت ندباً، وإن جوّزها هو علىٰ غير الناصب[١]. ولا خلاف أنّ الزكاة الواجبة لا يجوز دفعها إلى المخالف وإن لم يكن ناصباً.

ونقل المقداد بن عبدالله السيوري في التنقيح عن أكثر علمائنا المنع في نيابة الحجّ عن المخالف عدا الأب، وعن ابن إدريس المنع مطلقاً، وعن الشهيد الجواز في غير الناصب[٢].

وحجّتهم القول بكفره، واستثناء الأب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾[٣].

ونقل العلّامة في المختلف عن أبي‌الصلاح المنع من ذبيحة جاحد النصّ. وعن ابن البرّاج المنع من ذبيحة غير أهل الحقّ. وعن ابن حمزة اشتراط أن يكون مؤمناً أو في حكمه؛ لقول أبي‌الحسن عليه السلام لزكريا بن آدم: إنّي أنهاك عن ذبيحة من كان على خلاف الذي أنت عليه وأصحابك إلّا في وقت الضرورة. وهو مذهب ابن إدريس[٤].

وعليه نزّل قول الشيخ في النهاية: ولا يتولّى الذباحة إلّا أهل الحقّ، فإن تولّاها

---

(١) الدروس ١: ٢٥٥، طبع جماعة المدرّسين.

(٢) تنقيح الرائع للفاضل المقداد ١: ٤٢٥.

(٣) سورة لقمان: ١٥.

(٤) مختلف الشيعة ٨: ٣٠٠.

غيرهم وكان ممّن لا يعرف بعداوة آل محمّد ﷺ لم يكن بأس بأكل ذبيحته[١].

وذلك لأنّه قال[٢]: إنّ مراده بـ«غيرهم» المستضعفين الذين لا منّا ولا من مخالفينا، وصحيح أنّهم غيرنا[٣].

وقد قصّر جمع من علمائنا المنع علىٰ ذبيحة الناصب، وكذا علىٰ اصطياده، وأُصول المذهب تقتضي العموم.

ونقل أيضاً في المختلف عن المفيد: إنّ المؤمن يرث أهل البدع من المعتزلة والمرجئة والخوارج والحشوية، ولا ترث هذه الفرق أحداً من أهل الإيمان، كما يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر أحداً من أهل الإسلام[٤].

والحاصل أنّ الأكثر قد ساووا بين المخالف والكافر في سائر فروع الشريعة إلّا فيما أخرجه الدليل، ومن ذلك زيادة علىٰ ما تقدّم تحريم نكاح المخالف المؤمنة كالكافر، والمنع من حفظ كتب أهل الخلاف كالتوراة والإنجيل، ووجوب الهجرة من بلد أهل الخلاف كبلد الشرك، وعدم صحّة تغسيل المخالف المؤمن كالكافر، وكون التكبيرات عليه أربعاً كالمنافق إلّا أن يريد لعنه فيكبّر الخامسة.

وعدم قضائه العبادات إلّا الزكاة، فإنّه يعيدها إذا استبصر؛ لأنّها بمنزلة الدين وقد دفعه إلىٰ غير مستحقّه، بخلاف باقي العبادات، فإنّها حقّ الله تعالىٰ وقد أسقطها عنه، ونحو ذلك كثير.

---

(١) النهاية للشيخ الطوسي ص ٥٨٢.

(٢) أي: ابن إدريس الحلّي.

(٣) السرائر ٣: ١٠٦.

(٤) مختلف الشيعة ٩: ٥٨.

وإن ضعف وجه المساواة هنا، فإنّ الكافر لا يستدرك الزكاة، وإن دفعها إلىٰ أهل نحلته، بل وإن لم يدفعها إلىٰ أحد أصلاً؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1] وقول النبي ﷺ: الإسلام يجبّ ما قبله[2].

لكن لمّا كانت أحكام الكفّار في الأصل مختلفة، فإنّ منهم من يقرّ علىٰ كفره وتؤخذ منه الجزية، ومنهم من ليس بهذه المثابة، جاز أن يكون منهم من لا تسقط عنه الزكاة إذا دفعها إلىٰ أهل ملّته؛ لأنّ الشرع لا ينكر فيه مثل هذا النوع من الاختلاف، وقد اتّفقت كلمتهم علىٰ أنّ الناصب كافر؛ لتظافر النصوص بذلك.

فمن ذلك: ما رواه الشيخ في التهذيب، عن المعلّى بن خنيس، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس[3].

وعن إسحاق بن عمّار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: مال الناصب وكلّ شيء يملكه حلال لك إلّا امرأته، فإنّ نكاح أهل الشرك جائز، وذلك أنّ رسول الله ﷺ قال: لا تسبّوا أهل الشرك، فإنّ لكلّ قوم نكاحاً، ولولا أنّا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم، ورجل منكم خير من ألف رجل منهم ومائة ألف منهم، لأمرناكم بالقتل لهم، ولكن ذلك[4] إلى الإمام[5].

وهذا الحديث فيه إيماء إلىٰ أنّ الناصب مشرك.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٨.

(٢) عوالي اللئالي ٢: ٢٢٤.

(٣) تهذيب الأحكام ٤: ١٢٢ ـ ١٢٣ برقم: ٣٥٠ و ٣٥١.

(٤) في النسختين: ذلك الأمر.

(٥) تهذيب الأحكام ٦: ٣٨٧ برقم: ١١٥٤.

ويزيده بياناً ما رواه علي بن إسماعيل الميثمي، عن ربعي، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل رجل محظور عظيم البطن، فجلس معه علىٰ سريره، فحيّا ورحّب به، فلمّا قام قال: هذا من الخوارج فما هو؟ قلت: مشرك، فقال مشرك والله إي والله مشرك[١].

قلت: السرّ في تسمية مثله مشركاً كونه أضاف ما أنكره من الدين إلىٰ غير الله عزّوجلّ، وهذا هو الشرك بعينه.

وإليه يرشد قول الجوهري وغيره من أئمّة اللغة: الشرك هو الكفر بالله سبحانه[٢].

وقد تقدّم في الوجه السادس أنّ أغلبهم نصبة، وليس صلاتهم إلى القبلة، ولا إظهارهم كلمتي الشهادة موجبين لإسلامهم أصلاً؛ لوقوعهما ممّن يحذو حذوهم في إنكار ما علم كونه من الدين ضرورة.

نعم إنّما يوجبانه مع التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله مع الإقرار باللسان، والضرورة قاضية بوقوع خلافه منهم كما أوضحناه، وقوله عليه السلام: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّىٰ يقولوا لا إلٰه إلّا الله، محمّد رسول الله، فإذا قالوا ذلك حقنوا دماءهم[٣]. منزل علىٰ ما إذا لم يحصل منهم إنكار شيء من ضرورياته، بدليل أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يقبلهما من مشرك إلّا مع الإقرار بحكم الكتاب والسنّة واعتقاد ما فيه.

وكذا ما ورد من كون الميزان الذي يوضعان فيه لا يخف، منزل علىٰ ما إذا كانتا

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٣٨٧ ح ١٤.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٥٩٣.

(٣) عوالي اللئالي ١: ١٥٣.

مقبولتين، أي: مخلصاً بهما بشرائطهما.

ويؤيّده ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، عن إسحاق بن راهويه، عنه عليه السلام، قال: من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة، ثمّ سكت قليلاً وقال: بشروطها، وأنا من شروطها(١).

يريد عليه السلام بذلك الإقرار له بأنّه إمام من قبل الله عزّوجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم.

وعن أبي الحسين بن أحمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: سمعته عليه السلام يقول: لا إله إلّا الله اسمي، من قاله مخلصاً من قبله دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي(٢). يريد بالإخلاص أنّه يحجزه هذا القول عمّا حرّم الله عزّوجلّ.

وروىٰ في الأمالي، عن علي بن بلال، عن الرضاعليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله عزّوجلّ: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن ناري(٣).

وروىٰ ابن المغازلي الشافعي في مناقبه، عن ابن عبّاس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي عليه السلام غضبان، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما أغضبك؟ فقال: آذوني فيك بنو عمّك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً: فقال: أيّها الناس من آذىٰ علياً فقد آذاني، إنّ علياً أوّلكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله، أيّها الناس من آذىٰ علياً بعث يوم القيامة

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ١٣٥ ح ٤.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ١٣٧ ح ٢.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣٠٦ برقم: ٣٥٠.

يهودياً أو نصرانياً، فقال جابر: يا رسول الله وإن شهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمّد رسول الله؟ فقال: يا جابر كلمة يحتجزون بها عن سفك دمائهم وأموالهم، وعن إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون(١).

وهو ناطق بأنّ إيذاءه يوجب الدخول في زمرة الكافرين من اليهود والنصارىٰ.

وقد أوضحنا فيما تقدّم أنّ ديدنهم إيذاءه في مثل تفضيلهم غيره عليه، ومنعهم حقّه، واستصغارهم قدره، واحتقارهم إيمانه بأنّه إيمان صبي، وعيبهم إيّاه بأنّ له دعابة(٢).

وأوّل من نسب الدعابة إليه عمر بن الخطّاب، ثمّ انتشر ذلك في أفواه أعدائه، كمعاوية بن هند، وعمرو ابن النابغة، حتّىٰ قال عليه السلام عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة، وأنّي امرء تلعابة، أُعافس وأُمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً(٣).

ثمّ نسبها إليه هؤلاء الفرقة المضلّون، وأيّ إيذاء أشدّ من العيب والتنقّص لو كانوا يعلمون، وافتروا على الرسول صلى الله عليه وآله عدّة أخبار تتضمّن تصريحه بذمّه.

فمن ذلك: ما رواه الكرابيسي من أنّه خطب بنت أبي جهل، فبلغ فاطمة عليها السلام فشكته إليه سلام الله عليه، فقام على المنبر قائلاً: إنّ علياً آذاني يخطب بنت عدوّ الله ليجمع بينها وبين فاطمة. الحديث(٤). والله يشهد أنّهم لكاذبون.

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٢ برقم: ٧٦.

(٢) الدعابة: المزاح.

(٣) نهج البلاغة ص ١١٥ رقم الخطبة: ١١٥.

(٤) الصراط المستقيم ٢: ٢٩٣، تنزيه الأنبياء ص ١٦٧.

وكيف سوّغوا لأنفسهم قبول مثل هذه الرواية المنكرة المشتملة علىٰ إنكار ما الشريعة واردة بإباحته علىٰ من لم يعهد منه خلاف له في أمر من الأُمور، سيّما من هذا الراوي المشهور بالتظاهر بعداوته ومناصبته، والإزراء علىٰ فضائله ومآثره، قد رووا في صحاحهم أنّ رؤساءهم كانوا علىٰ نهجهم في التنقّص لقدره.

فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، من قول عمر لعلي عليه السلام والعبّاس، ما هذا لفظه: فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبوبكر: أنا ولي الله، فجئتما أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وهذا يطلب ميراث امرأته من أبيها، فقال أبوبكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نورّث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثمّ توفّى أبوبكر، فقلت: أنا ولي الله وولي أبي‌بكر، فرأيتماني كاذباً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحقّ(١).

وذلك لتضمّنها إقرارهم علىٰ رؤسائهم بتنزيلهم إيّاه منزلة آحاد الرعية الذين يلزمهم التحاكم إلى الرئيس، والإشارة إليه بلفظ «هذا» كما يشير به أحدنا إلىٰ مثله.

وكذا تضمّنت إقرارهم علىٰ رئيسهم العدوي باستخفافه لقدر النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كنّىٰ عنه بابن الأخ وبالأب، مع أنّ الله تعالىٰ إنّما كان يخاطبه بصفاته، مثل يا أيّها المزمّل تعظيماً لشأنه، ونادىٰ غيره من الأنبياء بأسمائهم، ولم يذكره باسمه إلّا في أربعة مواطن شهد له فيها بالرسالة، لضرورة تعيينه بالاسم إظهاراً لمرتبته، وبياناً لمزيته.

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٨ كتاب الجهاد، الطرائف ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

وكذا تضمّنت اعترافهم باستخفافه لقدر سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنّة؛ لأنّه كنّىٰ عنها بالمرأة .

وبتزكيته لنفسه كالعدوي، مع أنّ الله تعالىٰ نهىٰ عن تزكية النفس بقوله: ﴿فلا تزكّوا أنفسكم﴾[١] وبأنّ علياً عليه السلام والعبّاس كان اعتقادهما فيهما الكذب والغدر والخيانة، وقد تضمّن القرآن المجيد: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾[٢] ونطق بأنّ الله لا يحبّ من كان خوّاناً أثيماً[٣] .

وقد مضىٰ تحقير عمر إيّاه بقوله لابن عبّاس «كيف خلّفت بني عمّك»[٤] وقوله «ما منعهم منه إلّا استصغروه»[٥] ونحو ذلك .

ووقع أيضاً من أبي‌بكر إيذاؤه بنحو تكذيب شهادته وشهادة ابنيه الحسنين عليه وعليهما السلام لفاطمة بأنّ النبي صلى الله عليه وآله أنحلها فدكاً، مع أنّهم بتقدّمهم عليه كذّبوا بولايته، وبأنّ الحقّ له، وبأنّه المنصوص عليه بالخلافة بلا فصل، كما كذّب بها أولياءهم أيضاً بتقديمهم لهم عليه، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً، وذلك من أعظم الاستخفاف به .

وكذا كذّبوا النصوص الناطقة بأنّه نصّ علىٰ واحد واحد من أبنائه المعصومين عليهم السلام؛ لأنّهم رووا أنّه مات بغير وصية، وأنّه قال: ما أوصىٰ رسول الله

---

(١) سورة النجم: ٣٢ .

(٢) سورة النحل: ١٠٥ .

(٣) سورة النساء: ١٠٧ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد المعتزلي ١٢: ٢٠ ـ ٢١ .

(٥) كشف الغمّة ١: ٤١٩ .

حتّىٰ أوصىٰ، مع أنّهم رووا أنّه من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية[١].

وفي هذا وأمثاله من الدلالة علىٰ حرصهم على الطعن عليه، ومبالغتهم في إيذائه، اقتفاءٌ بأثر رؤساء نحلتهم ما هو كافٍ في لزوم كفرهم وإلحادهم وعتوّهم وعنادهم.

ولهذا كان ما ذهب إليه الأكثر هو الراجح عندي، وعليه أُعوّل، وبه أفتي، وهل جهلتهم كعلمائهم في هذا الحكم ينبغي ذلك كما في جهلة الكفّار؛ لتركهم النظر في حجج الله حتّىٰ يعلموا، كما رغب سائر الكفّار عن ذلك بإيثارهم تقليد الآباء، ولأنّ الجهل ليس عذراً في الدين، وإلّا لأمكن التأويل لمن تكلّم بكلمة الكفر بإمكان غفلته عمّا هو الدين، ولكان منكر وجوب الصلاة إذا ادّعىٰ عدم الاطّلاع علىٰ وجوبها تقبّل دعواه، ولو كان ممّن نشأ بين المسلمين، ولكان ذلك عذراً لكلّ من فعل ما يوجب حدّاً أو تعزيراً، وبطلانه ضروري.

قال فخرالدين الرازي في المحصول في باب عدم قبول رواية المبتدع المحكوم بكفره وهو لا يعلم أنّه كافر: أقصىٰ ما في الباب أن يقال: هذا الكافر جاهل بكونه كافراً، لكنّه لا يصلح عذراً؛ لأنّه كافر ضمّ إلىٰ كفره جهل آخر، وذلك لا يوصف برجحان حاله على الكافر الأصلي، علىٰ أنّه لو كان الجهل عذراً في أُصول الشريعة لكان في فروعها كذلك بطريق أولىٰ، وقد نصّوا على العدم إلّا فيما استثني، كالجهر والإخفات، والقصر والتمام.

وحيث بلغ الكلام إلىٰ هذا المقام، وحصل نيل المرام، فلنحبس عنان البراعة علىٰ هذا المقدار، حامدين لله سبحانه علىٰ نعمه الغزّار، مصلّين علىٰ أشرف أنبيائه

---

(١) الطرائف ص ٣٨٢ عنهم.

وخاتمهم محمّد وآله الأطهار .

وفرغ من تسويدها مؤلّفها الفقير إلى الله المتعالي حسن بن علي بن عبدالعالي بلّغه الله ما يؤمله، بمشهد ثامن أئمّة الهدىٰ سبط النبي المصطفىٰ وابن الوصي المرتضىٰ علي بن موسى الرضا عليه من الله أفضل التحية والثناء، في غرّة شهر ذي‌القعدة من شهور سنة اثنين وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية علىٰ من شرّفت بنسبتها إليه أطائب الصلاة والسلام والتحية .

وجاء في آخر نسخة الفاضل الأفندي: وقد تمّ اكتتاب هذه الرسالة الشريفة في أوائل شهر ذي‌القعدة الحرام من شهور سنة سبع وخمسين وألف من الهجرة النبوية المصطفوية عليه وآله الصلاة والتحية، والحمد لله علىٰ إتمامه .

وتمّ استنساخ هذا الكتاب تحقيقاً وتصحيحاً وتعليقاً عليه في يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الثاني سنة (١٤٢٧) هـ علىٰ يد العبد الفقير السيّد مهدي الرجائي عفي عنه في بلدة قم المقدّسة حرم أهل البيت وعشّ آل محمّد عليهم السلام .

فهرس الكتاب